



الولايات المتحدة الأمريكية
الجامعة الإسلامية بمينيسوتا
عمادة الدراسات العليا
كلية/ الدراسات الإسلامية
قسم /الدعوة والثقافة الإسلامية

"المناهج الدعوية للأنبياء من خلال سورة هود"

(قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة "الدكتوراه"

في الدراسات الإسلامية / تخصص الدعوة والثقافة الإسلامية)

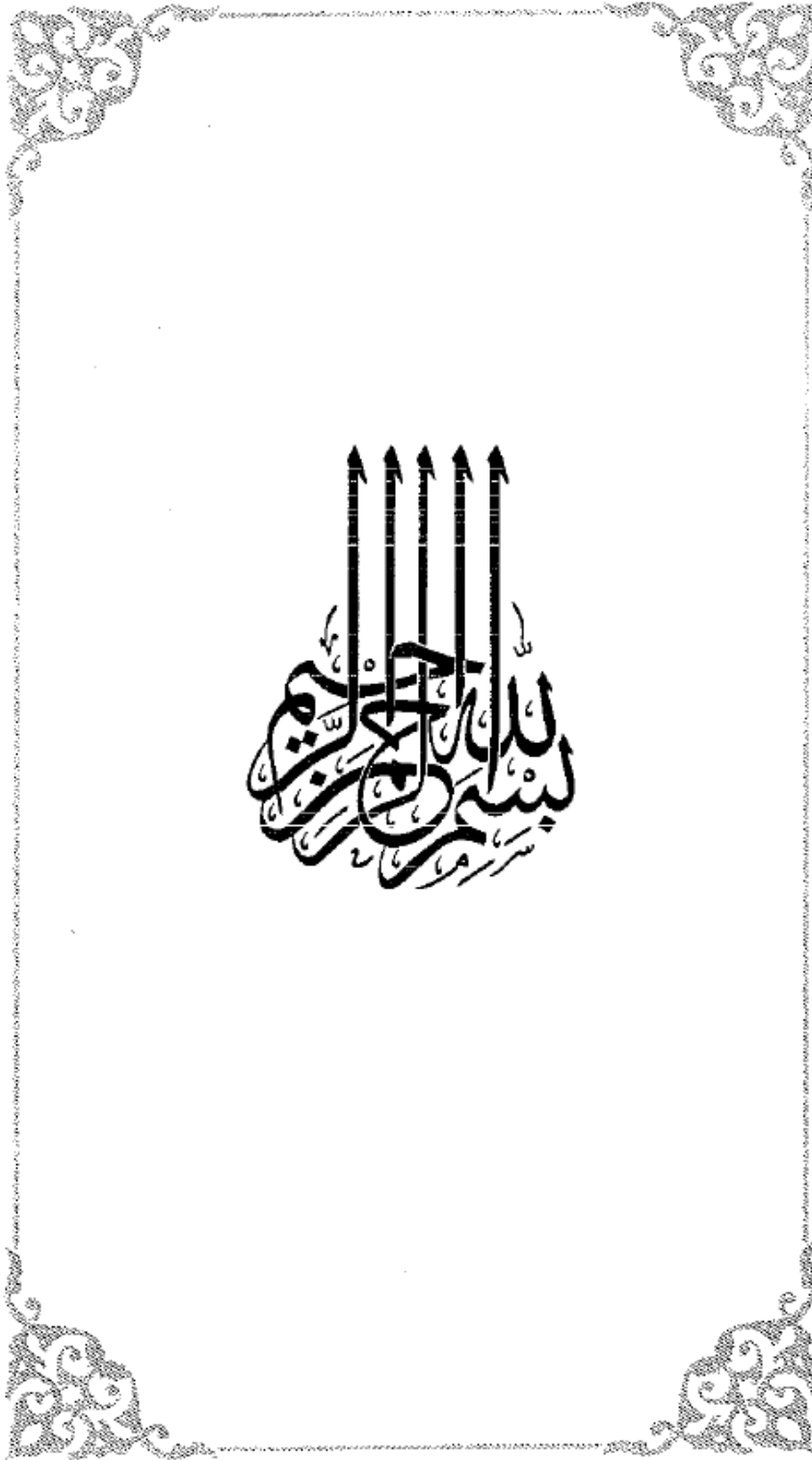
إعداد الطالب

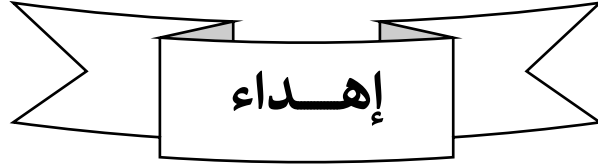
حسين محمد أمين عامر

إشراف

الدكتور / محمد سيد مكي

العام الجامعي 1445هـ/2023





أهدي هذه الرسالة لوالدي -رحمه الله-
ولوالدي بارك الله في عمرها، عرفانا بالجميل،
ولزوجتي العزيزة؛ التي كانت وما زالت خير عون لي،
ولأولادي؛ أسأل الله أن يبارك فيهم جميعا،
ولمشايخي، وأساتذتي الذين دعموني خلال مسيرتي
العلمية، وشجعوني لإتمام هذا العمل؛ فجزاهم الله عني
خيرا
الباحث
حسين عامر

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل أولاً إلى الله -تبارك وتعالى- ذي المنة والفضل، الذي أعانني على كتابة هذا البحث، وأشكر من بعده كل من أعانني على إتمامه وأخصُّ مشرف البحث:

الدكتور (محمد سيد مكي)

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر والثناء إلى أساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين تحملوا عناء قراءة هذه الرسالة راجياً أن يكون لتصويباتهم الدقيقة، وملاحظاتهم العلمية الأثر الكبير في إخراج هذه الرسالة بالصورة المرضية.

ملخص الرسالة

يهدف هذا البحث إلى استنباط المناهج الدعوية لعدد من الأنبياء من خلال سورة هود، والتي احتوت على قصص كوكبة مباركة من الأنبياء وهم أنبياء الله: (نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى، وخاتمهم محمد -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-).

هؤلاء السبعة الكرام كانت لهم أساليب عدة في دعوة أقوامهم، ما بين الاعتماد على العاطفة: بإظهار الود واللين لقومهم، والترغيب والترهيب، والتذكير بنعم الله عليهم، وأنه لا يقبل منهم أن يتمتعوا بالنعم ويكفروا بالمنعم -جل وعلا-، وهو ما يعرف عند علماء الدعوة بالمنهج العاطفي.

ومنها ما يعتمد على إعمال العقل: بالاستفهام لتحفيز العقول للتفكير الصحيح، وعدم البقاء تحت أسر تقليد الآباء، والجمود على العادات والتقاليد وإن كانت باطلة، وكذلك الجدل لإظهار الحق الذي جاء به أي نبي من أنبياء الله -عليهم السلام-، ورد الشبهات التي يرددها المتكبرون، والمعاندون خاصة من الملأ الذين يرون أن الرسل قد جاؤوا لإزالة الباطل الذي ينتفعون ببقائه، والحوار الذي يعتمد على الوضوح والسلاسة في البيان، وانتقاء الألفاظ، والقوة في إظهار الحق، وهذا ما يعرف عند علماء الدعوة بالمنهج العقلي.

ومنها ما يعتمد على الحس والإدراك، كالمعجزات والآيات البينات التي يظهرها الله على يد نبي من أنبيائه، أو الحث على الاعتبار بالسابقين، أو تطبيق الرسول للمنهج الذي جاء به، ليكون قدوة لقومه، أو من خلال تغيير المنكر باليد، ليرى الجميع كيف يكون إزالة المنكرات التي تسخط الله، وهذا ما يعرف عند علماء الدعوة بالمنهج الحسي.

إن طريق الدعوة طريق شاق وصعب يحتاج أولاً للاستعانة بالله، وصدق اللجوء إليه دائماً، ثم الصبر وسعة الصدر، والحكمة في التعامل مع المدعويين، والتحلي بالحلم والأناة، وعلو الهمة في الدعوة إلى الله.

أسأل الله أن يديم علينا نعمة الإسلام، وأن يشرفنا بالدعوة إلى الله حتى يقبضنا إليه غير مفرطين ولا مضيعين، اللهم آمين.

Summary of the thesis

This research aims at extracting the preaching approaches of many prophets by examining Surah Hud, which contains stories of a blessed group of prophets who are the prophets of Allah: Noah, Hud Saleh, Lot, Shu'aib, Musa, and the seal of prophets, Muhammad - peace and blessings be upon them all -.

These seven honorable prophets had several approaches in preaching to their people, ranging from relying on emotion by showing kindness and gentleness to their people, using persuasion and admonition, reminding them of Allah's blessings upon them, and making it clear that it is not acceptable for them to enjoy these blessings while disbelieving in the Bestower of the blessings - Allah. This approach is known among scholars of da'wah (calling to Islam) as the emotional approach.

Some prophets relied on intellectual engagement, using questioning to stimulate rational thinking and to abide by the traditions of their forefathers if they were erroneous, and engaging in debates to clarify the truth brought by a Prophet and to refute the doubts raised by the arrogant and disobedient, especially among the elites who believed messengers came to demolish the falsehood from which they benefited, and they also used dialogue that relies on clarity and simplicity in expression, careful selection of words, and strength in presenting the truth. This is known

among scholars of da'wah (calling to Islam) as the intellectual approach.

Additionally, some prophets relied on sensory and perceptual elements, such as miracles and clear signs that Allah revealed through one of His prophets, or by urging to consider past nations, or by the prophets applying the teachings they are calling for to act as role models for their people, or by directly changing evil with their hands to demonstrate how to sin that anger Allah should be eliminated. This is known among scholars of da'wah (calling to Islam) as the sensory approach.

The path of da'wah (calling to Islam) is a challenging and difficult journey that first requires reliance on Allah, sincere and continuous seeking for His help, patience, wisdom in dealing with those who are being called, and embodying clemency and gentleness, as well as having a high determination in calling to Allah.

I ask Allah to maintain the blessing of Islam and to honor us with being called to Allah until He takes us to Him without us being excessive or wasteful. Amen.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً يليق بجلال الله، ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شاء ربنا من شيء بعد، حمداً دائماً لا ينقطع إلى يوم الدين، وصل اللهم وسلم وبارك على صفوة النبيين، وخيرة المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد/

إن القرآن كتاب الله – عز وجل – المنزل على قلب الرسول – صلى الله عليه وسلم –، وهو كتاب يحتوي على العديد من الموضوعات المختلفة منها العقيدة والتشريع، والأخلاق، والقصص.

إن القصص القرآني جزء أساسي في القرآن الكريم، وقد اشتمل على جزء كبير من هذا الكتاب العظيم، وعندنا عدد كبير من أسماء سور القرآن سميت بقصة فيها، كسور (البقرة، آل عمران، المائدة، يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، الكهف، النمل)، ومنها سور لم تسم بقصة فيها، ولكن مضمونها مضمون قصصي، كسور (الأعراف، طه، الشعراء، المؤمنون، الفرقان، العنكبوت، ق، الذاريات، القمر، الشمس، النازعات) كلها سور قصصية.

والقصص القرآني فيه خلاصة التاريخ الإنساني، من بدء خلق آدم إلى نزول القرآن، ولذلك جاء ثلث القرآن تقريباً قصصاً، وهذا يدل على أهمية القصص.

إن من أعظم خصائص هذا الدين حيويته، وحيوية هذا الدين أكثر ما تتمثل في الدعوة، وأفضل وأصدق قدوة للدعاة هم الأنبياء الكرام-عليهم السلام-، ولذلك ينبغي علينا مدارس قصص القرآن لنستخرج منها ركائز الدعوة وأساليبها ووسائلها، فيستفيد الدعاة من الأساليب الناجحة في تعامل الأنبياء مع أقوامهم؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: 111]

وما أجمل أن يتلمس الدعاة في عصرنا الحاضر السير على خطى الأنبياء،
والتخلق بأخلاقهم، والافتداء بهم في الدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة،
والمجادلة بالتي هي أحسن، من خلال المنهج القرآني في عرض قصصهم،
وأحوالهم مع أقوامهم؛ من خلال دراستي لأحد سور القرآن (سورة هود) والتي
جعلت عنوانها:

"المناهج الدعوية للأنبياء من خلال سورة هود"

والله الموفق والمستعان

أولاً/ أهمية البحث:

- 1- تعلقه بأشرف الكتب وأجلها كتاب الله - عز وجل - الذي لا تنقضي عجائبه.
- 2- إبراز المناهج الدعوية للأنبياء مع أقوامهم من خلال سورة مباركة من سور القرآن؛ وهي سورة هود.
- 3- اشتملت سورة هود على قصص كوكبة مباركة من الأنبياء- عليهم السلام-، وأوضحت أفضل الأساليب في الدعوة إلى دين الله وأحسنها، لذلك فهي تعتبر معلماً بارزاً للعاملين في حقل الدعوة، تنير لهم الطريق.
- 4- تحقيق القدوة في الأنبياء- عليهم السلام-، وإبراز جهادهم في سبيل تبليغ كلمة الله إلى أممهم، وصبرهم على أذى قومهم، وعنتهم، ليكون في اتباع منهجهم نبراساً للدعاة إلى الله يقتدون به في دعوتهم.
- 5- استنهاض الهمم، وحث الدعاة إلى الله الغيورين على الدين أن يضاعفوا جهدهم في تبليغ دعوة الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانياً/ أهداف البحث:

- 1- تذكير الدعاة بالمصدر الأول والأساس في عزة المسلمين؛ وهو القرآن الكريم، فهو النبع الصافي الذي نستلهم منه الصراط المستقيم .
- 2- بيان المناهج الدعوية التي سلكها الأنبياء- عليهم السلام- مع أقوامهم لتقريب كيفية تطبيقها في واقعنا المعاصر، لتكون تبصرة للدعاة في كل زمان ومكان.

3- اشتمال السورة على ركائز مهمة في الدعوة، وبيان للأخلاق التي ينبغي أن يكون عليها الدعاة إلى الله.

4- تعلم فن الحوار والمجادلة لإبراز الحق، وإقامة الحجة على المخالفين.

5- فهم سنن الله -تعالى- في الكون، وطبيعة الصراع بين الحق والباطل.

ثالثا / مشكلة البحث:

يجيب البحث عن أسئلة مهمة في الموضوع هي:

- ما المناهج الدعوية التي سلكها الأنبياء في دعوتهم لأقوامهم بسورة هود؟
- كيفية تأصيل تلك المناهج وفقا لقصص الأنبياء الوارد ذكرهم بسورة هود؟
- كيف يمكن للدعاة إلى الله تطبيق المناهج الدعوية مع تنوع المدعوين، واختلاف أفهامهم، وثقافتهم، ومجتمعاتهم؟

رابعا / حدود البحث:

- نوعية البحث: دراسة دعوية.
- موضع البحث: سورة هود-عليه السلام-

خامسا / فروض البحث:

- يمكن التوصل من خلال تدبر سورة هود إلى عدد من المناهج الدعوية المختلفة.
- يمكن تطبيق تلك المناهج الدعوية في واقعنا المعاصر.
- توجد علاقة بين المناهج والأساليب الدعوية وواقعنا المعاصر.

سادسا/ صعوبات البحث:

- 1- عدم التفرغ الكامل للبحث، وكثرة الانشغال ما بين عملي الدعوي من جانب، والتزامات الأسرة، والاهتمام ببعض شئون الجالية بكندا من جوانب أخرى.
- 2- قلة المراجع في تناول قصص القرآن من خلال المناهج الدعوية وتطبيقاتها عند الأنبياء، وتركيز كثير من الباحثين على الوسائل والأساليب فقط.

سابعا/ الدراسات السابقة:

هذه الدراسات السابقة التي تمكنت من جمعها في موضوع الدراسة (في حدود علمي واستطاعتي وما توافر لدي من مراجع)

1- (التناسق الموضوعي في سورة هود) رسالة دكتوراه مقدمة من الباحث ياسر بن عبد الله بن محمد بازيد لجامعة أم القرى بالسعودية كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، عام 1435هـ / 2015م، وقد اهتم الباحث بإبراز التناسق الموضوعي لسورة هود؛ ردا على المستشرقين ومن تابعهم من المتشككين في مصدر القرآن، ومن أوصى منهم بإعادة ترتيب آياته تسهيلا لقراءته على حد زعمهم.

2- (الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والعشرين من القرآن الكريم سورة هود الآيات: (1:83) رسالة ماجستير مقدمة من الباحث سعيد طه خضر للجامعة الإسلامية بغزة كلية أصول الدين قسم التفسير عام 1435هـ / 2014م، وقد اهتم الباحث ببيان الموضوعات الأساسية للحزب الثالث والعشرون من القرآن الكريم من سورة هود، وإظهار مقاصدها العامة، وأهدافها التي تهدف لترسيخها في المجتمع الإسلامي.

3- (آيات العقيدة في سورة هود) رسالة ماجستير مقدمة من الباحث حيدر غالب محمد العنبيكي، مقدمة للجامعة الإسلامية ببغداد كلية أصول الدين، قسم العقيدة، عام 1431هـ / 2010م، وقد ركز الباحث في رسالته على جوانب العقيدة في السورة (الإلهيات، النبوات، السمعيات)

4- (القصص القرآني في سورة هود دراسة موضوعية) رسالة ماجستير مقدمة من الباحث محمد هندي سليمان لكلية الإمام الأعظم ببغداد؛ قسم أصول الدين تخصص تفسير، عام 1431هـ / 2010م، وقد اهتم الباحث بالسرد التاريخي لقصص الأنبياء المذكورين بسورة هود، وجاءت الرسالة خالية من الحديث عن مناهج ووسائل وأساليب الدعوة.

5- (المضامين التربوية في قصص الأنبياء في سورة هود) رسالة ماجستير مقدمة من الباحث سليمان بن أحمد بن سليمان المشعلي لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قسم التربية في كلية العلوم الاجتماعية، عام 1431هـ / 2010م، وقد اهتم الباحث بإبراز الجوانب التربوية في قصص الأنبياء بدراسة الأهداف، والأسس، والقيم، والأساليب التربوية التي تضمنتها الآيات.

6- (الدعوة إلى الله في سورة هود) رسالة دكتوراة مقدمة من الباحث عبد الرحمن بن راجي، مقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كلية الدعوة وأصول الدين عام 1413هـ / 1992م، شعبة الدعوة، وقد جاءت الرسالة في مجلدين؛ عنى الباحث فيها بسرد مواقف الرسل مع أقوامهم، وأوجه الاتفاق والشبه في دعوة الرسل، وفي المدعوين من أقوامهم، ثم ختمها ببيان سنة الله -تبارك وتعالى- التي لا تتبدل ولا تتغير أن العاقبة للمتقين، ومما

يلاحظ على الباحث تركيزه على التفسير التحليلي للآيات، ونقل أقوال الأئمة في التفسير، والترجيح بينها، وأطال النفس في السرد التاريخي لقصص الأنبياء، ولم يتعرض لمناهج، أو طرق وأساليب الدعوة.

وبعد استعراض الدراسات السابقة أرى أنها لا تتعارض مع موضوع البحث الذي أطرحه؛ لأن الموضوع يتناول المناهج الدعوية عند الأنبياء في سورة هود، وهذا ما لم يتم في أي من الدراسات السابقة.

ثامنا/ المناهج المستخدمة في البحث:

اتبعت في دراستي:

1- المنهج الوثائقي؛ وذلك برجوعي إلى كتب التفسير، والنظر في تفسير ومعاني آيات سورة هود.

2- المنهج التحليلي الذي أقوم من خلاله بدراسة سورة هود لاستخراج، مناهج الدعوة التي سلكها الأنبياء الوارد ذكرهم بالسورة في دعوتهم لقومهم.

3- المنهج الاستنباطي (الاستدلالي) لربط الأساليب بالمناهج الدعوية (العاطفي والعقلي والحسي).

وبهذه المناهج المتنوعة أكون قد استخدمت في هذا البحث المنهج التكاملي الذي يقوم على الربط بين الموضوعات المتنوعة أو المختلفة، وتنسيقها في شكل مترابط.

تاسعا/ عملي في البحث:

1- قمت برسم الآيات القرآنية الكريمة بالرسم العثماني، ثم عزوها إلى مواضعها في المصحف الشريف، بذكر اسم السورة، ورقم الآية.

2- جمع الآيات الخاصة بالمناهج الدعوية عند الأنبياء بسورة هود، مع التعرض لمثيلاتها في القرآن الكريم.

3- الرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة لعلمائنا الأوائل وكذلك المعاصرين في تفسير الآيات الكريمة.

4- تخريج الأحاديث التي ذكرت في الرسالة، والحكم عليها إذا لم ترد في الصحيحين من مظان ذلك في كتب الحكم على الأحاديث.

5- إذا اقتبست نصًا من مصدر، أو من عدد من المصادر، وعبرت عنها بأسلوب الخاص، أو تصرفت فيه حسب السياق، فإني سأشير إلى ذلك في الحاشية، بعبارة: (ينظر)

6- إذا كان النص المقتبس أقل من 40 كلمة أقوم بكتابته بين علامتي التنصيص هكذا "----" وإذا زاد النص المقتبس عن ذلك أقوم بكتابته بين قوسين هكذا (---) مع الإشارة للمرجع وتفصيله في الهامش.

7- بالنسبة لتوثيق المراجع اتبعت فيها: ذكر اسم المرجع، ثم المؤلف، ثم الجزء، والصفحة، ثم المحقق -إن وجد-، ثم دار النشر، ورقم الطبعة، وبلد النشر، وسنة النشر.

8- اكتفيت بتعريف الأعلام غير المشهورين الوارد ذكرهم بالرسالة، ولم أقم بتعريف الأعلام المشهورين من الأنبياء والصحابة والتابعين.

9- عملت فهارس للآيات الكريمة، والأحاديث النبوية، والأعلام الأجلاء المترجم لهم في نهاية البحث.

عاشرا / خطة البحث:

يحتوي البحث على: مقدمة، وتمهيد، وسبعة أبواب، وخاتمة.

● المقدمة: وتتضمن الحديث عن: أهمية البحث، أهداف البحث، مشكلة

البحث، حدود البحث، فروض البحث، صعوبات البحث، الدراسات

السابقة، المناهج المستخدمة في البحث، عملي في البحث، بيان خطة البحث.

● الفصل التمهيدي: وفيه خمسة مباحث:

● المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف مصطلح "الدعوة" لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف مصطلح "المناهج" لغة واصطلاحاً.

● المبحث الثاني: التعريف بالسورة وفضلها وآياتها ووقت نزولها.

● وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالسورة.

المطلب الثاني: ما ورد في فضلها.

المطلب الثالث: ترتيبها في النزول.

● المبحث الثالث: استعراض السورة وقضاياها الرئيسية.

● المبحث الرابع: بيان أهمية القصص القرآني من خلال سورة هود،

والحكمة من تكرار القصص في القرآن.

● وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية القصص القرآني من خلال سورة هود.

المطلب الثاني: الحكمة من تكرار القصص في القرآن.

● المبحث الخامس: تعريف موجزٌ برسُل الله-عليهم السلام- الواردين في

السورة ودعواتهم المباركة.

• الباب الأول: المناهج الدعوية في رسالة نوح - عليه السلام-
ويشتمل على ثلاثة فصول:

• الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة نوح- عليه السلام-.
وفيه أربعة مباحث:

• المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة، وفيه ستة مطالب:
المطلب الأول: تعريف معنى الرفق.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم).

المطلب الثالث: وصف الله له بأنه أخوهم.

المطلب الرابع: ندائه على ابنه (يا بني).

المطلب الخامس: إظهار الخوف والشفقة على قومه.

المطلب السادس: الدعاء لوالديه وللمؤمنين والمؤمنات.

المبحث الثاني/ الترغيب: وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف معنى الترغيب.

المطلب الثاني: الترغيب في قبول الحق.

المطلب الثالث: حثهم على الاستغفار.

المطلب الرابع: الترغيب في ذكر الله عند ركوب السفينة.

• المبحث الثالث/ الترهيب: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف معنى الترهيب.

المطلب الثاني: الترهيب من عذاب الله.

المطلب الثالث: الدعاء على العصاة بالهلاك.

• المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله: وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف معنى التذكير بنعم الله.

المطلب الثاني: نعمة الخلق أطوارا.

المطلب الثالث: نعمة خلق السماوات، والأرض، والشمس، والقمر.

المطلب الرابع: نعمة جعل الأرض مبسوطه، والسبل الفجاج.

المطلب الخامس: التذكير بحمد الله على النجاة.

▪ الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة نوح- عليه السلام.-

ويتكون من ثلاثة مباحث:

• المبحث الأول/ الاستفهام: وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الاستفهام.

المطلب الثاني: تعجب نوح من إنكار قومه أن الله أرسله إليهم.

المطلب الثالث: تقرير أنه رسول من الله واستنكار إعراضهم.

المطلب الرابع: استنكاره عليهم أنهم لا يرجون لله وقارا.

المطلب الخامس: تقريره لهم بأن الله هو خالق السماوات، والأرض والشمس، والقمر.

▪ المبحث الثاني/ الجدل: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الجدال.

المطلب الثاني: اتهامه بأنه في ضلال مبين.

المطلب الثالث: عيبه بأنه بشر مثلهم واتباعه من أراذل القوم، واتهامه بالكذب.

■ المبحث الثالث/ الحوار: وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الحوار.

المطلب الثاني: حوار ه مع قومه.

المطلب الثالث: حوار ه مع ولده.

المطلب الرابع: حوار ه مع رب العالمين.

■ الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة نوح-عليه السلام.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

■ المبحث الأول/ الاستغفار سبب للنعم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الاستغفار لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: ثمرات الاستغفار.

■ المبحث الثاني/ الاستدلال على عظمة الله بالآيات الكونية.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: آيات الله في الكون المنظور.

المطلب الثاني: آية خلق السماوات والأرض.

المطلب الثالث: آيتا الشمس والقمر.

المطلب الرابع: آية الخلق من الأرض والعودة إليها ثم البعث والنشور.

المطلب الخامس: آية بسط الأرض.

المبحث الثالث/ سفينة النجاة (الفلك المشحون)، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أمر الله لنوح ببناء السفينة.

المطلب الثاني: صنع السفينة بعناية الله ووحيه.

المطلب الثالث: احمل فيها من كل زوجين اثنين.

المطلب الرابع: وفار التنور.

المطلب الخامس: وهي تجري بهم في موج كالجبال.

■ **الباب الثاني: المناهج الدعوية في رسالة هود - عليه السلام-**

وفيه ثلاثة فصول:

■ **الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة هود- عليه السلام-**

ويشتمل على أربعة مباحث:

■ **المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوهم.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)

المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه.

■ **المبحث الثاني/ الترغيب، ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله.

المطلب الثاني: حثهم على الاستغفار.

■ **المبحث الثالث/ الترهيب، ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: الترهيب من عذاب عظيم.

المطلب الثاني: الترهيب بأن يحل غضب الله بهم.

■ **المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله، ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: التذكير بأن الله جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح.

المطلب الثاني: التذكير بأن الله أمدهم بأنعام، وبنين، وجنات، وعيون.

■ **الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة هود-عليه السلام.-**

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

■ **المبحث الأول/ الاستفهام: وفيه خمسة مطالب:**

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: إنكاره عليهم عجبهم أن الله أرسله إليهم.

المطلب الثالث: إنكاره عبادة قومه أصناما سموها آلهة تقليدا لآبائهم.

المطلب الرابع: إنكاره عدم إعمال عقولهم، وأنه لا يريد لهم إلا الخير.

المطلب الخامس: إنكاره العبث في كل بناء بينونه.

■ **المبحث الثاني/ الجدل، وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول: شبهة اتهامه بالسفاهة والكذب.

المطلب الثاني: شبهة إبطاله لعبادة آلهتهم التي عبدها آبائهم من قبل.

المطلب الثالث: شبهة أنه لم يأتهم ببينة وتهديده أن تنتقم منه الآلهة.

المطلب الرابع: شبهة أن رسولهم بشر وليس من الملائكة.

■ المبحث الثالث/ الحوار: ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة هود – عليه السلام.

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار.

■ الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة هود- عليه السلام.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

■ المبحث الأول/ الاعتبار بالسابقين، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الاعتبار.

المطلب الثاني: حث هود قومه على الاعتبار بالسابقين

■ المبحث الثاني/ التحذير من اتخاذ النعم سببا للترف والطغيان.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العبث في البناء رغبة في التفاخر.

المطلب الثاني: اتخاذهم المصانع وكأنهم مخلدون بالدنيا.

المطلب الثالث: إفراطهم في الأذى والظلم.

■ المبحث الثالث/ هل كان لهود معجزة؟ ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف المعجزة.

المطلب الثاني: أقوال العلماء في معجزة هود – عليه السلام.

▪ الباب الثالث: المناهج الدعوية في رسالة صالح - عليه السلام -
وفيه ثلاثة فصول:

▪ الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة صالح - عليه السلام -.
ويشتمل على أربعة مباحث:

▪ المبحث الأول / الرفق وإظهار العاطفة.

▪ المبحث الثاني / الترغيب: ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله.

المطلب الثاني: الترغيب في الاستغفار.

▪ المبحث الثالث/ الترهيب: ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الترهيب من مس الناقة بسوء.

المطلب الثاني: توعدهم بوقوع العذاب بهم بعد ثلاثة أيام من عقر الناقة.

▪ المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: نعمة الخلق والإيجاد.

المطلب الثاني: نعمة الاستخلاف بعد عاد.

المطلب الثالث: إمداد الله لهم بالقوة والتمكين في الأرض.

المطلب الرابع: نعمة الأمن والإمداد بالماء العذب والزرور والثمار المنوعة.

▪ الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة صالح - عليه السلام -.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

■ المبحث الأول/ الاستفهام، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: استنكاره دعوة قومه له أن يترك الرسالة.

المطلب الثالث: إنكاره عليهم تمتعهم بالنعمة وكفرهم بالله.

المطلب الرابع: إنكاره عليهم العناد والتكذيب وعدم التوبة إلى الله.

■ المبحث الثاني/ الجدل، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التشكيك في دعوته إلى التوحيد وترك آلهتهم.

المطلب الثاني: ادعائهم أن نبيهم من المسحرين.

المطلب الثالث: أن رسولهم بشر مثلهم وأنه كذاب أشر.

المطلب الرابع: التشاؤم من نبيهم صالح-عليه السلام-.

المطلب الخامس: تشكيك المستكبرين للمؤمنين في اتباعهم لنبيهم.

■ المبحث الثالث/ الحوار: ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة صالح – عليه السلام.

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار.

■ الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة صالح-عليه السلام-.

ويشتمل على مبحثين:

■ المبحث الأول/ معجزة الناقة.

■ المبحث الثاني/ الاعتبار بالسابقين.

■ الباب الرابع: المناهج الدعوية في رسالة لوط -عليه السلام-

وفيه ثلاثة فصول:

▪ الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة لوط - عليه السلام.

ويشتمل على أربعة مباحث:

▪ المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نداء لوط على قومه (يا قوم).

المطلب الثاني: التعبير عنه بلفظ (أخوهم لوط).

المطلب الثالث: تسميته لنساء قومه بـ (بناتي).

▪ المبحث الثاني/ الترغيب، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله وطاعة رسولهم.

المطلب الثاني: هل دعا لوط قومه للتوحيد؟

المطلب الثالث: ما الحكمة أن القرآن لم ينص على أنه قال لقومه كما قال غيره

من الأنبياء: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾؟

▪ المبحث الثالث/ الترهيب.

▪ المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.

▪ الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة لوط - عليه السلام.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

▪ المبحث الأول/ الاستفهام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: إنكاره عليهم فعل الفاحشة.

المطلب الثالث: إنكاره عليهم تعرضهم لضيوفه.

■ المبحث الثاني/ الجدل، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: قولهم عن آل لوط: "إنهم أناس يتطهرون".

المطلب الثاني: رفضهم الزواج من النساء.

■ المبحث الثالث/ الحوار: ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة لوط – عليه السلام.

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار.

■ الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة لوط - عليه السلام.

ويشتمل على مبحثين:

■ المبحث الأول / هل كان للوط – عليه السلام – معجزة؟

■ المبحث الثاني / طمس أعين القوم الذين راودوه عن ضيفه.

■ الباب الخامس: المناهج الدعوية في رسالة شعيب - عليه السلام.

وفيه ثلاثة فصول:

■ الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة شعيب - عليه السلام.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

■ المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوهم.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)

المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه.

■ المبحث الثاني/ الترغيب: ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله.

المطلب الثاني: حثهم على الاستغفار والتوبة.

■ المبحث الثالث/ الترهيب: ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الترهيب من عذاب يوم محيط.

المطلب الثاني: الترهيب من عاقبة تكذيب رسولهم.

■ المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التذكير بما وسع الله عليهم من الخيرات والنعم.

المطلب الثاني: التذكير بنعمة الخلق من العدم.

المطلب الثالث: التذكير بتكثير الله لهم.

■ الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة شعيب- عليه السلام-

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

■ المبحث الأول / الاستفهام: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: أو لو كنا كارهين؟

المطلب الثالث: أرهطي أعز عليكم من الله؟

■ المبحث الثاني/ الجدل، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: استنكار ما يأمرهم به من التوحيد، والأمانة، وعدم الغش، والتطيف.

المطلب الثاني: ادعائهم أن نبيهم من المسحرين، وأنه بشر مثلهم.

المطلب الثالث: التمسك بملة الكفر، والتهديد بالنفي.

المطلب الرابع: ادعائهم عدم فهم كلامه، وأنه فيهم ضعيف.

■ المبحث الثالث / الحوار، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أهم نقاط الحوار في دعوة شعيب – عليه السلام-

المطلب الثاني: التعقيب على الحوار.

■ الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة شعيب- عليه السلام-

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

■ المبحث الأول/ البيئة التي جاء بها قومه.

■ المبحث الثاني/ القدوة العملية، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف معنى القدوة.

المطلب الثاني: شعيب قدوة لقومه.

■ المبحث الثالث/ الاعتبار بالسابقين.

● الباب السادس: المناهج الدعوية في رسالة موسى - عليه السلام-

وفيه ثلاثة فصول:

▪ **الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة موسى - عليه السلام.**
ويشتمل على أربعة مباحث:

▪ **المبحث الأول: الرفق وإظهار العاطفة: ويشتمل على مطلبين:**
المطلب الأول: الرفق واللين مع فرعون الطاغية.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم).

▪ **المبحث الثاني: الترغيب، وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول: الترغيب في شكر نعم الله وأنه سبب المزيد.

المطلب الثاني: توبته إلى الله من القتل الخطأ.

المطلب الثالث: حث قومه على الاستعانة بالله والصبر على البلاء.

المطلب الرابع: حث قومه على الاستغفار والتوبة بعد عبادة العجل.

▪ **المبحث الثالث: الترهيب: ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول/ الترهيب من عذاب الله لمن كذب وتولى.

المطلب الثاني/ الترهيب من الافتراء على الله كذبا.

▪ **المبحث الرابع: التذكير بنعم الله، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: تذكير الله - عز وجل - عبده موسى بنعمه عليه.

المطلب الثاني: تذكير موسى لفرعون وقومه نعم الله عليهم.

المطلب الثالث: تذكير موسى لبني إسرائيل بنعم الله عليهم.

▪ **الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة موسى - عليه السلام.**

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

■ المبحث الأول/ الاستفهام، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الاستفهام للتشويق في خطابه لفرعون.

المطلب الثاني: إنكاره على قومه لطلبهم طعاما غير المن والسلوى.

المطلب الثالث: إنكاره على قومه في طلبهم تقليد عبدة العجل.

المطلب الرابع: إنكاره على قومه عبادة العجل.

المطلب الخامس: إنكاره على أخيه هارون أنه لم يمنع عبادتهم العجل.

المطلب السادس: إنكاره على السامري إيقاع قومه في الشرك.

■ المبحث الثاني/ الجدل: وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: مجادلة موسى -عليه السلام- مع فرعون.

المطلب الثاني: مجادلة موسى -عليه السلام- مع السحرة.

المطلب الثالث: مجادلة موسى -عليه السلام- مع قومه بني إسرائيل.

المطلب الرابع: مجادلة موسى -عليه السلام- لقومه في عبادة العجل.

المطلب الخامس: مجادلة موسى لأخيه هارون.

المطلب السادس: مجادلة موسى -عليه السلام- للسامري.

■ المبحث الثالث/ الحوار: ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: حوار موسى مع الله جل جلاله بالوادي المقدس.

المطلب الثاني: حوار موسى مع الله- تبارك وتعالى- بجبل الطور.

▪ الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة موسى - عليه السلام.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

▪ المبحث الأول/ الآيات والمعجزات الحسية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما حدث مع فرعون وقومه.

المطلب الثاني: ما حدث مع بني إسرائيل

• المبحث الثاني/ تغيير المنكر باليد (حرق العجل)، ويشتمل على

مطلبين:

المطلب الأول: تعريف معنى المنكر.

المطلب الثاني: نبي الله موسى يحرق العجل.

▪ المبحث الثالث/ الاعتبار بمصارع الظالمين.

▪ الباب السابع: المناهج الدعوية في رسالة الرسول -صلى الله عليه وسلم-

خاتم الأنبياء والمرسلين، وفيه ثلاثة فصول:

▪ الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين.

ويشتمل على ستة مباحث:

▪ المبحث الأول/ تأليف القلوب، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف مفهوم تأليف القلوب

المطلب الثاني: تأليف القلوب بالمال.

المطلب الثالث: الحرص على دعوة الأقربين.

المطلب الرابع: التودد إلى الناس.

المطلب الخامس: تأليف القلوب بالدعاء.

المطلب السادس: تأليف القلوب بالعفو.

المطلب السابع: تأليف القلوب بزيارة المرضى.

■ **المبحث الثاني/ الترغيب، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: الترغيب في الثواب الجزيل من الله.

المطلب الثاني: العمل الصالح سبب للنجاة من الشدائد.

المطلب الثالث: العمل الصالح سبب لتكفير السيئات.

■ **المبحث الثالث/ الترهيب، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: الترهيب من الشرك بالله.

المطلب الثاني: الترهيب من الإسراف والتبذير.

المطلب الثالث: الترهيب من الغيبة.

■ **المبحث الرابع/ الرفق وإظهار العاطفة، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: رفقه بالأمهات في الصلاة.

المطلب الثاني: رفقه بالأعرابي الذي بال في المسجد.

المطلب الثالث: رفقه بالأعرابي الذي جذب من ثوبه.

■ **المبحث الخامس/ القصص العاطفية، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: قصة قاتل المئة نفس.

المطلب الثاني: فرح الله بتوبة عبده.

المطلب الثالث: دخلت امرأة النار في هرة.

■ **المبحث السادس/ التذكير بنعم الله: وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: حديث القرآن عن نعم الله.

المطلب الثاني: التذكير بحمد الله على نعمه كلما تجددت النعم.

المطلب الثالث: التنبيه على عظم بعض النعم.

المطلب الرابع: الحث على دوام شكر الله على النعم بالحمد.

■ **الفصل الثاني: المنهج العقلي في خاتم الأنبياء والمرسلين.**

ويشتمل على أربعة مباحث:

■ **المبحث الأول/ أسلوب القياس: وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: تعريف القياس لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مثل عيسى كمثل آدم.

المطلب الثالث: ضرب المثل في قدرة الله على إحياء الموتى.

المطلب الرابع: استعمال النبي - صلى الله عليه وسلم- للقياس.

■ **المبحث الثاني/ أسلوب الجدل، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول / بعض الشبهات الواردة في القرآن والرد عليها.

المطلب الثاني: بعض الشبهات الواردة في السنة وكيف ردّ الرسول صلى الله عليه وسلم عليها؟

● **المبحث الثالث/ أسلوب الحوار، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين.

المطلب الثاني: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب.

المطلب الثالث: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أعرابي من نجد.

• **المبحث الرابع/ أسلوب ضرب الأمثال، وفيه خمسة مطالب:**

المطلب الأول: تعريف "ضرب الأمثال" لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مثل مضاعفة ثواب الصدقة.

المطلب الثالث: مثل المؤمن ومثل الكافر.

المطلب الرابع: مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا.

المطلب الخامس: مثل المؤمن والمنافق مع القرآن.

• **الفصل الثالث: المنهج الحسي في خاتم الأنبياء والمرسلين**

ويشتمل على خمسة مباحث:

• **المبحث الأول/ لفت الحس إلى النظر والتأمل.**

• **المبحث الثاني/ المعجزات الحسية، وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول: المعجزة الخالدة: القرآن.

المطلب الثاني: معجزة الإسراء والمعراج.

المطلب الثالث: معجزة انشقاق القمر.

المطلب الرابع: معجزة تكثير الماء.

• **المبحث الثالث/ القدوة العملية.**

• **المبحث الرابع/ تغير المنكر باليد.**

• **المبحث الخامس/ الاعتبار بالسابقين: ويشتمل على مطلبين:**

المطلب الأول: حث القرآن الكريم على الاعتبار بالأمم السابقة.

المطلب الثاني: حث النبي صلى الله عليه وسلم على الاعتبار بالأمم السابقة.

● **الخاتمة:** وتحتوي على نتائج الدراسة، والتوصيات.

● **الفهارس.**

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

الفصل التمهيدي

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول/ التعريف بمصطلحات البحث.

المبحث الثاني/ التعريف بالسورة وفضلها وآياتها
ووقت نزولها.

المبحث الثالث / استعراض السورة وقضاياها
الرئيسة.

المبحث الرابع / بيان أهمية القصص القرآني من
خلال سورة هود، والحكمة من تكرار القصص في
القرآن

المبحث الخامس/ تعريف موجز برسول الله عليهم
السلام الواردين في السورة ودعواتهم المباركة.

الفصل التمهيدي

المبحث الأول/ التعريف بمصطلحات البحث

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف مصطلح "الدعوة" لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف مصطلح "المناهج" لغة واصطلاحاً.

المطلب الأول: تعريف مصطلح "الدعوة" لغة واصطلاحاً:

الدعوة لغة: لها عدة معان: النداء، والطلب، والتجمع، والدعاء، والسؤال، والاستمالة، ودعا بالشيء: طلب إحضاره، ودعا الله: رجا منه الخير، ودعا إلى شيء: حث على قصده، ودعاه إلى الدين، أو إلى المذهب: حثه على اعتقاده، والدعوة المرة الواحدة من الدعاء، والدعاء: واحد الأدعية والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة.(1)

ونخلص من التعريف اللغوي أن الدعوة في كلامنا هنا يقصد بها: الحث على فعل شيء أو اعتقاده واستمالة المدعو إليه.

الدعوة اصطلاحاً: أما بالنسبة لتعريف الدعوة اصطلاحاً فإن كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة، تطلق ويراد بها في الغالب معنيان:

الأول: الدعوة بمعنى الإسلام أو الرسالة.

الثاني: الدعوة بمعنى عملية نشر الإسلام وتبليغ الرسالة.

والمعنى المراد بهذا البحث هو المعنى الثاني وقد جاء فيه تعريفات عدة، منها:

(1) ينظر لسان العرب لابن منظور مادة (دعا) (2/1386)، ط دار المعارف، والمعجم الوسيط مادة (دعا) (286) الصادر من مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة (1425هـ-2004)

التعريف الأول: "الدعوة إلى الله: هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه." (1)

التعريف الثاني: "تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة." (2)

التعريف الثالث: "هي الحث على فعل الخير واجتناب الشر والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتحبيب بالفضيلة، والتنفير من الرذيلة واتباع الحق ونبذ الباطل." (3)

المطلب الثاني: تعريف مصطلح "المناهج" لغة واصطلاحاً:

المناهج لغة:

جمع منهج، يقال: طريق نهج بين واضح، والمنهاج الطريق الواضح ونهج الطريق: سلكه، واستنهج الطريق صار نهجا، ونهج فلان سبيل فلان: سلك مسلكه، والنهج الطريق المستقيم. (4)

وعلى هذا فإن معنى لفظة منهج لغة: الطريق الواضح البين.

(1) مجموع الفتاوى لابن تيمية، (15/157 وما بعدها) جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة - السعودية 1425 هـ - 2004 م.

(2) المدخل إلى علم الدعوة للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني، ص (17)، ط. الشؤون الإسلامية بقطر الطبعة الرابعة 1997 م

(3) مرشد الدعاة لمحمد نمر الخطيب، ص: (24)، ط دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت. الطبعة الأولى، 1401 هـ / 1981 م

(4) ينظر لسان العرب مادة (نهج) (4555/6)، والقاموس المحيط لمجد الدين الفيروزبادي مادة (نهج) ص (208) تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط مكتبة الرسالة، الطبعة الثامنة (1246 هـ - 2005)

المنهج اصطلاحاً هو: " الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم،
بوساطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل، وتحديد عملياته؛
حتى يصل إلى نتيجة معلومة " (1)

إن مناهج الدعوة هي: " نظم الدعوة، وخطتها المرسومة لها " (2)

(1) مناهج البحث العلمي لعبد الرحمن بدوي ص (5) ط. وكالة المطبوعات الكويت، الطبعة
الثالثة 1977م

(2) المدخل إلى علم الدعوة ص (195)

المبحث الثاني/ التعريف بالسورة وفضلها وآياتها ووقت نزولها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالسورة.

المطلب الثاني: ما ورد في فضلها.

المطلب الثالث: ترتيبها في النزول.

المطلب الأول: التعريف بالسورة:

- عدد آياتها: ثلاث وعشرون ومائة آية.

- وهي سورة مكية كلها عند الجمهور، وقال ابن عباس- رضي الله عنهما –

مكية كلها إلا آية (1)، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي الْأَثَارِ وَزُلْفَا

مِّنَ الْأَيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلَّذِينَ ﴿هود: 114]

وهناك قول آخر أنها كلها مكية إلا ثلاث آيات. (2)

(1) ينظر فتح القدير، للشوكاني (544/2)، ط دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - 1414 هـ.

(2) ينظر تفسير المحرر الوجيز لابن عطية (3/148) حيث قال: "السورة مكية إلا ثلاث آيات هي قوله تعالى: (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ) [هود: الآية 12]، وقوله: (أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ) [هود: الآية 17]، ونزلت في ابن سلام وأصحابه، وقوله: (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) [هود: 114]، نزلت في شأن الثمار وهذه الثلاثة مدنية قاله مقاتل، على أن الأولى تشبه المكي." أ. هـ من المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ط دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - 1422 هـ.

- سبب تسميتها بسورة هود: ذكر الإمام السيوطي (1) في الإتيان أنها سميت باسم هود لتكرر اسمه فيها خمس مرات، ولأن ما حكي عنه فيها أطول مما حكي عنه في غيرها. (2)

المطلب الثاني: ما ورد في فضلها:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن أبا بكر قال: (يا رسول الله قد شئت؟ قال: شيبنتي هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت) (3)

المطلب الثالث: ترتيبها في النزول

نزلت هذه السورة بعد سورة يونس وقبل سورة يوسف، وقد عدت الثانية والخمسين في ترتيب نزول السور. (4)

-
- (1) الإمام السيوطي (849 - 911 هـ) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضير السيوطي، أصله من أسيوط، كان عالماً شافعيًا مؤرخًا أدبياً وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه والفقه واللغة، ومؤلفاته تبلغ عدتها خمسمائة مؤلف. انظر ترجمته في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (8/51)، بتحقيق: محمود الأرنؤوط، وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م؛ والضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي (4/65)؛ منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، والأعلام للزركلي (4/71) ط دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر مايو 2002 م
- (2) انظر الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (198/1)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394 هـ/ 1974 م، والتحرير والتنوير لابن عاشور التونسي (311/11)، ط. الدار التونسية للنشر - 1974 م، تونس 1984 هـ
- (3) رواه الترمذي وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، كتاب التفسير باب ومن سورة الواقعة، حديث رقم (3297) سنن الترمذي (255/5)، ط دار الغرب الإسلامي - بيروت طبعة 1998 م، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي حديث رقم (3297)
- (4) التحرير والتنوير للعلامة الطاهر بن عاشور (11/311)، ط. الدار التونسية للنشر - 1974 م، تونس 1984 هـ.

المبحث الثالث/ استعراض السورة وقضاياها الرئيسية

توطئة:

سورة هود كما مر بنا نزلت في وقت من أصعب أوقات الدعوة، بعد وفاة أبي طالب ثم وفاة خديجة، وما تبع ذلك من جرأة كفار مكة على إيذاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم والنيل منه، ومن أصحابه رضوان الله عليهم.

جاءت آيات السورة تقص علينا قصص كوكبة مباركة من الأنبياء من لدن نوح عليه السلام إلى عهد خاتمهم محمد - صلى الله عليه وسلم- لتكون قصصهم تثبتنا لقلب النبي - صلى الله عليه وسلم، والذين معه على دعوة الحق، والتسرية عنه مما يعانيه من ضيق صدره، وشعوره بالضيق من أذى قومه وعنتهم، والتأكيد على أن دعوة الأنبياء واحدة هي دعوة التوحيد، وأن مصدرها واحد من لدن حكيم خبير، وعرضت السورة حال المكذبين مع رسلهم وتنوع أساليب الإعراض، والصد عن سبيل الله، من تكذيب وسخرية واستهزاء حتى وصل بهم إلى حد التهديد والإيذاء لرسولهم.

وفي المقابل تعرض السورة المباركة لصبر الرسل وثقتهم في موعود الله بنصرهم، فينجي الله المؤمنين برحمته ويهلك الكافرين بأخذهم وتدميرهم.

مقاصد السورة:

(وأهم مقاصد السورة ما يلي:

1 - الحديث عن القرآن الكريم وإحكامه من لدن حكيم خبير، ودعوة الناس للعمل بما فيه من عقائد وأحكام شرعية، ليمتعهم متاعاً حسناً ويؤتى كل ذي فضل فضله، وبيان أن المرجع إليه - سبحانه - وأنه على كل شيء قدير.

2 - الحديث عن علم الله تعالى وإحاطته - عز وجل - بمكنون الضمائر، وتكفله برزق كل دابة ومعرفة جميع أحوالها وحركاتها وسكناتها.

3 - الإشارة إلى آيات الله الكونية، في خلق السماوات والأرض والعرش العظيم، وأنه اختبرنا بالتكاليف ليبلى عباده أيهم أحسن عملاً.

4 - الحديث عن إعجاز القرآن الكريم، وعجز البشر عن محاكاته، وأن هذا كافٍ في الدلالة على أنه من عند الله، وأن الله أيّد به رسوله، وأن ما يدعونه من افتراءه على الله زعم باطل.

5 - بيان موقف الناس من الإسلام، وذكر ثواب المطيعين وعقاب المسيئين - وأن مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع، وأنهما لا يستويان مثلاً.

6 - الحديث عن قصة نوح - عليه السلام - وقومه، والطوفان، ونجاة المؤمنين وهلاك المكذبين الكافرين ليعتبر كفار قريش ويرجعوا عن كفرهم وتكذيبهم.

7 - بيان قصة هود - عليه السلام - مع قومه عاد، ونجاة المؤمنين منهم وهلاك العاصين المتمردين، ليكون في نبئهم عبرة لأولى الألباب.

8 - قصة صالح - عليه السلام - مع قومه "ثمود" ونجاة المؤمنين منهم وهلاك المكذبين بالصيحة، فأصبحوا في ديارهم جاثمين جزاء كفرهم وتكذيبهم لرسول الله إليهم.

9 - قصة إبراهيم - عليه السلام - وتبشير الملائكة له بإسحق ومن ورائه يعقوب - عليهما السلام -.

10 - قصة الملائكة وزيارتهم لوطا عليه السلام، وإهلاك الله لقومه بإبادة قراهم، وإمطارهم بحجارة من سجيل، جزاء شنوذهم الشهواني(1)، وكفرهم بآيات ربهم.

11 - قصة شعيب - عليه السلام - وتمرد قومه عليه وإهلاكهم بالصيحة، فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها، كما حدث لقوم صالح - عليه السلام - ونجى الله شعيبا ومن آمن معه.

12 - قصة موسى وفرعون، وبيان أن قوم فرعون اتبعوا أمره، فأهلكهم الله وأتبعهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة بسبب كفرهم.

13 - الإشارة إلى سنة الله - تبارك وتعالى - في عقاب الكفار في الدنيا، ونجاة المؤمنين بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ

أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102]

(1) أي جزاء مخالفتهم الفطرة وفجورهم.

14 - بيان حال الكافرين الأشقياء في الآخرة من الخلود في النار وزفيرهم وشهيقهم فيها، وبيان حال المؤمنين السعداء فيها، من الخلود في الجنة والنعيم المقيم فيها.

15 - بيان أنه - تعالى - قص على رسوله صلى الله عليه وسلم قصص إخوانه الأنبياء مع أممهم، ليُثَبَّتَ به فؤاده، عظة وذكرى للمؤمنين. (1)

المبحث الرابع/ بيان أهمية القصص القرآني من خلال سورة هود

والحكمة من تكرار القصص في القرآن

من خلال النظر في آيات القصص القرآني سيبرز لنا العديد من الأهداف والمقاصد، وتكرارها في أكثر من موضع في القرآن له عدة أغراض، وهذا ما سيتناوله الباحث من خلال مطلبين:

المطلب الأول: أهمية القصص القرآني من خلال سورة هود.

المطلب الثاني: الحكمة من تكرار القصص في القرآن.

المطلب الأول: أهمية القصص القرآني من خلال سورة هود

القصص القرآني الوارد في سورة هود يحقق عدة أهداف ومقاصد منها:

1- أخذ العظة والعبرة:

وبذلك نفقه ما جاء في هذه القصص من أخبار وحقائق وأنماط من المدافعات بين أهل الحق والباطل، وأن نعتبر به، فمن ذلك أن الله تعالى قص علينا أخبار الأنبياء وما أصابهم وأصاب أتباعهم المؤمنين من الأذى في سبيل الله، ثم إن الله تعالى نصرهم وجعل العاقبة الحسنى لهم، وفي ذلك عبرة للمؤمنين.

2- إثبات الوحي والرسالة:

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمجموعة من العلماء بإشراف البحوث الإسلامية مجمع بالأزهر (156/4)، ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى، (1393 هـ 1973) (1414- 1993)

فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن كاتباً ولا قارئاً، ولا عرف عنه أنه جلس إلى أحبار اليهود والنصارى؛ ثم جاءت هذه القصص في القرآن، وبعضها جاء في دقة وإسهاب كقصص يوسف وموسى وعيسى، فورودها في القرآن اتخذ دليلاً على وحي يوحى، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْتُبُ مَرِيماً وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: 44]

3- تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وتسليته:

وقد صرح القرآن بهذا الغرض في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا تَقْصُ عَلَيكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120]، فقص الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم- قصص السابقين من الأنبياء عليهم السلام ليسليه وليعلمه أن ما جرى له من قومه جرى لمن سبقه ممن سلك طريق الدعوة إلى الله تعالى فتحملوا المشاق وصبروا فكانت النتيجة النصر والغلبة والتمكين لهم بإذن الله تعالى والهلاك للمكذبين.

4- بيان لسنن الله في خلقه من الأمم والجماعات والأفراد:

في دراسة حياة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - نتعرف على سنن الله - عز وجل - في التغيير، وسننه - سبحانه - في الدفع والمدافعة، كما أنها تكشف للدعاة إلى الله - عز وجل - ذلك الصراع الطويل المرير بين الحق والباطل، وفي هذا أكبر العزاء لأهل الحق، وذلك لإيمانهم بحتمية هذا الصراع، وأن الدولة والعاقبة في نهاية الأمر للحق وأهله.

5- تربية وتوجيه للدعاة:

في دراسة حياة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - أكبر العظات والعبر للدعاة إلى الله - عز وجل - في كل مكان، وزمان؛ فالقصص القرآني يخبر الدعاة عن مناهج الأنبياء - عليهم السلام - في دعوة أقوامهم إلى الله، وبيان ما أصابهم من أذى في سبيل الله، وكان النصر في نهاية المطاف نصيبهم، وكيف أن الله أظهرهم على عدوهم رغم قلة عددهم، فعلى اللاحقين من المؤمنين عدم

اليأس، وليعلموا أن ما أصابهم من أذى قد أصاب من قبلهم، ولكن العاقبة أبداً للمتقين. (1)

المطلب الثاني: الحكمة من تكرار القصص في القرآن:

امتد نزول القرآن على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وعشرين سنة، وكان مما يتنزل عليه قصص الأنبياء والرسل قبله الذين مروا بما يمر به صلى الله عليه وسلم، من تكذيب وصدود وإعراض عن الحق وابتلاء، وكانت الآيات تنزل فيها مشهد من مشاهد قصة ذلكم النبي مع قومه بما يتوافق مع الحال وقت نزول الآيات، تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيتاً لقلبه.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه بما يتنزل من نور الوحي على هذه المعاني، ثم يوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمشهد آخر من مشاهد قصة نبي من الأنبياء (كما في قصة نوح أو موسى - عليهما السلام-) إما لتفصيل مجمل، أو إجمال مفصل، أو إبراز معنى بحسب مقتضيات المرحلة من عمر الدعوة؛ أو لإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع بقاء التحدي بأن يأتوا بسورة من مثل هذا القرآن الذي عجز العرب عن الإتيان بمثله وهذا أبلغ في التحدي... وهكذا فالتكرار لا يدل على تناقض أو اختلاف أو نقص.

وفي هذا المعنى يقول الأستاذ سيد قطب(2): (يرد القصص في القرآن في مواضع ومناسبات، وهذه المناسبات التي يساق القصص من أجلها هي التي تحدد مساق القصة، والحلقة التي تعرض منها، والصورة التي تأتي عليها).

(1) ينظر: التصوير الفني في القرآن. سيد قطب ص (144:155) ط دار الشروق الطبعة السابعة عشرة عام 2004م، ومباحث في علوم القرآن مناع القطان (301)، ط مكتبة وهبة الطبعة الحادية عشرة عام 2000م، والقصة في القرآن للدكتور محمد سيد طنطاوي ص 4 وما بعدها، ط نهضة مصر، الطبعة الأولى 1996م، والقصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث للدكتور صلاح الخالدي (1/33) وما بعدها، ط دار القلم دمشق الطبعة الأولى 1998، والمستفاد من القصص القرآني للدعوة والدعاة للدكتور عبد الكريم زيدان (1/6) وما بعدها، ط الرسالة الطبعة الأولى 1998.

(2) سيد قطب بن إبراهيم مفكر إسلامي، مصري، من مواليد قرية «موشا» في أسيوط. تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة 1353 هـ / 1934م، وانضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم 1953 وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم، رحمه الله (من كتاب الأعلام للزركلي (147/3)

والطريقة التي تؤدي بها تنسيقاً للجو الروحي والفكري والفني الذي تعرض فيه، وبذلك تؤدي دورها الموضوعي، وتحقق غايتها النفسية، وتلقي إيقاعها المطلوب، ويحسب أناس أن هنالك تكراراً في القصص القرآني، لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة، أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأداء في السياق، وأنه حينما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه، ينفي حقيقة التكرار، ويزيغ أناس فيزعمون أن هنالك خلقاً للحوادث أو تصرفاً فيها، يقصد به إلى مجرد الفن - بمعنى التزييق الذي لا يتقيد بواقع - ولكن الحق الذي يلمسه كل من ينظر في هذا القرآن، وهو مستقيم الفطرة، مفتوح البصيرة، هو أن المناسبة الموضوعية هي التي تحدد القدر الذي يعرض من القصة في كل موضع، كما تحدد طريقة العرض وخصائص الأداء.

والقرآن كتاب دعوة، ودستور نظام، ومنهج حياة، لا كتاب رواية ولا تسلية ولا تاريخ، وفي سياق الدعوة يجيء القصص المختار، بالقدر وبالطريقة التي تناسب الجو والسياق، وتحقق الجمال الفني الصادق، الذي لا يعتمد على الخلق والتزييق، ولكن يعتمد على إبداع العرض، وقوة الحق، وجمال الأداء.) (1)

ويقول الشيخ مناع القطان(2): (يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرر في غير موضع، فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن، وتُعرض في صور مختلفة في التقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب، وما شابه ذلك، ومن حكمة هذا:

1- بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها؛ فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتميز عن الآخر، وتصاغ في قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها، بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى.

(1) في ظلال القرآن (55/1) مرجع سابق.

(2) الشيخ مناع خليل القطان ولد في 1925م في قرية شنشور مركز أشمون من محافظة المنوفية بمصر، وتخرج من كلية أصول الدين، وعمل بمصر إلى عام 1953م ثم أُعير إلى السعودية وبقي فيها حتى صار مديراً للدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود، وتوفي في 19 يوليو، 1999م. ينظر كتاب من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة للمستشار عبد الله العقيل 1182/1، ط دار البشير الطبعة السابعة 2008م

2- قوة الإعجاز: فإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدي.

3- الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس، فإن التكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام، كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون؛ لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل مع أن القصة لا تكرر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها.

4- اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة فتذكر بعض معانيها الوافية بالعرض في مقام، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات؛ حسب اختلاف مقتضيات الأحوال.(1)

(1) مباحث في علوم القرآن ص (302) مرجع سابق.

المبحث السادس/ تعريف موجز يرسل الله عليهم السلام الواردين في السورة ودعواتهم المباركة.

توطئة:

لما كانت عقول البشر قاصرة لا يستطيعون وحدهم أن يهتدوا إلى الحق، وأن يعرفوا مراد الله من خلقه، ولا يقدرّون على التفريق بين الحسن والقبيح، والخير والشر، هنا كانت الحاجة ماسة إلى من يعرفهم برّبهم جل وعلا، وتلكم هي مهمة الأنبياء والرسل عليهم السلام، فالأنبياء والرسل عليهم السلام- أرسلهم الله لهداية البشرية فيبلغون إلى الناس ما يوحى إليهم من ربهم، فأمن من آمن وكفر من كفر.

هذا وقد تناولت سورة هود - وهي موضوع دراستنا - قصص عدد من هؤلاء الأنبياء الكرام، وهم أنبياء الله:

- 1- نوح- عليه السلام-
- 2- هود- عليه السلام-
- 3- صالح- عليه السلام-
- 4- لوط- عليه السلام-
- 5- شعيب- عليه السلام-
- 6- موسى- عليه السلام-
- 7- وخاتمهم نبينا محمد -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-.

وفي الأسطر القادمة تعريف موجز
بهؤلاء الرسل الكرام، ودعوتهم وحالهم مع أقوامهم.

أولاً/ نوح - عليه السلام

هو أبو البشرية الثاني، وهو أول الرسل بعد آدم - عليه السلام-، وقد اصطفاه الله للنبوة، وهداه للحق، وكلفه بالرسالة، وأثنى عليه بما هو أهله، وهو أحد أولي العزم الخمسة من الرسل، وأثنى الله عليه في القرآن فقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبَدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3]، وقد فصل القرآن الكريم قصة نوح عليه -السلام- في أكثر من سورة، وخصها بسورة كاملة؛ بيانا لأهميتها. (1)
قوم نوح:

طال الزمن بعد آدم، واستمر الناس على الحق عشرة قرون(2)، وبعدها حدثت أمور أدت إلى أن يعبد الناس الأصنام المعروفة: (وداء، وسواعا، ويغوث، ويعوق، ونسرا)، وهذه أسماء رجال صالحين بين آدم ونوح - عليهما السلام-، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون زين لهم الشيطان عبادتهم فعبدوهم.

وهذا ما قاله ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: (صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف، عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى

(1) ورد ذكر نوح عليه السلام - في مواضع كثيرة من القرآن، منها: الأعراف (59-64)، يونس (73-71)، هود (48-25)، الأنبياء (76 - 77)، المؤمنون (23-30)، الشعراء (105-122)، العنكبوت (14-15)، الصافات (75-82)، القمر (179)، سورة نوح بكاملها.

(2) أخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (621/3) في تفسير قوله تعالى: {كان الناس أمة واحدة} [البقرة: 213] وذكر بسنده عن ابن عباس قال: " كان بين نوح، و آدم، عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين {البقرة: 213} ط دار هجر الطبعة: الأولى، 2001م، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (854/7) صحيح

مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبادت) (1)

دعوة نوح لقومه:

أرسل الله نوحا إلى قومه، فدعاهم إلى التوحيد، ولكن القوم رفضوا الدعوة، واتهموه بالضلال، والجنون، والسفاهة، واتهموا أتباعه - عليه السلام - بأنهم الأراذل والسفلة، -بزعمهم- الذين بمجرد ما دعوتهم اتبعوك، فهم ليسوا على بصيرة من أمرهم، يبين ذلك قول الله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: 27]، ولم يكتفوا بهذا، بل طلبوا من نوح أن يطردهم فلا يليق بهم أن يكونوا مع الفقراء والمستضعفين، فرد عليهم نوح -عليه السلام- قائلا: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ [هود: 28] وَأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَّا إِنْ أُجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿29﴾ [هود: 28-29]

يا قوم أخبروني إن كنت "على يقين وأمر جلي، ونبوة صادقة، وهي الرحمة العظيمة من الله به وبهم، (فعميت عليكم) أي: خفيت عليكم، فلم تهتدوا إليها، ولا عرفتم قدرها، بل بادرتم إلى تكذيبها وردها، (أنلزمكموها) أي: نغضبكم بقبولها وأنتم لها كارهون. " (2)

ومع هذا استمروا في الانصراف عنه، فلم يألو نوح -عليه السلام- جهدا في دعوتهم، إلا أنهم تمسكوا بضلالهم، واستمروا في عبادة أصنامهم، وطلبوا منه

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن باب: {ولا تدرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق} حديث رقم (4636) بتحقيق د. مصطفى ديب البغا، الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) - دمشق الطبعة: الخامسة، 1414 هـ - 1993 م

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/317) المحقق: سامي بن محمد السلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1420 هـ - 1999 م

أن يتركهم: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: 32]، ومكث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً لم يهدأ، ولم يفتر، حتى أوحى الله إليه: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: 36]، ويعجب العاقل حين يعلم قلة عدد الذين آمنوا، وقد أشار الله إلى ذلك، فقال سبحانه: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: 40]

الطوفان:

لما علم نوح - عليه السلام- بأنه لن يؤمن من قومه أحد إلا من آمن معه طلب من ربه أن يهلك الكافرين جميعاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: 26-27]، وبدأ نوح - عليه السلام- والمؤمنون معه في صنع السفينة، فلما أتمها حمل فيها الذين آمنوا معه، ومن كل سائر المخلوقات زوجين اثنين.

وفار التنور:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: 40] كانت العلامة لبداية الطوفان أن يفور التنور بالماء (وهو الفرن الذي يخبز فيه)، وبدأ الطوفان، فأمرت السماء مطراً غزيراً، وتفجرت عيون الماء من الأرض، فقال نوح: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: 41] وبدأت السفينة تطفو على سطح الماء، ورأى نوح - عليه السلام ابنه، وكان كافراً، فناداه: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: 42] قَالَ سَاوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: 43-42]

ما بعد الطوفان:

وصدر أمر الله -تعالى- بأن يتوقف المطر، وأن تبتلع الأرض الماء: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَقْبِلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: 44]

وهنا تحركت عاطفة الأبوة في نبي الله نوح - عليه السلام- فناشد ربه في ولده، كما ذكر ذلك الحق- سبحانه-: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: 45] قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلِنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ [هود: 45-47]

وكما أغرق الله تعالى ابن نوح بسبب عدم إيمانه، أغرق كذلك زوجته بسبب عدم إيمانها هي الأخرى، فقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ﴾ [التحريم: 10]

الهبوط من السفينة:

ثم أمر الله نوحا - عليه السلام ومن معه من المؤمنين بالهبوط من السفينة، قال تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود: 48]، فامتثل نوح لأمر الله، وهبط من السفينة ومعه المؤمنون، وأطلق سراح الحيوانات والطيور لتبدأ دورة جديدة من الحياة على الأرض، وظل نوح عليه السلام يدعو المؤمنين، ويعلمهم أحكام الدين، ويكثر من طاعة الله إلى أن توفي ولقي ربه وهو راض عنه.

2- هود - عليه السلام-

بعث الله نبيه هودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قومه عاد، قال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: 50]، وقد فصل القرآن الكريم قصة هود - عليه السلام- وحاله مع قومه في أكثر من موضع؛ بياناً لأهميتها. (1)

من هم عاد؟

كانوا عرباً يسكنون الأحقاف (2)، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ كُرَّ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: 21]، وكانوا يسكنون البيوت ذوات الأعمدة الضخمة، ويبنون القصور العالية والحصون المرتفعة، ويتفاخرون ببنائها، وأعطى الله أهل هذه القبيلة بنية جسدية تختلف عن سائر البشر، فكانوا طوال الأجسام أقوياء، إذا حاربوا قومًا أو قاتلوهم هزموهم، وبطشوا بهم بطشا شديداً، ولذلك قال لهم نبيهم: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الشعراء: 130-131]

دعوة هود لقومه:

وبرغم هذه النعم والخيرات الكثيرة التي أعطاهم الله إياها، لم يشكروا الله - تعالى- عليها، بل أشركوا معه غيره؛ فعبدوا الأصنام، ولم يكتفوا بهذا، بل وارتكبوا المعاصي والآثام، وأفسدوا في الأرض، فأرسل الله لهم هودًا- عليه السلام - ليهديهم إلى الطريق المستقيم وينهاهم عن ضلالهم، فقال لهم: ﴿يَا قَوْمِ

(1) ورد ذكر هود - عليه السلام - في مواضع عديدة من القرآن منها الأعراف (65-74)، يونس (71-73)، هود (50-60)، الشعراء (123-140)، فصلت (1613)، الأحقاف (21-26)، القمر (18-21)، الحاقة (4-8)

(2) الأحقاف: جمع حقف بكسر فسكون، وهو المعوج من الرمل، أو هو الرمل العظيم المستدير، أو هي رمال مستطيلة بناحية الشحر، وقال ابن إسحاق: الأحقاف: رمل فيما بين عمان إلى حضرموت، وقال قتادة: الأحقاف: رمال مشرفة على البحر بالشحر من أرض اليمن. ينظر تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (23/156)، وأطلس القرآن للدكتور شوقي أبو خليل، ص (29) ط. دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، الطبعة الثانية (1423هـ - 2003)

اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿50﴾ [هود: 50]، وأوصاهم بالتوبة والرجوع إلى الله عما هم فيه من عصيان، لكنهم استكبروا وأصروا على شركهم.

وقوع العذاب بقوم عاد:

انقطع عنهم المطر مدة طويلة، ثم جاء سحب عظيم، فلما رآوه استبشروا به، وفرحوا، وظنوا أنه سيمطر ماءً، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ غَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا غَارِضٌ مُمَطِّرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: 24] ظنوا أن السحب ستأتي لهم بالخير، ولكنها كانت تحمل لهم العذاب والفناء، ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: 25]، فجاءتهم ريح شديدة استمرت سبع ليالٍ وثمانية أيامٍ دائمة دون انقطاع، تدمر كل شيء أمامها حتى أهلكتهم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَاهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَحَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الحاقة: 6-8]

ونجى الله هودًا والذين آمنوا معه، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادُ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَّا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَّا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾ [هود: 58-60]

3- صالح - عليه السلام

بعث الله نبيه صالح - عليه السلام إلى ثمود، قال تعالى: ﴿وَأِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ

صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: 61]

وتمود قبيلة عربية في منطقة الحجر التي تقع بين الحجاز والشام، والتي تسمى الآن (بمدائن صالح). (1)

وقد وردت قصة صالح- عليه السلام مع قومه في مواضع عديدة من سور القرآن الكريم. (2)

عبادة ثمود للأصنام:

أنعم الله - عز وجل - على ثمود بنعم كثيرة، وكانت لهم حضارة عمرانية كبيرة، فقد نحتوا الجبال واتخذوها بيوتاً، قال تعالى حكاية عن نبيهم: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 74]

ولكنهم قابلوا النعمة بالجحود والنكران، فكفروا بالله - سبحانه - ولم يشكروه على نعمه وعبدوا الأصنام، فأراد الله هدايتهم، فأرسل إليهم نبياً منهم، هو صالح - عليه السلام فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك ما هم فيه من عبادة الأصنام، فرفض قومه ذلك، فأمنت به طائفة من الفقراء والمستضعفين، وكفرت طائفة الأغنياء، واستكبروا وكذبوه، ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: 75-76]

(1) تفسير التحرير والتنوير (216/ 8 ب) مرجع سابق.

(2) ورد ذكر صالح - عليه السلام - في مواضع عديدة من القرآن، منها: الأعراف (73-79)، هود (61-68)، الشعراء (141-159)، النمل (545)، القمر (3223)، الشمس (11-15).

معجزة الناقة:

وطلب القوم من نبيهم آية تدل على صدقه فقالوا له: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ

الْمُسْحَرِينَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: 153-

154]، وحدثت المعجزة، فخرجت ناقة عظيمة من الجبل- بأمر الله تبارك وتعالى- فكانت برهانا ساطعا، ودليلاً على نبوة صالح، ولما رأى قومه هذه الآية العجيبة آمن بعض قومه، واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم، ثم أوحى الله إلى صالح أن يأمر قومه بأن لا يتعرضوا للناقة بسوء، لكن الشيطان أغواهم، فاتفقوا على قتل الناقة، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انْبَعَثَ

أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدمدم عليهم

رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾ [الشمس: 11-15]

وعلم صالح بما فعل قومه، وأوحى الله إليه أن العذاب سوف ينزل بقومه بعد ثلاثة أيام، ومرت الأيام الثلاثة، وخرج الكافرون في صباح اليوم الثالث ينتظرون ما سيحل عليهم من العذاب والنكال، وفي لحظات جاءتهم صيحة شديدة من السماء، وهزة عنيفة من أسفلهم، فزهقت أرواحهم، وأصبحوا في دارهم هالكين مصروعين، قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ

وَعَدُّ غَيْرِ مَكْدُوبٍ﴾ [هود: 65]، وهكذا أهلك الله عز وجل قوم صالح بسبب كفرهم

وعنادهم وقتلهم لناقة الله، والاستهزاء بنبيهم صالح - عليه السلام وعدم إيمانهم به، وبعد أن أهلك الله الكافرين من ثمود، وقف صالح - عليه السلام ومن معه من المؤمنين ينظرون ناليهم، فقال صالح - عليه السلام-: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ

أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: 79]

4- لوط - عليه السلام-

لوط عليه السلام نبي من أنبياء الله أرسله الله إلى قومه الذين كانوا يأتون الفاحشة ويقطعون الطريق على الناس، بقرية تسمى سدوم. (1)

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف: 80-81] (2)

وهو أول من آمن بإبراهيم حين رأى النار عليه بردا وسلاما. (3)، قال تعالى: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: 26]

دعوته لقومه:

وكانت أخلاق أهل تلك البلدة سيئة، فكانوا لا يستحيون من المنكر، ويقطعون الطريق، وفوق هذا كانوا يفعلون فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من العالمين؛ فكانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء، وأخذ لوط - عليه السلام- يدعو أهل سدوم إلى الإيمان وترك الفاحشة، لكنهم لم يستجيبوا له، واستمروا في ضلالهم وفجورهم، فغضب لوط من قومه، وابتعد عنهم هو ومن آمن به من

(1) سدوم: مدينة من مدائن قوم لوط. ينظر «معجم البلدان» لياقوت الحموي (3/200) الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية 1995م. وأشار الدكتور شوقي أبو خليل في أطلس القرآن ص (57، 61) أن ما كان يعرف قديما ببحيرة لوط هي (البحر الميت) وفي أقصى جنوب البحر الميت قرى سدوم وعمورة اللتان دمرتتا.

(2) جاءت قصة نبي الله لوط - عليه السلام في مواضع عديدة من القرآن منها: الأعراف (80-84)، هود (77-83) الحجر (61-77) الأنبياء (74-75)، الشعراء (160) (175) النمل (54-58)، العنكبوت (28-35)، الصافات (133-138)، القمر (33-40)

(3) تفسير القرطبي (13/339)، وذكر ابن كثير أن لوطا (هو ابن أخي إبراهيم الخليل - عليهما السلام-) وكان قد آمن مع إبراهيم - عليه السلام- وهاجر معه إلى أرض الشام، فبعثه الله إلى أهل سدوم، وما حولها من القرى، يدعوهم إلى الله عز وجل، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم، والمحارم، والفواحش التي اخترعوها لم يسبقهم بها أحد من بني آدم، ولا غيرهم، وهو إتيان الذكور دون الإناث، وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه، ولا يخطر ببالهم، حتى صنع ذلك أهل سدوم عليهم لعائن الله. تفسير ابن كثير (3/444)

أهل بيته إلا زوجته، فقد كفرت وانحازت إلى قومها، وشاركتهم في مضايقته والاستهزاء به، وضرب الله بها مثلاً في الكفر، فقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحریم: 10]، وخيانة امرأة لوط هي كفرها وعدم إيمانها بالله. (1)

الملائكة تزور لوطا - عليه السلام:

أرسل الله ثلاثة من الملائكة لنبي الله لوط - عليه السلام، فلما رأهم أُصيب بالغم، لما سيرترب على مجيئهم من شرور قومه، قال تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [٧٨] قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [٧٩] قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: 78-80]

وأصروا على الدخول، ولم يجد لوط من بينهم رجلاً عاقلاً يبين لهم ما هم فيه من الخطأ، وأحس لوط بضعفه أمام هؤلاء القوم، فقال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: 80] ، وعندئذ كشف الضيوف عن حقيقتهم، وأخبروا لوطاً بأنهم ليسوا بشراً وإنما هم ملائكة من السماء جاءوا لتعذيب هؤلاء القوم الفاسقين، وما هي إلا لحظات حتى اقتحم قوم لوط البيت على الملائكة، فأشار أحد الملائكة بيده ناحيتهم ففقد القوم أبصارهم، وراحوا

(1) قال ابن عباس وغيره: "خاننا" في الكفر، وفي أن امرأة نوح كانت تقول للناس: إنه مجنون، وأن امرأة لوط كانت تنم إلى قومه متى ورده ضيف فتخبر به وقال ابن عباس: وما بغت زوجة نبي قط، ولا ابتلي الأنبياء في نسائهم بهذا." من تفسير "المحرر الوجيز لابن عطية (5/335) مرجع سابق

يتخبطون بين الجدران، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ

فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿[القمر: 37]

هلاك قوم لوط:

طلبت الملائكة من لوط أن يرحل مع أهله عندما يقبل الليل، لأن العذاب سينزل على قومه في الصباح، ونصحوه ألا يلتفت هو ولا أحد من أهله خلفهم عندما ينزل العذاب حتى لا يصيبهم، قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ وَقَصَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿[الحجر: 65-66] وفي الليل خرج لوط وابنتاه وتركوا القرية، وأرسل الله العذاب الشديد على قرية سدوم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سَجِيلٍ مَنْضُودٍ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿[هود: 82-83]

(إنها قصة غريبة، قصة قوم أذمنوا الفاحشة، ابتكروا هذه الفاحشة ابتكاراً، فكان عليهم وزرها ووزر من عملها من بعدهم، هذه الفاحشة، ما حدثت في قوم من الأقوام قبل قوم لوط، فاحشة إتيان الذكور، أو ما كانوا يسمونه في عصرنا: (الشدوذ الجنسي)، والآن لم يعودوا يسمونه الشدوذ الجنسي؛ لأن كلمة الشدوذ هي اسم ذم، وهؤلاء لا يريدون أن يذمهم أحد، فأصبحوا يسمونه: (المثلية)؛ أي: الرجل يأتي الرجل، والمرأة تأتي المرأة، قوم لوط قاموا بهذه الفاحشة وأصبحت معروفة بينهم، واستمرأوا هذه الرذيلة، وتركوا نساءهم اللاتي خلّقهن الله لهم، ولكن هؤلاء انتكسوا وارتكسوا، قلبوا فطرة الله التي فطر الله الناس عليها، فلذلك استحقوا عذاب الله.) (1)

وبقيت قرية سدوم عظة وعبرة لكل الأجيال القادمة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ

لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَقْلًا تَعْقِلُونَ ﴿٣٨﴾ [الصفوات: 137-138]

(1) تفسير سورة الحجر للدكتور يوسف القرضاوي باختصار يسير، ص (129) الناشر: مكتبة وهبة الطبعة الأولى (1433هـ- 2012)

5- شعيب - عليه السلام-

أرسل الله نبيه شعيباً إلى قومه مَدْيَنَ، وتطلق مدين (1) على القبيلة، وعلى المدينة، وهي التي بقرب "معان" من طريق الحجاز (2)، قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: 84] (3)
دعوة شعيب - عليه السلام - لقومه:

كان قومه كفاراً يقطعون السبيل، ويخيفون المارة، ويعبدون الأيكة (شجرة)، وكانوا يبخسون المكيال والميزان ويطففون، فبعث الله نبيه شعيباً - عليه السلام - إليهم، فدعاهم إلى التوحيد، وترك القبائح، وعدم ظلم الناس.

قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 85]، ولكن كعادة الأمم الظالمة، كذبوا نبيهم واستهزأوا به ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: 87]، فأجابهم شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88] ولكنهم عاندوا وكابروا، فتوعدهم بوقوع العذاب فقال: ﴿وَيَا قَوْمِ

(1) مَدْيَنُ: على بحر الفلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل وهي أكبر من تبوك وبها البئر التي استقى منها موسى، عليه السلام، لسائمة شعيب، وهي مدينة قوم شعيب، وتقع حالياً شرق خليج العقبة. ينظر معجم البلدان (5/78)، وأطلس القرآن ص (71)

(2) تفسير ابن كثير (3/447) مرجع سابق.

(3) ورد ذكر شعيب - عليه السلام - في مواضع عديدة من القرآن منها الأعراف (85-93)، هود (84-95)، الشعراء (176) (190)، العنكبوت (36-37)

اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ

وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿ [هود: 93]

وقوع العذاب بقومه:

لما استحقوا العقاب والعذاب، جمع الله لهم صنوفاً من العذاب، لأنهم جمعوا صنوفاً كثيرة من الأفعال القبيحة، فأخذوا بعذاب الظلة (1)

قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ

عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: 189]، ثم عذبوا بالرجفة التي زلزلت الأرض من تحتهم

وأزهقتهم، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ﴾ [الأعراف:

91]، ثم عذبوا بالصيحة وهي صيحة عظيمة أخدمت الأصوات وأزهقت

أرواحهم، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا

وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِمِينَ ﴿١٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا

أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴿١٥﴾﴾ [هود: 94-95]

فأعرض شعيب عنهم حين رأى الهلاك الذي نزل بهم وقال معلنا عدم حزنه

عليهم وعلى ما حل بهم: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي

وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 93]

(1) الظلة سحابة بدت لهم أرادوا أن يستظلوا بها، فكانت عذاباً لهم، انظر: التفسير الوسيط (7/1623) مرجع سابق.

6- موسى - عليه السلام-

موسى - عليه السلام نبي مرسل من أولي العزم من الرسل(1)، وتعتبر قصته عليه السلام من أكثر القصص ورودا في القرآن الكريم.(2)، وهو كليم الله، فقد كلمه الله مباشرة بدون واسطة كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى

تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164]

فرعون وطغيانه مع بني إسرائيل:

استقر بنو إسرائيل في مصر زمن يوسف -عليه السلام- وأصبح لهم نسلٌ كبيرٌ، ثم دار الزمان وملك مصر فرعون، فحكم بالقوة والبطش وخشي فرعون من كثرة بني إسرائيل أن يقع منهم شرٌ، فأذلهم واستعبدهم، وسخرهم في أشق الأعمال، وأكثرها جهدا لإنهاك قواهم، كما جعلهم فرقا وأحزابا، قال تعالى:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ

(1) ورد ذكر نبي الله موسى - عليه السلام في مئة وواحد وثلاثين آية في أربع وثلاثين سورة من سور القرآن الكريم منها: البقرة وآل عمران، النساء، المائدة الأنعام، الأعراف، يونس، مريم، طه، القصص، الكهف.

(2) لعل السبب في ذلك ما ذكره ابن تيمية ، في مجموع الفتاوى (9/12) ، قال: وثنى قصة موسى عليه السلام مع فرعون لأنهما في طرفي نقيض في الحق والباطل، فإن فرعون في غاية الكفر والباطل حيث كفر بالربوبية وبالرسالة، وموسى عليه السلام في غاية الحق والإيمان من جهة أن الله كلمه تكلّما لم يجعل الله بينه وبينه واسطة من خلقه، فهو مثبت لكمال الرسالة وكمال التكلم، ومثبت لرب العالمين بما استحقه من النعوت، وهذا بخلاف أكثر الأنبياء مع الكفار، فإن الكفار أكثرهم لا يجحدون وجود الله، ولم يكن أيضا للرسول من التكليم ما لموسى؛ فصارت قصة موسى عليه السلام وفرعون أعظم القصص وأعظمها اعتبارا لأهل الإيمان ولأهل الكفر. انتهى.

وأشار ابن القيم إلى فائدة أخرى وهي وجود التناسب بين شريعة موسى وشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وبين كتابيهما ولهذا يكثر في القرآن ذكر موسى وكتابه وبعده ذكر القرآن؛ كما قال الله تعالى: (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين) [الأنبياء:48]، ولهذا يذكر الله سبحانه وتعالى قصة موسى عليه السلام ويعيدها ويبيدها ويسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يناله من أذى الناس: لقد أذى موسى بأكثر من هذا فصبر. فتأمل هذا التناسب بين الرسولين والكتابين والشريعتين. ينظر جلاء الأفهام لابن القيم (197-200) بتحقيق شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: دار العروبة -

الكويت الطبعة: الثانية، 1407 - 1987

أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ [القصص: 4]، ومرت السنوات، فقلّ عدد بني إسرائيل بسبب قتل الذكور من المواليد، فخافوا أن لا يجدوا من يعمل في أراضيهم ويخدمهم، فقرر فرعون أن يقتل الذكور عامًا، ويتركهم عامًا آخر، فولد هارون في العام الذي لا يُقتل فيه الأطفال. (1)، أما موسى فقد ولد في عام القتل، فخافت أمه عليه، وابتكرت تذكيرها في المكان الذي تضعه فيه بعيدًا عن أعين جنود فرعون فأوحى الله تعالى إليها: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًّا وحزناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِىَ وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [القصص: 7-9]

عودة موسى إلى حضن أمه:

وأمرت أم موسى أخته بمتابعتها، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ لِأُخْتِهِ قُصِّيه فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 10-11]، والتمست زوج فرعون المراضع لهذا الطفل الصغير؛ فأمرت بإحضار مرضعة ترضعه، فجاأ إلى القصر عدد كثير من المرضعات، لكن الطفل امتنع عن أن يرضع منهن، مما جعل أهل القصر ينشغلون بهذا الأمر، واشتهر هذا الأمر بين الناس، فعرفت أخته بذلك، فأشارت عليهم أنها تعلم مرضعة تصلح لهذا الطفل، واستدعت زوجة الملك أم موسى وأحسنّت إليها وأعطتها عطاءً جزيلاً - وهي لا تعرف أنها أمه الحقيقية - وحين طلبت أم موسى أن تأخذ معها موسى لترضعه في بيتها أجابتها امرأة فرعون إلى ذلك، وأجرت عليها النفقة. (2)

حادثة قتل موسى للقبطي:

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ

(1) ينظر تفسير ابن كثير (6/221) مرجع سابق.

(2) ينظر التفسير الوسيط 1745/7 مرجع سابق.

عَدُوهُ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾
 قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا
 أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ [القصص: 15-17] ، ودخل موسى المدينة
 مستخفيا في وقت راحة الناس فيها في بيوتهم في وقت القيلولة، أو ما يشبه ذلك،
 فَوَجَدَ فِيهَا أَيْ رَجُلَيْنِ يَتَخَاصِمَانِ وَيَتَنَازِعَانِ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ؛ هَذَا مِنْ شَيْعَتِهِ
 مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالثَّانِي كَانَ مِنَ الْقِبْطِ الَّذِينَ كَانُوا يُسَمُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَوَاءَ
 الْعَذَابِ، فَاسْتَغَاثَهُ الْإِسْرَائِيلِيُّ لِيُنْقِذَهُ مِنْ يَدِ الْقِبْطِيِّ، فَوَكَزَهُ مُوسَى (الضرب بجميع
 الكف) فقتله، وهو لا يريد قتله، وإنما كان يريد دفعه ومنعه من ظلم الرجل
 الإسرائيلي، ولكن موسى- عليه السلام بعد أن رأى القبطي جثة هامدة، استرجع
 وندم، وقال: هذا الذي فعلته وهو قتل القبطي، من عمل الشيطان ومن تزيينه فهو
 عدو للإنسان مُضِلٌّ لَهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، ثُمَّ أَضَافَ إِلَى هَذَا النَّدَمِ وَالِاسْتِرْجَاعِ،
 نَدْمًا وَاسْتِغْفَارًا آخَرَ فَقَالَ: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي، بِتِلْكَ الضَّرْبَةِ الَّتِي تَرْتَبُ عَلَيْهَا
 الْمَوْتُ، فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَغَفَرَ اللَّهُ- تَعَالَى- لَهُ ذَنْبَهُ، فَقَالَ: رَبِّ اعصمني بحق ما
 أنعمت على من المغفرة فلن أكون- إن عصمتني- ظهيرا للمجرمين. (1)

انتشار خبر مقتل الرجل القبطي:

وفي اليوم التالي وبينما موسى يسير في المدينة؛ وجد الرجل الإسرائيلي
 نفسه يتشاجر مع مصري آخر، واستغاث مرة ثانية بموسى فغضب موسى من
 هذا الأمر، ثم تقدم ليفض هذا النزاع، فظنَّ الإسرائيلي أن موسى سيقبل عليه؛
 ليضربه لأنه غضبان منه ففضح الأمر بحماقته، قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ
 خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ
 مُبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي

(1) ينظر التفسير الوسيط للقرآن الكريم للدكتور محمد سيد طنطاوي (387/ 10 وما بعدها)
 الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى (1997)
 (1998م).

كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنَّ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ
تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٨﴾ [الفصص: 18-19]

ومن هنا انتشر الخبر وعرفوا أن موسى هو القاتل، واجتمع الملائكة من قوم
فرعون ليلبحثوا الأمر بعد أن تبين أن موسى هو القاتل، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ
مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ
مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾
[الفصص: 20-21]، فخرج موسى - عليه السلام - من مصر ممثلاً نصح ذلك المؤمن
خائفاً يتوقع أن يتعرض له أعداؤه بالأذى في الطريق، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا
خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي
أَنْ يَهْدِيَني سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الفصص: 21-22]

وصول موسى - عليه السلام - ماء مدين:

فلما وصل إلى مدين توجه ناحية شجرة بجوار بئر، وجلس تحتها فرأى
فتاتين، ومعهما أغنامهما تقفان بعيداً عن الازدحام حتى ينتهي الناس، فتقدم موسى
منهما، وسألها عن سبب وقوفهما بعيداً، فأخبرتاها أنهما لا يسقيان حتى ينتهي
الناس من سقي أغنامهم، ويخف الزحام، وقد خرجا يسقيان لأن أباهما

شيخ كبير لا يستطيع أن يتحمل مشقة هذا العمل، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ
مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا
حَطَبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى
إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الفصص: 23-24]، ولما عادت
الفتاتان إلى أبيهما، قصتا عليه ما حدث، فأعجب الأب بهذا الرجل الغريب
وشهامته ومروءته، وأمر إحدى ابنتيه أن تخرج إليه، وتدعوه للحضور ليكافئه،
﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا
سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾
[الفصص: 25] ، وهنا طلبت إحدى الفتاتين من أبيها أن يستأجر موسى ليعينهما فهو

رجل قوي أمين، قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُشَقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٦٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الفصص: 26-28] ، فوافق موسى على هذا الأمر، وتزوج إحدى البننتين، واستمر يرعى الغنم عشر سنين، ثم أراد موسى الرحيل والعودة بأهله إلى مصر، فوافق الشيخ الصالح على ذلك، وأكرمه وزوده بما يعينه في طريق عودته إلى مصر. (1)

تكليف موسى بالرسالة:

وسار موسى بأهله تجاه مصر، حتى حل عليهم الظلام، فجلسوا يستريحون من أثر هذا السفر، وكان الجو شديد البرودة، فأخذ موسى يبحث عن شيء يستدفئون عليه، فرأى ناراً من بعيد، فطلب من أهله الانتظار؛ حتى يذهب إلى مكان النار، ويأتي منها بشيء يستدفئون به، وتوجه موسى وفي يده عصاه ناحية النار التي شاهدها، فلما وصل إليها سمع نداء يقول: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ

(1) قال ابن كثير: وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل من هو؟ على أقوال: أحدها أنه شعيب النبي عليه السلام الذي أرسل إلى أهل مدين. وهذا هو المشهور عند كثيرين، وقد قاله الحسن البصري وغير واحد. ورواه ابن أبي حاتم. حدثنا أبي، حدثنا عبد العزيز الأويسي، حدثنا مالك بن أنس؛ أنه بلغه أن شعيباً هو الذي قص عليه موسى قال: ولا تخف نجوت من القوم الظالمين، وقد روى الطبراني عن سلمة بن سعد العنزي أنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: "مرحبا بقوم شعيب وأختان، موسى هديت، وقال آخرون: بل كان ابن أخي شعيب. وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب. وقال آخرون كان شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة؛ لأنه قال لقومه: وما قوم لوط منكم ببعيد [هود: 95]. وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل، عليه السلام بنص القرآن، وقد علم أنه كان بين موسى والخليل عليهما السلام، مدة طويلة تزيد على أربعمئة سنة، كما ذكره غير واحد. وما قيل: إن شعيباً عاش مدة طويلة، إنما هو والله أعلم احتراز من هذا الإشكال، ثم من المقوي لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن هاهنا وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى لم يصح إسناده، كما سنذكره قريباً إن شاء الله. ثم من الموجود في كتب بني إسرائيل أن هذا الرجل اسمه: "ثبرون"، والله أعلم. أهـ من تفسير ابن كثير (6/228)

شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا
 مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ ﴿٣١﴾ [القصص: 30-31]، ومن هنا كان التكليف
 الإلهي لموسى - عليه السلام- بالرسالة فأمره الله- عز وجل- بالذهاب إلى فرعون
 لهدايته وتبليغه الدعوة، فاستجاب موسى لأمر ربه، ثم أخذ يدعو ربه بأن يوفقه
 لما هو ذاهب إليه، ويسأله العون والمدد، فقال: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ
 لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: 25-28]، وسأل موسى ربه أن

يعينه بأخيه هارون ليكون عوناً له على مهمته، فقال: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ
 أَهْلِي﴾ ﴿٣٢﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٣﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣٤﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٥﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٦﴾
 وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٧﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٨﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴿٣٩﴾ [طه:
 29-36]، وكان فرعون جباراً في الأرض شديد البطش والظلم ببني إسرائيل
 فتوجه هارون وموسى- عليهما السلام- إلى ربهما يدعوانه بأن ينقذهما من
 طغيان فرعون ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ [طه: 45]، فقال
 لهما الله تعالى مطمئناً ومثبئاً: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: 46] ،

فلما ذهب موسى مع أخيه هارون إلى فرعون قاما بدعوته إلى الله، وإخراج بني
 إسرائيل معهم، لكن فرعون راح يستهزئ بهما ، ويسخر منهما ، ومما جاء به،
 وذكر موسى بأنه هو الذي رباه في قصره وظل يرعاه حتى قتل القبطي وفر

هارباً، كما بين الله تعالى في قوله حكاية عن فرعون : ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا
 وَلَبِيتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾
 قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي
 حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمَّتْهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾
 [الشعراء: 18-22]، وقال فرعون مستنكراً ما قاله موسى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ

الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ
 حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي

أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٣٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣٨﴾ قَالَ لَئِنْ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ أَوْلُو جِثَّتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ قَالَ فَآتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٤٣﴾ [الشعراء: 23-33]

ومع هذه الآيات البيّنات؛ إلا أن فرعون أعلن في قومه أن موسى - عليه السلام- ساحر، ليهوّن من شأن موسى -عليه السلام-، وينال منه، منعا لقومه أن يميلوا إليه، فقال: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٤١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الشعراء: 34-37]

واتفقوا على أن يكون الموعد يوم عيدهم: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسَ ضُحًى﴾ [طه: 59]، ويوم الزينة يوم عيد كان لهم، أو سوق كانوا يتزينون فيه (1)، فاختره موسى عليه السلام حتى يحضر الكثير من الناس هذا المشهد، واختار وقت الضحى ليكون كل شيء واضح لكل ذي عينين.

وسارع فرعون في إعلان الموعد لجميع الناس، ليشهدوا هذا اليوم، وكتب إلى كل السحرة ليعدوا للعدة لذلك اليوم.. وجاء اليوم المنتظر، وتسابق الناس إلى ساحة المناظرة، قال تعالى: ﴿فَجَمِعَ السَّحَرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا أَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الشعراء: 38-42]، وعرض السحرة على موسى أحد أمرين؛ إما أن يلقي عصاه أولاً أو يلقوا عصيهم أولاً؟ فترك لهم موسى البداية.

(1) ينظر تفسير الطبري (18/323)

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ [طه: 65-70]، لقد آمن السحرة بعد أن تيقنوا أن ما حدث ليس سحرا - فهم أعلم الناس بالسحر- وإنما هو حقيقة ووقع كل منهم سجدا لله وحده معلنين إيمانهم بالله وبرسالة رسوله موسى وهارون - عليهما السلام-، وهنا اشتد غيظ فرعون وأخذ يهدد السحرة ويتوعدهم بالعذاب والنكال، كما قال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْمِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾ [طه: 71-76]

التحريض على قتل موسى:

أصدر فرعون أوامره لجنوده أن يقتلوا أبناء الذين آمنوا من بني إسرائيل، ويتركوا النساء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَدْرُكُوا إِلَهُكَ قَالَ سَنَقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأعراف: 127] ، واستطاع فرعون بهذه التهديدات أن يرهب الضعاف من قوم موسى، فلم يؤمنوا به خوفاً من فرعون وبطشه، قال تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى

إِلَّا ذُرِّيَّةً مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿يونس: 83﴾

عقاب الله لفرعون وقومه لعلمهم يرجعون:

ومع بلوغ فرعون ما بلغ من الفجور والبغي والظلم والعلو في الأرض وموافقة قومه له في ذلك؛ سلط الله عليهم أعوام جدد وفقر حيث قل ماء النيل، ونقصت الثمار، وجاع الناس، وعجزوا أمام بلاء الله - عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 130]، ثم أنزل الله بهم أنواعاً أخرى من العذاب لاستكبارهم وإصرارهم على الكفر بالله وبرسوله، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالذَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 133]

ولجأ قوم فرعون لنبي الله موسى أن يدعو ربه بكشف هذا العذاب عنهم على وعد بإطلاق سراح بني إسرائيل، فدعا موسى ربه حتى استجاب له، وكشف ما أصاب فرعون وقومه من عذاب وبلاء، لكن فرعون زاد في عناده وكفره بالله، ولما رأى موسى إصرار فرعون على كفره وجحوده، وتماديه في غيئه وتكذيبه بكل الآيات التي جاء بها، دعا عليهم فقال: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوَا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: 88] ، واستجاب الله لدعاء نبيه فقال: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: 89]

خروج موسى - عليه السلام ببني إسرائيل:

وأمر الله -تبارك وتعالى- نبيه - موسى وهارون - عليهما السلام - (أن يخرجوا ببني إسرائيل من مصر، فخرجوا على حين غفلة من فرعون وقومه فلما علم فرعون بخروجهم، خرج بجنوده في طلبهم بغيا وعدوا، فلما أدركهم قالوا يا موسى كيف الخلاص؟ والبحر أمامنا والعدو وراءنا، فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، فسلك موسى ببني إسرائيل طريقا في البحر يبسا ووصل فرعون وجنوده إلى الساحل وكان طريق بني

إسرائيل في البحر لا يزال باقيا، فسار فيه فرعون بجنوده فلما اكتملوا جميعا فيه وهم أولهم بالخروج، انطبق البحر عليهم وأغرقوا أجمعين(1)

قال الحق -تبارك وتعالى-: ﴿فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا تَرَأَى الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٨﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٩﴾﴾ [الشعراء: 60-63]، ولما أدرك فرعون أنه سيعرق أراد أن ينجو فقال أمنت بإله بني إسرائيل، لكن هيهات هيهات ، قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لِيَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: 90-92]، لقد نفذ أمر الله، وغرق فرعون لأنه آمن وهو يعاين الموت وهذا وقت لا تنفع فيه التوبة، ولا ينفع الندم.

بنو إسرائيل في سيناء:

عبر موسى -عليه السلام- وقومه البحر، ومَضَوْا في طريقهم حتى وصلوا إلى قومٍ يَتَّخِذُونَ الأصنامَ آلهةً لهم، فطلب قوم موسى منه أن يَتَّخِذُوا آلهةً كما لهم، فأجابهم موسى -عليه السلام- مستنكرا: كيف تطلبون هذا الطلب وقد أنجاكم الله من فرعون وبطشه بكم وبأولادكم كما بين ذلك الحق -تبارك وتعالى- فقال: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغْيَرَ اللَّهُ بَعْضَكُمْ إِيَّاهَا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾ [الأعراف: 138-141]

(1) ينظر تفسير الطبري (134/4)

موسى يذهب للقاء ربه:

واعد الله موسى أن يكلمه في موعد بعد أربعين ليلة، واستخلف موسى أخاه هارون، ثم ذهب للقاء ربه، وكلمه الله -تعالى- من وراء حجاب، فطلب موسى منه -سبحانه- أن يراه، فأخبره ربه بأنه لا يمكنه تحمّل ذلك؛ وأعطاه برهانا حسيا على ضعفه، قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأْتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف: 142-144]

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري، قال: جاء رجل من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد لطم وجهه، فقال: يا محمد، إن رجلا من أصحابك من الأنصار لطم وجهي، قال: (ادعوه). فدعوه، قال: (ألطمت وجهه). قال: يا رسول الله، إنني مررت باليهود فسمعتهم يقول: والذي اصطفى موسى على البشر، قال: قلت: أعلى محمد صلى الله عليه وسلم؟ قال: فأخذتني غضبة فلطمته، قال: (لا تخيروني من بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي، أم جوزي بصعقة الطور). (1)

ثم أخذ الألواح، وأمره أن يأخذها بقوة وأن يعمل بما فيها، قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الديات، باب: إذا لطم المسلم يهوديا عند الغضب، حديث رقم: (6519)

لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعِغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ [الأعراف: 145-146]

السامريّ وعبادة العجل:

وعلم موسى وهو يكلم رب العزة أن قومه قد فتنوا وعبدوا العجل، وأن رأس الفتنة في ذلك السامري الذي صنع لهم عجلاً من الحلي التي أخذوها من المصريين عند خروجهم، وادّعى أنه إلههم، وأنّ عليهم عبادته، ففتن القوم، وعبدوه من دون الله، قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَتَنَى ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ [طه: 88-89]، ونهاهم هارون -عليه السلام- عن ذلك، فلم يستجيبوا له، بل اشتدّ تمسكهم بعبادة العجل، فقالوا: ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ [طه: 91]، فلما عاد موسى -عليه السلام- إلى قومه وقد اشتد غضبه وأسفه قال لهم معاتباً ومستنكراً: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ [طه: 86] ، واشتد على أخيه هارون -عليه السلام-، وأمسك برأسه ولحيته حتى استرحمه أخوه بقوله: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: 94]، وأخبره أنّهم استضعفوه، وكادوا يقتلونه، فلم يقوَ على ردّهم.

ثم توجه بالسؤال إلى السامريّ، فسأله عن فعلته، ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ [طه: 95] قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي ﴿٩٦﴾ قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لئحرقته ثم لئنسفته في اليمّ نسفاً ﴿٩٧﴾﴾ [طه: 95-97]

نعم الله على بني إسرائيل:

ومن نعم الله تعالى على بني إسرائيل أنهم وهم في الصحراء أراهم الله آياته من تظليل الغمام لهم وساق لهم من الطعام الطيب، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمُ الْمُغَمَّ وَأَوَّضْنَا لَهُمُ الْحُمُلَ مِنَ الْغَمِّ وَأَنزَلْنَا عَلَيْنَا مَنَّانًا لِيَسْرِبُوا تَهْلِكُوا بِهَا الشَّيَاطِينُ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنَّا إِنَّا مَثَلُ الْإِنسَانِ أَكْثَرٌ خَسْرًا﴾ [البقرة: 57]، ثم فجر لهم الله اثنتي عشرة عينا ليشرابوا ماء عذبا سهلا يسيرا في هذه الصحراء، قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: 60]، ومع كل هذه النعم طلب بنو إسرائيل من موسى أن يأكلوا مطعومات أخرى غير المن والسلوى كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلِهَا قَالَ آتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: 61]

يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة:

وتنفيذا لأمر الله -تبارك وتعالى- أمر موسى -عليه السلام- أن يدخلوا الأرض المقدسة فلسطين، وبين لهم أن الله كتب لهم دخولها والنصر على عدوهم؛ فلا ينبغي أبدا أن ينكلوا عن أمر الله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ [المائدة: 20-21]

ولكن بني إسرائيل كعادتهم جادلوا نبيهم وقالوا له: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: 22]، وهنا ألهم الله رجلين مؤمنين أن يقولوا لهم: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ

يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى
اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿23﴾ [المائدة: 23] فقط عليكم أن تأخذوا بالأسباب، وقلوبكم
معلقة بالله الذي بيده النصر، لكن القوم قد تمكن الجبن والضعف منهم فقالوا:
﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنُ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا
قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]

وهنا توجه موسى -عليه السلام- بالشكوى إلى ربه قائلا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا
أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: 25]، وقد استجاب
الله- تبارك وتعالى- دعاءه فيهم، فقال: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ
فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: 26]

وفاة موسى عليه السلام ومكان دفنه:

وبقي موسى في قومه في فترة التيه حتى وافاه الأجل، وقد ثبت عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال عن موسى لما حضرته الوفاة: فسأل الله أن يدينه من
الأرض المقدسة رمية بحجر، والحديث رواه أبو هريرة - رضي الله عنه- عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق
عند الكتيب الأحمر). (1)

فسأل موسى ربه أن يقبضه على مشارف الأرض المقدسة التي كان يتشوف
أن يدخلها مع قومه، فلما حدث منهم ما حدث من نكول سأل الله ذلك، ومقدار رمية
حجر أي قريبا منها أو على مشارفها.

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز، باب: من أحب الدفن ليلا في الأرض المقدسة أو
نحوها حديث رقم (1274) ورواه مسلم في كتاب الفضائل باب فضائل موسى حديث رقم
(2372) بتحقيق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصارى وآخرون، الناشر: دار الطباعة
العامة - تركيا، عام النشر: 1334 هـ

7- خاتم الأنبياء والمرسلين

محمد - صلى الله عليه وسلم-

ولد خاتم الأنبياء وإمام المرسلين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب -صلى الله عليه وسلم- بمكة، يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول، عام الفيل في أشرف بيت من بيوت العرب، وهم بنو هاشم، وكان قد توفي أبوه وهو جنين في بطن أمه. (1)

في بني سعد:

واسترضع له امرأة من بني سعد، وهي حليلة، ورأت حليلة من بركته ما قصت منه العجب، وفي السنة الرابعة من مولده وقع حادث شق صدره وخشيت عليه حليلة بعد هذه الواقعة فردته إلى أمه، فكان عند أمه إلى أن بلغ ست سنين، ثم ماتت أمه فكفله جده حتى مات عنه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه أبو طالب.

حرب الفجار:

وفي العشرين من عمره صلى الله عليه وسلم وقعت حرب بين قريش وبين قيس عيلان، تعرف بحرب الفجار، وسميت بذلك؛ لانتهاك حرمة الشهر الحرام فيها، وقد حضر هذه الحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ينبل على عمومته؛ أي يجهز لهم النبل للرمي.

حلف الفضول:

وعلى أثر هذه الحرب وقع حلف الفضول فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلّمته، وشهد هذا الحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم.

زواجه بخديجة:

ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عمل معين في أول شبابه، إلا أن الروايات تواترت أنه كان يرعى غنماً، ويبدو أنه انتقل إلى عمل التجارة حين شب، وفي

(1) نظرا لاتساع الكلام في سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم بما يتسع له مجلدات فقد قام الباحث بتلخيص هذا المبحث من كتاب الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري ط دار الوفاء الطبعة العشرون 2009

الخامسة والعشرين من سنة خرج تاجرًا إلى الشام في مال خديجة، ولما رجع إلى مكة، ورأت خديجة في مالها من الأمانة والبركة ما لم تر قبل هذا، فوجدت ضالتها المنشودة فيه فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها، فذهبت إليه تفتحه أن يتزوج خديجة، فرضى بذلك، وكلم أعمامه، وتم الزواج، وكل أولاده صلى الله عليه وسلم منها سوى إبراهيم.

حالة العرب قبل الإسلام:

كانت العرب قد انتشرت بينهم عبادة الأصنام، وكانوا يؤمنون بأن الله هو الخالق الرزاق المحيي المميت، ومع ذلك كانوا يشركون به ويدعون معه غيره، بل كانت الكعبة وهي بيت الله المعظم تحيط بها الأصنام من كل جانب.

جبريل ينزل بالوحي:

ولما تكامل له أربعون سنة أكرمه الله بالنبوة، وأنزل عليه أول ما نزل من آيات سورة العلق، قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ

عَلَقٍ ۝ اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾

[العلق: 1-5]، ثم انقطع الوحي أياماً، ثم عاد بتكليف النبي صلى الله عليه وسلم

بالرسالة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ

فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝ وَلَا تَمُنْ بِتَسْتَكْبِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝﴾ [المدثر: 1-7]

ثلاث سنوات من الدعوة السرية:

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى؛ وكان من الحكمة أن تكون الدعوة في بدء أمرها سرية؛ فعرض الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام أولاً على ألق الناس به من أهل بيته وأصدقائه، فدعاهم إلى الإسلام، ودعا إليه كل من توسم فيه الخير ممن يعرفهم ويعرفونه، وعرف هؤلاء بالسابقين الأولين.

الجهر بالدعوة

نزل الوحي يكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بإعلان الدعوة، قال تعالى:

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: 94-95]

مقاومة قريش للدعوة

انزعج كفار مكة من دعوة التوحيد، ورأوا فيها تهديدا لمراكزهم وسيادتهم ولمعتقداتهم الموروثة عن آبائهم، فانتصبوا لعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم ومقاومة دعوته وإلحاق الأذى به؛ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه، يظهر دين الله، ويدعو إليه وانتشر خبره بين القبائل، وأمن به بعض الأفراد القلائل، ووثبت كل قبيلة من قريش على من فيها من مستضعفي المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم، بالضرب والجوع، والعطش، ورمضاء مكة والنار ليفتنوهم عن دينهم، ولم يسلم الرسول صلى الله عليه وسلم منهم فقد لحق به أشد أنواع الأذى، وكانوا يسخرون ويستهزئون به فاتهموه بالجنون، واتهموه بالسحر والكذب.

المبالغة في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم:

في الحديث عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه قال: (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان، فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية، فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته، رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا ثلاثا، وإذا سأل ثلاثا، ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأميرة بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق، لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب، - قليب بدر - (1)

(1) رواه البخاري في كتاب الوضوء، باب: إذا ألقى على ظهر المصلي قدر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته، حديث رقم (237) ورواه مسلم في صحيحه في الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين، حديث رقم: (1794)

ومع ذلك فقد استمر النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى الله تعالى صابرا محتسبا، فكان يحضر مجامعهم ومحافلهم وفي المواسم، وفي الحج يبلغ الرسالة ويؤدي الأمانة ويعرض الدعوة.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه أصحابه لتحمل أذى المشركين، ويربيهم على الصبر والثبات وتحمل الأذى، ولَمَّا اشْتَدَّ بِهِمُ الْبَلَاءُ أَذِنَ اللَّهُ لَهُمْ بِالْهَجْرَةِ الْأُولَى إِلَى الْحَبَشَةِ، ثم عادوا بعد أن سمعوا أن قريشا قد كفت عن الأذى، وكان ذلك غير صحيح، فلما اشتد الأذى أَذِنَ لَهُمُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً.

بيعة العقبة الثانية:

وفي العام 12 من البعثة، وافى اثنا عشر رجلا من الأنصار في الموسم، فاجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبايعوه، فلما عادوا أرسل معهم مصعب ابن عمير إلى المدينة، وفي العام الذي يليه حضر من الأنصار جماعة في موسم الحج، فاجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم مستخفين، وكانوا سبعين رجلا وامرأتين، وبايعوه على النصر والتأييد، وعلى أن يمنعوه مما يمنعون أنفسهم وأهليهم.

وبدأ المسلمون بالهجرة إلى المدينة، ورأت قريش أن الرسول قد صار له شيعية وأصحاب بغير بلدهم، فتأمروا على قتله فأجاء الله منهم، وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم بصحبة أبي بكر - رضي الله عنه - تحفهما عناية الله وحفظه، ووصل الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه المدينة، واستقبله الأنصار بحفاوة بالغة، وقام ببناء المجتمع في المدينة، فبدأ أولا ببناء مسجده بالمدينة، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار، وأقام معاهدة مع اليهود بالمدينة.

غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم:

كان الأمر الإلهي للنبي وصحبه بمكة ﴿ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ﴾ [النساء: 77] ، فلما هاجروا إلى المدينة، أخذ النبي صلى الله عليه وسلم يعد العدة لمواجهة أعداء الإسلام، وأذن الله للمؤمنين بالقتال كما في قوله تعالى : ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج: 39] ، فواجه قريشا في غزوة بدر وهزمهم شر هزيمة، ثم كانت غزوة أحد، ثم غزوة الخندق فهزم الله الأحزاب ، ثم تتابعت الغزوات والسرايا، فكانت الحديبية، ثم خيبر، إلى أن جاء فتح مكة فدخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان معه عشرة آلاف مقاتل واستسلمت قريش وعفا عنهم.

الناس يدخلون في دين الله أفواجا:

كان فتح مكة معركة فاصلة، قضت على الوثنية قضاء باتاً، عرفت العرب لأجلها الحق من الباطل، وزالت عنهم الشبهات، فتسارعوا إلى اعتناق الإسلام، ولذلك نري الوفود تقصد المدينة تترى في العامين التاسع والعاشر، ونري الناس يدخلون في دين الله أفواجا، حتى إن الجيش الإسلامي الذي كان قوامه عشرة آلاف مقاتل في غزوة الفتح، إذا هو يبلغ ثلاثين ألف مقاتل في غزوة تبوك قبل أن يمضي على فتح مكة عام كامل.

حجة الوداع

أعلن النبي صلى الله عليه وسلم بقصده لهذه الحجة المبرورة، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتيهم برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وخرج صلى الله عليه وسلم فواصل سيره حتى دخل مكة - فلما دخل المسجد الحرام طاف بالبيت، وسعي بين الصفا والمروة، ولم يَحِلَّ لأنه كان قارناً قد ساق معه الهدى، وفي يوم عرفة قام فيهم خطيباً، وبعد أن فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من إلقاء الخطبة نزل عليه قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]، وباشر بقية المناسك على ما هو مبين بكتب الفقه.

وفاة رسول الله:

وبعد رجوعه - صلى الله عليه وسلم- من الحج، وفي شهر ربيع الأول بدأ به المرض، ثم اشتد وجعه حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى في 12 ربيع الأول 11هـ.

الباب الأول

المنهج الدعوية في رسالة

نوح - عليه السلام -

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول / المنهج العاطفي.

الفصل الثاني / المنهج العقلي.

الفصل الثالث / المنهج الحسي.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة

نوح - عليه السلام -

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني/ الترغيب.

المبحث الثالث/ الترهيب.

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول

المنهج العاطفي في دعوة نوح عليه السلام

تعريفه:

لغة: مأخوذ من الفعل عطف: والذي يأتي في اللغة بعدة معان منها: البر والصلة والرقّة، وحسن الخلق، والشفقة، والحنو، والميل.⁽¹⁾

واصطلاحاً هو: "النظام الدعوي الذي يركز على القلب، ويحرك الشعور والوجدان."⁽²⁾

وعند تتبع الآيات القرآنية التي ذكرت قصة نبي الله نوح – عليه السلام- نجد أنه قد استخدم المنهج العاطفي في دعوة قومه من خلال عدة أساليب، سيتكلم عنها الباحث من خلال أربعة مباحث:

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني/ الترغيب.

المبحث الثالث/ الترهيب.

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول / الرفق وإظهار العاطفة

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف معنى الرفق.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم).

(1) ينظر لسان العرب مادة (عطف) (4/2996)

(2) المدخل إلى علم الدعوة (204) مرجع سابق.

المطلب الثالث: وصف الله له بأنه أخوهم.

المطلب الرابع: ندائه على ابنه (يا بني).

المطلب الخامس: إظهار الخوف والشفقة على قومه.

المطلب السادس: الدعاء لوالديه وللمؤمنين والمؤمنات.

المطلب الأول: تعريف معنى الرفق:

الرفق لغة: مأخوذ من الرفق: والرفق ضد العنف، والرفق لين الجانب ولطافة الفعل. (1)

واصطلاحاً: "هو لين الجانب بالقول، والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف." (2)

والرفق للداعية دليل حسن الإسلام، وصلاح العبد وحسن خلقه، ودليل على فقه الرجل وأناته وحكمته، ويثمر محبة الله ومحبة الناس، وينشأ مجتمعاً سالماً من الغلّ والعنف. (3)

المطلب الثاني: نداؤه على قومه (يا قوم):

وقد تكرر نداء نوح -عليه السلام - على قومه بقوله: (يا قوم) عدة مرات كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59]

(1) ينظر لسان العرب مادة الفعل "رفق" (3/1694) ومقاييس اللغة لابن فارس (2/418) بتحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام: (1399هـ - 1979م).

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (10/449) رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، وقام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب الناشر: المكتبة السلفية - مصر الطبعة: «السلفية الأولى»، 1380هـ - 1390هـ

(3) ينظر نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم (6/2168) لعدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة الطبعة: الرابعة بدون تاريخ طباعة.

أي: (قال نوح لقومه- على سبيل التلطف في النصح، والتقرب إلى قلوبهم- يا قوم ويا أهلي وعشيرتي: إني لكم منذر واضح الإنذار، ولا أسألكم على هذا الإنذار الخالص أجرا، وإنما ألتمس أجرى من الله.

وإني أمركم بثلاثة أشياء: أن تخلصوا لله- تعالى- العبادة، وأن تتقوه في كل أقوالكم وأفعالكم، وأن تطيعوني في كل ما أمركم به وأنهاكم عنه، وافتتح كلامه معهم بالنداء يا قوم، أملا في لفت أنظارهم إليه، واستجابتهم له، فإن النداء من شأنه التنبيه للمنادى).⁽¹⁾

المطلب الثالث: وصف الله له بأنه أخوهم:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: 106]، "فكلمة (أخوهم) وهي تعني أخوة النسب لا الدين، تنير فيهم عاطفة الأخوة النسبية وتوحي لهم بأنه يريد لهم الخير فهو ليس بعيدا عنهم ولا غريبا منهم، إنه أخوهم."⁽²⁾

"وإنما ابتعث الله الرسل، من نسب من أرسل إليهم، لئلا يشتمنوا من الانقياد له، ولأنهم يعرفون حقيقته، فلا يحتاجون أن يبحثوا عنه."⁽³⁾

المطلب الرابع: ندائه على ابنه (يا بني):

وقد صور لنا القرآن هذا المشهد في قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ [هود: 42-43]، وهنا تظهر عاطفة الأبوة في نداء نوح على ابنه حينما بدأ الطوفان لعله يسمع له أو يعقل فينجو من الغرق، فالسفينة بدأت في الجريان والأمواج مرتفعة كالجبال، ينادي نوح ابنه (وكان هذا الابن في مكان منعزل، فقال له نوح بعاطفة الأبوة الناصحة الملهوفة يا بني اركب معنا في السفينة، ولا تكن مع القوم الكافرين الذين سيلفهم الطوفان بين أمواجه عما قريب، ولكن هذه النصيحة الغالية من الأب الحزين على مصير ابنه، لم تجد أدنا واعية من هذا الابن العاق المغرور، بل رد

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم للدكتور محمد سيد طنطاوي (15/111)

(2) المستفاد من قصص القرآن للدعاة (ص 1/131) مرجع سابق

(3) تفسير السعدي (ص 594) ط مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420 هـ - 2000 م

على أبيه: (قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ) أي: قال: سألتجئ إلى جبل من الجبال الشاهقة، لكي أتحصن به من وصول الماء إليّ. وهنا يرد عليه أبوه الرد الأخير فيقول- كما حكى القرآن عنه-: (قَالَ لَا عَصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ) أي: قال نوح لابنه: لا معصوم اليوم من عذاب الله إلا من رحمه- سبحانه- بلطفه وإحسانه، وأما الجبال وأما الحصون.. وأما غيرهما من وسائل النجاة، فسيعلوها الطوفان، ولن تغنى عن المحتمي بها شيئاً. (1)

المطلب الخامس: إظهار الخوف والشفقة على قومه:

فقد بين نبي الله نوح لقومه خوفه عليهم إن استمروا على ضلالهم وكفرهم بالله فقال لهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَِّّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْآلِيمِ﴾ [هود: 25-26]، (وقوله: (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْآلِيمِ) جملة تعليلية، تبين حرص نوح الشديد على مصلحة قومه ومنفعتهم، أي إني أحذركم من عبادة غير الله، لأن هذه العبادة ستؤدى بكم الى وقوع العذاب الأليم عليكم، وما حملني على هذا التحذير الواضح إلا خوفي عليكم، وشفقتي بكم، فأنا منكم وأنتم مني بمقتضى القرابة والنسب). (2)

إنها الرحمة التي أنزلها الله في قلوب أنبيائه ففاضت على أقوامهم رفقا ولينا وصبرا عليهم، وحرصا على هدايتهم، وشفقة عليهم من عاقبة عنادهم وتكذيبهم، وهذا درس للدعاة إلى الله بإظهار العاطفة تجاه من ندعو، وإشعاره بالخوف عليه من عذاب الله إن أصر على ما هو عليه من معصية الله.

المطلب السادس: الدعاء لوالديه وللمؤمنين والمؤمنات:

لما دعا نوح - عليه السلام- على الكافرين من قومه بالهلاك والدمار- كما سيأتي في موضعه -، لم ينس الدعاء لنفسه بالمغفرة ولوالديه ولمن دخل بيته مؤمنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات، كما قال تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: 28]

(1) التفسير الوسيط للقرآن للدكتور محمد سيد طنطاوي مرجع سابق (7/209)

(2) المرجع السابق (7/190)

وهذه عاطفة المؤمن حينما يمتلئ قلبه بالرحمة فتفيض على كل من حوله، بل وتمتد دعوته عبر السنين والقرون لتصيب جميع المؤمنين والمؤمنات.

يقول الأستاذ سيد قطب: (وإلى جانب الدعوة الساحقة الماحقة التي جعلها خاتمة دعائه وهو يقول: «وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا» إلى جانب هذا كان الابتهاال الخاشع: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: 28]، ودعاء نوح لربه أن يغفر له هو أدب العبد في حضرة الرب، العبد الذي لا ينسى أنه بشر، وأنه يخطئ، وأنه يقصر، مهما يطع ويعبد، ودعاؤه الخاص لمن دخل بيته مؤمناً هو بر المؤمن بالمؤمن وحب الخير لأخيه كما يحبه لنفسه، وتخصيص الذي يدخل بيته مؤمناً، لأن هذه كانت علامة النجاة، وحصر المؤمنين الذين سيصحبهم معه في السفينة، ودعاؤه العام بعد ذلك للمؤمنين والمؤمنات هو بر المؤمن بالمؤمنين كافة في كل زمان ومكان) (1)

وفي هذا درس للدعاة إلى الله، فنوح -عليه السلام- بعد هذا الجهاد الطويل مئات السنين وهو يدعو إلى الله بشتى الوسائل والأساليب، ويصبر ويتحمل الأذى، ومع ذلك كله لم يغترّ أو يُعجب بنفسه، بل ختم ذلك كله باتهام نفسه بالتقصير، وطلب المغفرة والرحمة من ربه عز وجل، ثم دعا لوالديه ولسائر المؤمنين.

المبحث الثاني / الترغيب

من أولى مهام الرسل جميعاً تبشير المؤمنين الصادقين، بحسن الثواب، وترهيب وإنذار الكافرين المعرضين عن الإيمان بالعقاب الشديد، وهو ما اصطُح عليه عند علماء الدعوة بالترغيب والترهيب، لأن طبيعة الإنسان الرغبة فيما ينفعه فيسعي إلى تحقيقه والإقبال عليه، وترك ما يضره والفرار منه.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف معنى الترغيب.

المطلب الثاني: الترغيب في قبول الحق.

(1) تفسير الظلال لسيد قطب (ص 3717 / 6) باختصار يسير.

المطلب الثالث: حثهم على الاستغفار.

المطلب الرابع: الترغيب في ذكر الله عند ركوب السفينة.

المطلب الأول: تعريف معنى الترغيب:

الترغيب لغة: الحرص على الشيء والطمع فيه، والرغبة: السؤال والطمع، ورغبه: أعطاه ما رغب. (1)

وفي نضرة النعيم: "أما الترغيب فهو مصدر قولهم: رغبه في الشيء أي أوجد فيه الرغبة إليه، ويكون ذلك بتحسينه وتزيينه، لأن النفس لا ترغب إلا فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها." (2)

وعلى هذا فإن الترغيب لغة: حث الإنسان على فعل شيء وتحبيبه إليه. ويقصد بالترغيب اصطلاحاً: "كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه." (3)

المطلب الثاني: الترغيب في قبول الحق:

وقد جاء ذلك في عدة مواضع من قصة نوح في القرآن الكريم:

1- قال تعالى حكاية عن نوح: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59]

في هذه الآية بين الله أن نبيه نوحاً - عليه السلام - دعا قومه إلى ثلاثة أشياء:

- عبادة الله وحده لا شريك له، فقال: {يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ}
- وبين لهم أنه ليس هناك إله سواه فقال: {مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ} ومقتضى ذلك بطلان عبادتهم لأصنامهم.

(1) ينظر لسان العرب مادة "رغب" (3/1679) والمعجم الوسيط (1/356)

(2) موسوعة نضرة النعيم (6/2127)

(3) أصول الدعوة (ص437) مرجع سابق

- وأظهر لهم حرصه وشفقته عليهم إذا عصوا الله بأن عاقبة ذلك العذاب من الله، فقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

إن نوحا - عليه السلام- جاء ليردهم إلى التوحيد بعبادة الله وحده فلا إله غيره ولا رب سواه، (والمنهج القرآني يكثر من الربط بين عبودية هذا الكون لله، ودعوة البشر إلى الاتساق مع الكون الذي يعيشون فيه والإسلام لله الذي أسلم له الكون كله والذي يتحرك مسخراً بأمره، ذلك أن هذا الإيقاع بهذه الحقيقة الكونية كفيل بأن يهز القلب البشري هزاً وأن يستحثه من داخله على أن ينخرط في سلك العبادة المستسلمة فلا يكون هو وحده نشازاً في نظام الوجود كله! إن الرسل الكرام لا يدعون البشرية لأمر شاذ إنما يدعونها إلى الأصل الذي يقوم عليه الوجود كله وإلى الحقيقة المركوزة في ضمير هذا الوجود.. وهي ذاتها الحقيقة المركوزة في فطرة البشر والتي تهتف بها فطرتهم حين لا تلوي بها الشهوات، ولا يقودها الشيطان بعيداً عن حقيقتها الأصلية.)⁽¹⁾

2- ولما دعا نوح - عليه السلام - قومه إلى التوحيد كان أول من تصدى لدعوته الملاً، فقالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: 60]، فلم يكن منه عليه السلام إلا أن رد عليهم قائلاً: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 61] أي: لست ضالاً، وإنما أنا رسول الله الذي أمرني أن أرشدكم إلى توحيدكم ومعرفة أوامره ونواهيه، ثم قال: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 63]، ولأن النفوس تنفر وتعجب من كل جديد يخالف ما اعتادوه ودرجوا عليه قال لهم: "لا تعجبوا من هذا، فإن هذا ليس يعجب أن يوحى الله إلى رجل منكم، رحمة بكم ولطفا وإحسانا إليكم، لأنذركم ولتنتقوا نقمة الله ولا تشركوا به، (ولعلكم ترحمون)⁽²⁾

(وانظر إلى كلمة (رجل منكم) وما فيها من التواضع وكرم النفس، واستمالة القلوب، وتبين أنه رجل منهم، له ما لهم، وعليه ما عليهم، مع ما بينه وبينهم من صلة النسب والقرابة والدم؛ ليلفت انتباههم إلى الخوف النابع من المحبة لهم

(1) في ظلال القرآن (3/1307) مرجع سابق

(2) تفسير ابن كثير (2/308) مرجع سابق.

التي اقتضتها فطرة الله التي فطر الناس عليها، من محبة الإنسان لأهله وقومه وعشيرته (1)

إذن فأنا منكم تجمعي بكم صلة وقربى وأنتم تعرفونني جيدا؛ قال هذا لطمانتهم وليكون أقرب لقلوبهم.

(وقوله: (لِيُنذِرَكُمْ) علة للمجيء، أي: وليحذركم العذاب والعقاب على الكفر والمعاصي، وقوله: (وَلِتَتَّقُوا) علة ثانية مرتبة على العلة التي قبلها، أي: ولتوجد منكم التقوى، وهي الخشية من الله بسبب الإنذار، وقوله: وَلَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ علة ثالثة مترتبة على التي قبلها. أي: ولترحموا بسبب التقوى إن وجدت منكم، قال بعض العلماء: وهذا الترتيب في غاية الحسن، لأن المقصود من الإرسال الإنذار، ومن الإنذار التقوى. ومن التقوى الفوز بالرحمة.) (2)

3- وفي سورة (نوح) رغبهم في الإيمان بالله وتوحيده، وأن ذلك سيكون سببا لمغفرة ذنوبهم وتأخيرهم إلى أجل مسمى برفع العذاب عنهم، قال تعالى:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۖ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ [نوح: 2-4]، أي قال نوح لقومه: (يا قومي، إني لكم منذر من عذاب الله ومخوف إياكم، واضح الإنذار والإعلام. ومضمون دعوتي: أني أمركم بعبادة الله وحده لا شريك له، وأن تؤدّوا حقوقه، وتمتثلوا أوامره، وتجتنبوا نواهيه التي توقعكم في العذاب، وتطيعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه، والتقوى: امتثال الأوامر، واجتناب المحرّمات، وثمرة التكاليف أمران: أنه تعالى يستر لكم بعض ذنوبكم، ويمدّ في أعماركم، ويؤخر موتكم إلى أمد محدد قدره الله لكم، إن آمنتم وأطعتم. وقوله: مِنْ ذُنُوبِكُمْ من للتبعيض، وهذا وعد كريم على الطاعة والعبادة بشيئين: دفع مضارّ الآخرة وهو غفران الذنوب، وتحقيق منافع الدنيا، وهو تأخير الأجل إلى وقت آخر.) (3)

(1) أدب الأنبياء مع الخلق في القرآن الكريم رسالة ماجستير للباحث عبد الله الغامدي (ص 269) مقدمة لجامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين شعبة التفسير في العام الجامعي: 1429 هـ - 1430 هـ، والرسالة لم تتول طبعتها دار نشر.

(2) التفسير الوسيط للقرآن للدكتور محمد سيد طنطاوي مرجع سابق (ص 5/300)

(3) التفسير الوسيط للزحيلي (ص 3/2743) ط دار الفكر - دمشق الطبعة الأولى - 1422 هـ

4- ولما رد نوح على قومه وأبطل كل حججهم في عدم الإيمان به قالوا له:

﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ

الصَّادِقِينَ﴾ [هود: 32]، لما أجمعهم بالحجة وجاءهم بالحق الناصع والبيان

الواضح قالوا له: على سبيل التحدي نحن مصرون على تكذيبك ولن نؤمن لك، فأتنا بما تعدنا من العذاب الأليم إن كنت من الصادقين.

(وهذا شأن الجاهل المعاند، إنه يشهر السيف إذا أعجزته الحجة، ويعلن التحدي

إذا يبئس عن مواجهة الحق، فقال لهم عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ

شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ

يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَى

إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [هود: 33-35]، ولكن نوحا- عليه السلام- لم يخرج

هذا التحدي عن سمته الكريم، ولم يقعه عناد قومه عن مداومة النصح لهم،

وإرشادهم إلى الحقيقة التي ضلوا عنها، فقد رد عليهم بقوله إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ- إِنْ

شَاءَ- وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ، أي: إنما يأتيكم بهذا العذاب الذي تستعجلونه الله- تعالى-

وحده، إِنْ شَاءَ ذَلِكَ، لأنه هو الذي يملكه وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ أي: وما أنتم

بمستطيعين الهروب من عذابه متى اقتضت مشيئته- سبحانه- إنزاله لكم، لأنه-
تعالى- لا يعجزه شيء.) (1)

5- ولما أمر الله - تعالى - نبيه نوحا بصنع السفينة، أخذ قومه يسخرون منه،

ويتهكمون عليه، كما بين ذلك الحق جل وعلا بقوله: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ

عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا

تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾

[هود: 38-39]، فتوعدهم بقوله: (إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا لَصْنَعُ هَذِهِ السَّفِينَةِ، فَإِنَّا نَسْخَرُ

مِنْكُمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ حِينَ الْغُرُقِ، كَمَا تَسْخَرُونَ مِنَّا الْآنَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ قَرِيبًا

(1) التفسير الوسيط للقرآن للدكتور محمد سيد طنطاوي مرجع سابق (7/198)

بعد تمام العمل من يأتيه عذاب يهينه في الدنيا، وهو عذاب الغرق، ويحل عليه عذاب مقيم، أي دائم مستمر. (1)

المطلب الثالث: حثهم على الاستغفار:

وترغبيا في إيمان قومه بالله ورجوعهم عن غيهم وعد نوح - عليه السلام - قومه بخيرات وبركات، فقال لهم: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٥﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٦﴾ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٧﴾﴾ [نوح: 10-12]، وكأنه يريد أن يقول لهم: إن المخرج من ضيق الأرزاق وقلة الأقوات هو العودة إلى الله والإيمان به وحدة والتوبة والاستغفار من ذنوبكم، (فوعدهم على التوبة من الكفر والعصيان بخمسة أشياء: إرسال المطر المنتاب، الكثير الغزارة ليكثر الخير والخصب، والإمداد بالأموال الكثيرة، وإكثار الذرية والأولاد بسبب الأمن والرفاه، ومنحهم بساتين نضرة عامرة بالأشجار والثمار، وجعل الأنهار جارية بالماء العذب، ليكثر الزرع والتمر والغلة.) (2)

المطلب الرابع: الترغيب في ذكر الله عند ركوب السفينة:

لما حانت ساعة وقوع العذاب على الكافرين وفار الماء من التنور كعلامة على بداية الطوفان؛ أشار نوح - عليه السلام - على المؤمنين بركوب السفينة قائلا: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: 41]، وهو بذلك يذكر أتباعه المؤمنين بأن نجاتهم من الغرق بركوب السفينة إنما هو برحمة الله فإن جريانها ورسوها إنما يكون بقدرة الله، فقال لهم اركبوا: (بِسْمِ اللَّهِ يَكُونُ جَرِيهَا عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، وَبِسْمِ اللَّهِ يَكُونُ مُنْتَهَى سَيْرِهَا، وَهُوَ رُسُوهَا). (3)

ولعل نبي الله نوح أراد بهذا أن يربي المؤمنين لتتعلق قلوبهم بالله وحده فهو المُجري للسفينة وهو المُرسى لها، وكل نعمة تحدث فهي من فضله ومنته، فاذكروا الله الذي بيده الأمر كله ولا تخافوا من الغرق.

(1) التفسير الوسيط للزحيلي (2/1041)

(2) المرجع السابق (3/2744)

(3) تفسير ابن كثير (ص2/602) مرجع سابق

"وجملة إن ربي لغفور رحيم تعليل للأمر بالركوب المقيد بالملابسة لذكر اسم الله تعالى، ففي التعليل بالمغفرة والرحمة رمز إلى أن الله وعده بنجاتهم، وذلك من غفرانه ورحمته، وأكد بأن ولا م الابتداء تحقيقاً لأتباعه بأن الله رحمهم بالإنجاء من الغرق".⁽¹⁾

المبحث الثالث/ الترهيب

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف معنى الترهيب.

المطلب الثاني: الترهيب من عذاب الله.

المطلب الثالث: الدعاء على العصاة بالهلاك.

المطلب الأول: تعريف معنى الترهيب:

الترهيب لغة: من الفعل رهب: أي خاف، ورهب الشيء: خافه. والرهبة: الخوف والفرع.⁽²⁾

وفي نضرة النعيم: "أما الترهيب فهو مصدر قولهم: رهبه من الشيء بمعنى أخافه منه خوفاً شديداً ترتعد له فرائصه، ويتحقق بذلك رهبة منه تخالج شعوره وتدفع صاحبها إلى البعد عنه و عما يؤدي إليه من أعمال في هذه الحياة الدنيا." ⁽³⁾

وعلى هذا فإن معنى الترهيب: التخويف والتوعد بحصول شيء.

واصطلاحاً: "كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله." ⁽⁴⁾

(1) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (12/74) مرجع سابق

(2) ينظر لسان العرب مادة "رهب" (3/1748) والمعجم الوسيط مادة "رهب" (1/376)

(3) موسوعة نضرة النعيم (6/2170)

(4) أصول الدعوة (ص437) مرجع سابق

المطلب الثاني: الترهيب من عذاب الله:

إذا كان الترغيب عاملاً مهماً من عوامل الاستجابة لله والإيمان به، فإن التخويف عامل آخر، بل إنه العامل الأقوى؛ ذلك لأنه لا شيء يعدل سلامة الإنسان ونجاته من العذاب، ولذلك توعد الله عز وجل الكفار من قوم نوح بالعذاب الأليم، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [هود: 25-26]، وقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: 1] والعذاب الأليم يحتمل أن يكون في الدنيا، ويحتمل أن يكون في الآخرة، أو فيهما جميعاً، وكلاهما فيه هلاك للإنسان، وإن كان العذاب الأخروي هو أشد وأنكى.

المطلب الثالث: الدعاء على العصاة بالهلاك:

مضى نبي الله في دعوة قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، كما ذكر القرآن ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 14]، ومضى نوح طوال هذه المدة يدعو قومه إلى التوحيد ونبذ الشرك وعبادة الأصنام لكنهم تماردوا في غيهم وكفرهم حتى أوحى الله إليه: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: 36]

فالقلوب المستعدة للإيمان قد آمنت، أما البقية فليس فيها استعداد ولا اتجاه، هكذا أوحى الله إلى نوح، وهو أعلم بعباده، وأعلم بالممكن والممتنع، فلم يبق مجال للمضي في دعوة لا تفيد، ولا عليك مما كانوا يفعلونه من كفر وتكذيب وتحذ واستهزاء. (1)، وهنا دعا نوح ربه قائلاً: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٣٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٣٧﴾﴾ [نوح: 36]

(1) تفسير الظلال لسيد قطب (ص4/1876) مرجع سابق

[27-26]، أي: (يا رب، لا تترك على الأرض من هؤلاء الكافرين واحدا يسكن دارا، بل اقطع دابرهم جميعا، لا تترك منهم أحدا سالما، بل أهلكهم جميعا لأنك إن تترك منهم أحدا على أرضك بدون إهلاك، فإن هؤلاء المتروكين من دأبهم- كما رأيت منهم زمانا طويلا- إضلال عبادك عن طريق الحق... لن يلدوا إلا من هو مثلهم في الفجور والكفران لأنهم قد نشأوا أولادهم على كراهية الحق، وعلى محبة الباطل. (1)

هل يجوز الدعاء على الكافرين بالهلاك والاستئصال؟

في عصرنا الحاضر نسمع بعض الدعاة عندما يدعو في النوازل، أو في قنوت الوتر في رمضان يدعو بدعاء نبي الله نوح فيقول: (اللهم لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) أو يقول: (اللهم أهلك اليهود والنصارى أجمعين)، ومنهم من يفصل فيدعو قائلا: (اللهم يتم أطفالهم ورمل نساءهم.... الخ)

ولو تأملنا القرآن والسنة فلن نجد في القرآن أمرا بالدعاء على الكافرين بالإهلاك والتدمير، كما دعا نوح -عليه السلام-، ونوح قد دعا بذلك بعد أن أوحى الله إليه: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: 36] (2)

إنما ورد في القرآن قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أفرغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّثْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 250]، وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ [يونس: 85-86]

وكذلك هدي النبي صلى الله عليه وسلم لن نجد من دعائه أنه دعا بعذاب الاستئصال على الكافرين، ومن دعائه في القنوت: (اللهم أنج سلمة بن هشام،

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي باختصار يسير (15/125) مرجع سابق

(2) أشار إلى هذا المعنى الإمام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن (18/312) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964 م

اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم سنين كسني يوسف(1)

ومن دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم: يوم الأحزاب على المشركين: (مألاً الله بيوتهم وقبورهم ناراً، شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس)(2)

وقال أيضاً: (اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اللهم اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم)(3)

قال القاضي أبو بكر بن العربي(4) في أحكام القرآن: (لقد دعا نوح على الكافرين أجمعين، ودعا النبي صلى الله عليه وسلم على من تحزب على المؤمنين، وألب عليهم، وكان هذا أصلاً في الدعاء على الكفار في الجملة، فأما كافر معين لم تعلم خاتمته فلا يدعى عليه؛ لأن مآله عندنا مجهول، وربما كان عند الله معلوم الخاتمة للسعادة؛ وإنما خص النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء على عتبة وشيبة وأصحابه لعلمه بمآلهم، وما كشف له من الغطاء عن حالهم، والله أعلم)(5)

إذن فيجوز الدعاء على الكفار المحاربين للمسلمين، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، أما الدعاء بهلاك الكفار أجمعين فهو من الاعتداء في الدعاء، وليس من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو أيضاً يخالف ما يخبرنا به القرآن من

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة حديث رقم: (2774)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة حديث رقم: (2773)

(3) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة حديث رقم: (2775)

(4) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي المعافري، من أهل إشبيلية وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها، حسن المعاشرة وكثرة الاحتمال وكرم النفس، وتوفي رحمه الله تعالى في سنة 543هـ. انظر ترجمته في "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب" لابن فرحون، برهان الدين اليعمري تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمد أبو النور (2/252) الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

(5) أحكام القرآن للقاضي أبو بكر بن العربي (4/312)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م

أن كفر الكافرين يقع بإذن الله تعالى: قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: 99]، فمن يستطيع أن يعارض إرادة رب العالمين؟(1)

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف معنى التذكير بنعم الله.

المطلب الثاني: نعمة الخلق أطوارا.

المطلب الثالث: نعمة خلق السماوات، والأرض، والشمس، والقمر.

المطلب الرابع: نعمة جعل الأرض مبسوبة والسبل الفجاج.

المطلب الخامس: التذكير بحمد الله على النجاة.

المطلب الأول: تعريف معنى التذكير بنعم الله:

التذكير لغة: من الفعل ذكر: وذكر الشيء حفظه واستحضره، وجرى على لسانه بعد نسيانه، وذكر النعمة شكرها، وذكر الشيء له: أعلمه به، وذكر حقه: حفظه ولم يضيعه، والتذكرة: ما تستذكر به الحاجة، وما يدعو إلى الذكر والعبارة.
(2)

ونخلص من هذا أن التذكير هو التنبيه من غفلة، أو استحضار شيء منسي.

واصطلاحا: التذكير هو " تعريف الخلق نعم الله عز وجل عليهم وحثهم على

شكره وتحذيرهم من مخالفته " (3)

(1) ينظر أيضا خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، للدكتور يوسف القرضاوي (43) ط دار الشروق الطبعة الأولى 1424 هـ 2004م

(2) ينظر لسان العرب مادة (ذكر) (3/1507)، والمعجم الوسيط مادة (ذكر)، ص (313)

(3) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة للشيخ علي محفوظ ص (71) طبعة دار الاعتصام الطبعة التاسعة 1399 هـ 1979 م

والنعم لغة: جمع النعمة: ضد البأساء، ونعمة العيش حسنه وغضارته، والنَّعِيم مَا اسْتَمْتَعَ بِهِ، وغضارة العَيْشِ وَحَسَنَ الْحَالِ. (1)
ونخلص من هذا أن كلمة " النعمة " في أصل اللغة تدل على رفاهية العيش وحسنه وطيبه.

واصطلاحا هناك عدة تعريفات ذكرها العلماء منها:

- 1- " ما يقصد به الإحسان والنفع لا لغرض ولا لعوض" (2)
 - 2- هي " ما يستلذه الإنسان أو يستطيبه، ولكنها هنا تفسر بأنها المنفعة التي تدوم، ويستطيبها القلب، سواء أكانت عاجلة أم آجلة، وسواء أكانت دنيوية أم كانت أخروية، وسواء أكانت مادية أم كانت روحية، وإن نعم الله تعالى على عباده لا يحصيها العدُّ ولا يحيط بها الحصر" (3)
 - 3- النعمة: " عبارة عن المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير. " (4)
- ونخلص من هذه التعريفات أن النعمة اصطلاحا هي: كل منفعة يستطيبها القلب يقصد بها الإحسان إلى الغير، لا لغرض أو عوض.
- معنى التذكير بالنعم:** وبناء على هذا فإن التذكير بالنعم يقصد به: السُّبُل التي يُسَلِّكها الداعية لتذكير المدعوين، حيث يُسَلِّط الضوء على النعم التي وهبها الله لهم، محفِّزًا إياهم على تأمل هذه النعم والاعتراف بفضل الله، وذلك يُعزِّز إيمانهم بالله المنعم، ويقوي وعيهم بتلك النعم، ويوجههم نحو الشكر الصادق لله على هذه النعم.

المطلب الثاني: نعمة الخلق أطوارا:

ذكر نوح -عليه السلام- قومه ببعض نعم الله عليهم: ومنها نعمة الخلق من العدم وتكوينهم طورا بعد طور، قال تعالى حكاية عن نوح: ﴿مَا لَكُمْ لَا

(1) ينظر لسان العرب مادة (نعم)، (6/4478) والمعجم الوسيط (مادة نعم)، ص (935)

(2) التعريفات للجرجاني (242) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م

(3) زهرة التفاسير للشيخ محمد أبو زهرة (1/69) ط: دار الفكر العربي.

(4) مفاتيح الغيب للرازي (1/220)

تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿13﴾ [توح: 13-14]، قال ابن عباس: "أطوارا يعني نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، أي طورا بعد طور إلى تمام الخلق، كما ذكر في سورة" المؤمنون"، والطور في اللغة: المرة، أي من فعل هذا وقدر عليه فهو أحق أن تعظموه. وقيل: أطوارا صبياننا، ثم شبابا، ثم شيوخا وضعفاء، ثم أقوياء." (1)

المطلب الثالث: نعمة خلق السماوات، والأرض، والشمس، والقمر.

أراد نوح - عليه السلام- أن يمدوا أبصارهم إلى صفحة الكون المنظور أمامهم وما سخر لهم من النعم التي غفلوا عنها ولم يودوا شكرها، فذكرهم بنعم خلق السماوات، وتسخير الشمس والقمر، فقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿13﴾

وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿14﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿15﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿16﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿17﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿18﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿19﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿20﴾ [توح: 13-20]، أي: مالكم لا تبالون أن الله عظمة لقد علمتم

ورأيتم أن الله- تعالى- هو الذي خلق سبع سماوات بعضها فوق بعض وجعل - سبحانه- بقدرته القمر في السماء الدنيا نورا للأرض ومن فيها، وجعل الشمس كالسراج في إضاءتها وتوهجها وإزالة ظلمة الليل، ثم انتقل نوح- عليه السلام- من تنبيههم إلى ما في خلق السماوات والشمس والقمر من دلالة على وحدانية الله وقدرته إلى لفت أنظارهم إلى التأمل في خلق أنفسهم، وفي مبدئهم وإعادتهم إلى الحياة مرة أخرى بعد موتهم، فقال- كما حكى القرآن عنه-: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ

مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿17﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿18﴾ [توح: 17-18] ، أي:

والله- تعالى- هو الذي أوجد وأنشأ أباكم آدم من الأرض إنشاء وجعلكم فروعا عنه، ثم يعيدكم إلى هذه الأرض بعد موتكم لتكون قبورا لكم، ثم يخرجكم منها يوم البعث للحساب والجزاء.

المطلب الرابع: نعمة جعل الأرض مبسوطة والسبل الفجاج.

ونعمة تذليل الأرض وما عليها للإنسان، ونعمة ما على الأرض من النعم والأرزاق والخيرات والثروات التي لا يحصيها إلا الله تعالى، قال تعالى حكاية

(1) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (18/303)

عن نوح -عليه السلام- : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: 19-20]، أي: والله- تعالى- وحده هو الذي جعل لكم- بفضلته ومنته- الأرض مبسوطة حيث تتقلبون عليها كما يتقلب النائم على البساط، وجعلها لكم كذلك لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا أي: لكي تتخذوا منها لأنفسكم طرقا فِجَاجًا أي: متسعة جمع فِج وهو الطريق الواسع. (1)

المطلب الخامس: التذكير بحمد الله على النجاة:

ثم أمره الله تعالى إذا رست بهم السفينة أن يحمد الله هو والمؤمنين من أتباعه أن نجاهم من القوم الظالمين، قال تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ٢٩﴾ [المؤمنون: 28-29]، فيكون بذلك قد جمع بين ذكر الله في ابتدائه وحمده والثناء عليه عند انتهائه.

(وقد ألهمه الله بالوحي أن يحمد ربه على ما سهل له من سبيل النجاة، وأن يسأله نزولا في منزل مبارك عقب ذلك الترحل، والدعاء لذلك يتضمن سؤال سلامة من غرق السفينة.) (2)

إنها الربانية التي ينبغي أن يوطن الداعية نفسه عليها في كل أحواله وتقلباته، فهو (رباني الغاية والوجهة) (3)، وقلبه معلق بالله موصول به -سبحانه- في الشدة والرخاء، في الضيق والسعة، في العسر واليسر، عند الكرب والفرج، وهو حماد لربه في العطاء والمنع، في السراء والضراء.

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (ص15/119) باختصار يسير، مرجع سابق.

(2) المرجع السابق (18/47)

(3) استعرت هذا التعبير من الدكتور يوسف القرضاوي - رحمه الله- من كتابه الخصائص العامة للإسلام حيث قال: فأما ربانية الغاية والوجهة، فنعني بها: أن الإسلام يجعل غايته الأخيرة وهدفه البعيد، هو حسن الصلة بالله -تبارك وتعالى-، والحصول على مرضاته، فهذه غاية الإسلام، وبالتالي هي غاية الإنسان، ووجهة الإنسان، ومنتهاى أمله وسعيه وكدحه... الخ ما قال رحمه الله. من كتاب الخصائص العامة للإسلام ص (9) ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية (1404 هـ -1983م)

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة

نوح - عليه السلام -

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ الاستفهام.

المبحث الثاني/ الجدل.

المبحث الثالث/ الحوار.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة نوح عليه السلام

تعريفه:

لغة مأخوذ من الفعل عقل: والعقل: الحجر والنهى ضد الحمق، والجمع عقول، ويقال رجل عاقل، وهو الجامع لأمره ورأيه، وهو مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه، وقيل: العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، والعقل: التثبت في الأمور، وعقل عقلا: أدرك الأشياء على حقيقتها. (1)

والعقل: (العلم، أو بصفات الأشياء (2) من حسنها وقبحها، وكمالها ونقصانها، أو العلم بخير الخيرين، وشر الشرين، أو مطلق لأمر، أو لقوة بها يكون التمييز بين القبح والحسن، ولمعان مجتمعة في الذهن يكون بمقدمات يستتب بها الأغراض والمصالح، ولهيئة محمودة للإنسان في حركاته وكلامه.) (3)

ونخلص من هذا إلى أن العقل هو إدراك الأشياء على وجهها الصحيح، والقدرة على التمييز بينها.

والعقل اصطلاحاً " أداة الإدراك والفهم، والنظر والتلقي، والتمييز والموازنة، وهو وسيلة الإنسان لأداء مسؤولية الوجود والفعل، في عالم الشهادة والحياة " (4)

وعلى هذا فإن تعريف المنهج العقلي هو: "النظام الدعوي الذي يركز على العقل، ويدعو إلى التفكير والتدبر والاعتبار." (5)

(1) ينظر لسان العرب مادة "عقل" (4/3046) والمعجم الوسيط (616)

(2) هكذا بالأصل وأظنه تصحيف والصواب: العلم بصفات الأشياء.

(3) القاموس المحيط للفيروزبادي (1033)

(4) أزمة العقل المسلم، د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان، ص (119)، الناشر: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية (1412 هـ - 1992 م)

(5) المدخل إلى علم الدعوة، ص (208) مرجع سابق.

وقد استخدم نبي الله نوح- عليه السلام- المنهج العقلي في دعوة قومه لإقامة الحجة عليهم بالعديد من فنون القول، من خلال عدة أساليب، سيتكلم عنها الباحث من خلال ثلاثة مباحث وهي:

المبحث الأول/ الاستفهام.

المبحث الثاني/ الجدل.

المبحث الثالث/ الحوار.

المبحث الأول/ الاستفهام

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الاستفهام.

المطلب الثاني: تعجب نوح من إنكار قومه أن الله أرسله إليهم.

المطلب الثالث: تقرير أنه رسول من الله واستنكار إعراضهم.

المطلب الرابع: استنكاره عليهم أنهم لا يرجون لله وقارا.

المطلب الخامس: تقريره لهم بأن الله هو خالق السماوات، والأرض، والشمس، والقمر.

المطلب الأول: تعريف الاستفهام.

الاستفهام لغة مأخوذ من الفعل فهم وهو معرفتك الشيء بالقلب، وفهمت الشيء عقلته وعرفته، واستفهمه سأله أن يفهمه.(1)

وعلى هذا فإن معنى الاستفهام لغة: السؤال عن الشيء لفهمه.

وإصطلاحاً هو: "طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة مخصوصة."(2)

(1) ينظر لسان العرب مادة "فهم" (5/3481)

(2) من بلاغة القرآن المعاني-البيان - البديع" للدكتور محمد شعبان علوان، والدكتور نعمان شعبان علوان ص (51)، ط الدار العربية للنشر والتوزيع الطبعة الثانية 1998م

وهذا ما يعرف بالاستفهام الحقيقي، فالسائل يسأل ويحتاج الجواب، لكن قد يخرج الاستفهام من هذا الأصل إلى غرض بلاغي، ويكون السائل حينئذ لا يطلب جواباً، ومن هنا تتعدد أغراضه البلاغية فيخرج من غرضه الأصلي إلى التقرير، أو التهكم والسخرية، أو النفي، أو الإنكار، أو التشويق، أو التعجب، أو الاستبعاد... الخ. (1)

وقد استعمل نبي الله نوح - عليه السلام- هذا الأسلوب مع قومه في عدة مواضع ذكرها القرآن الكريم، يذكرها الباحث في المطالب التالية:

المطلب الثاني: تعجب نوح من إنكار قومه أن الله أرسله إليهم:

قوله تعالى: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 63] لما دعا نوح - عليه السلام- قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له وترك ما هم عليه من عبادة الأصنام ما كان منهم إلا أن رموه بالضلال المبين فرد عليهم نافيا عن نفسه الضلالة، وإنما هو رسول مهمته التبليغ عن الله- تعالى- ثم أنكروا عليهم استبعادهم أن يخصه الله بالنبوة فقال مستفهما: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 63]، (والهمزة في أول الجملة للاستفهام الإنكاري، والواو بعدها للعطف على محذوف مقدر بعد الهمزة، والمعنى: أكذبتكم وعجبتكم من أن جاءكم ذكر أي موعظة من ربكم وخالكم على لسان رجل من جنسكم، تعرفون مولده ونشأته، وقوله: (لِيُنذِرَكُمْ) علة للمجيء، أي: وليحذركم العذاب والعقاب على الكفر والمعاصي، وقوله: (وَلِتَتَّقُوا) علة ثانية مرتبة على العلة التي قبلها، أي: ولتوجد منكم التقوى، وهي الخشية من الله بسبب الإنذار، وقوله: (وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) علة ثالثة مترتبة على التي قبلها. أي: ولترحموا بسبب التقوى إن وجدت منكم، قال بعض العلماء: وهذا الترتيب في غاية الحسن، لأن المقصود من الإرسال الإنذار، ومن الإنذار التقوى، ومن التقوى الفوز بالرحمة.) (2)

(1) انظر المرجع السابق ص (55) وما بعدها.

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي (5/300) باختصار يسير، مرجع سابق.

المطلب الثالث: تقرير أنه رسول من الله واستنكار إعراضهم:

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ [هود: 28]، وهنا نرى أن نبي الله نوح - عليه السلام- استعمل الاستفهام مرة لتقرير حقيقة أنه رسول من الله ومرة لاستنكار إعراضهم على النحو التالي:

1- **الاستفهام التقريري** بقوله: يا قَوْمِ أخبروني إن كنت على حجة واضحة من ربي، ومنحني النبوة فغاب عنكم الانتفاع بهداياتها، فحجبها عنكم جهلكم وغروركم.

2- **الاستفهام الإنكاري** في قوله: (أَنْلُزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) أي: (إذا كانت الهداية إلى الخير التي جننتكم بها قد خفيت عليكم مع وضوحها وجلالتها، فهل أستطيع أنا وأتباعي أن نجبركم إجباراً، ونقسركم قسراً على الإيمان بي، وعلى التصديق بنبوتي، والحال أنكم كارهون لها نافرون منها، كلا إننا لا نستطيع ذلك لأن الإيمان الصادق يكون عن اقتناع واختيار لا عن إكراه وإجبار.)⁽¹⁾

فهو يبين لهم أن لهم حرية الاختيار، لكنه يرجو أن يكون اختيارهم لطريق الرشد لا الغي، لأن اختيارهم للغي هو عمى عن رحمة الله التي أرسله بها إليهم، وهكذا يتلطف نوح في توجيه أنظارهم، ولمس وجدانهم، وإثارة حساسيتهم لإدراك القيم الخفية عليهم، والخصائص التي يغفلون عنها في أمر الرسالة والاختيار لها، ويبصرهم بأن الأمر ليس موكولاً إلى الظواهر السطحية التي يقيسون بها، وفي الوقت ذاته يقرر لهم المبدأ العظيم القويم مبدأ الاختيار في العقيدة، والاقتناع بالنظر والتدبر، لا بالقهر والسلطان والاستعلاء!⁽²⁾

المطلب الرابع: استنكاره عليهم أنهم لا يرجون الله وقارا:

استعمل نوح - عليه السلام- الاستفهام الإنكاري؛ في قوله لقومه: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: 13-14]، فالاستفهام هنا للتوبيخ والإنكار عليهم.

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (193، 7/194) مرجع سابق.

(2) تفسير الظلال لسيد قطب (ص 1874 / 4) مرجع سابق

المطلب الخامس: تقريره لهم بأن الله هو خالق السماوات والأرض والشمس والقمر:

في قول نوح -عليه السلام- لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: 15-16]، وكل هذه الاستفهامات لا يُراد منها الجواب، بل المدعو سيُجيب نفسه بنفسه عليها؛ فهي إما لتوبيخ المدعو، أو لومه، أو إدانته، أو تقريره على أمر ما، ونحو ذلك.

المبحث الثاني/ الجدل

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الجدل.

المطلب الثاني: اتهامه بأنه في ضلال مبين.

المطلب الثالث: عيبه بأنه بشر مثلهم واتباعه من أراذل القوم، واتهامه بالكذب.

المطلب الأول: تعريف الجدل:

الجدال لغة مأخوذ من الفعل جدل، والجدل: شدة الفتل، وجدلت الحبل أجذله جدلا إذا شددت فتله وفتلته فتلا محكما، والجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها، ويقال: جادلت الرجل فجدلته جدلا أي غلبته. ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام، وجادله أي خاصمه مجادلة وجدالا، والاسم الجدل، وهو شدة الخصومة، والجدال طريقة في المناقشة والاستدلال⁽¹⁾

واصطلاحا عرفه الإمام النووي⁽²⁾ بقوله: (جدل: الجدل والجدال والمجادلة: مقابلة الحجة بالحجة، وتكون بحق وباطل فإن كان للوقوف على الحق كان

(1) ينظر لسان العرب مادة "جدل" (1/569) والمعجم الوسيط (111)

(2) هو الإمام يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، ولد بنوى سنة 631 هـ (من قرى حوران، بسورية) وإليها نسبته، تعلم في دمشق، وأقام بها زمنا طويلا، وله مؤلفات عديدة من أشهرها: "رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين" و"المنهاج في شرح صحيح مسلم"، توفي سنة 676 هـ بنوى، ودفن هناك، رحمه الله. ينظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير (17/540) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر

محمودًا. قال الله تعالى: ﴿ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: 125] وإن كان في مرافعة أو كان جدالاً بغير علم كان مذموماً؛ قال الله تعالى: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [غافر: 4] وأصله الخصومة الشديدة وسمي جدلاً لأن كل واحد منهما يحكم خصومته وحجته إحصاءً بليغاً على قدر طاقته تشبهاً بجدل الحبل، وهو إحصاء قتله، يقال جادله يجادله مجادلة وجدالاً. (1)

وقد استعمل نبي الله نوح هذا الأسلوب الدعوي القائم على المنطق القويم، والحجة القوية، والرأي السديد في دعوته لقومه إلى عبادة الله تعالى وحده وعدم الإشراف به، فلم يثمر ذلك معهم شيئاً.

المطلب الثاني: اتهامه بأنه في ضلال مبين:

وقد تناول القرآن هذه الشبهة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الأعراف: 60]، لما دعا نوح - عليه السلام قومه إلى توحيد الله وترك عبادة الأصنام قال الملائكة له: ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الأعراف: 60]، سبحان الله! نبي مرسل إليهم من عند الله في ضلال مبين؟!!

" وهكذا يبلغ الضال من الضلال أن يحسب من يدعو إلى الهدى هو الضال! بل هكذا يبلغ التبجح الوقح بعد ما يبلغ المسخ في الفطر! هكذا تنقلب الموازين، وتبطل الضوابط، ويحكم الهوى ما دام أن الميزان ليس هو ميزان الله الذي لا ينحرف ولا يميل." (2)

وكان بوسع نوح - عليه السلام أن يرد القائلين إلى صوابهم ويقول لهم: بل أنتم الذين في ضلال مبين ... أنتم من اتخذتم أصناماً وسموهاً آلهة وعبدها من

للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م، وطبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي (8/395)، بتحقيق د. محمود محمد الطناحي، و د. عبد الفتاح محمد الحلوة، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ والأعلام للزركلي (8/149) مرجع سابق.

(1) تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي (3/48) ط دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، بدون تاريخ طباعة.

(2) تفسير الظلال (ص 3/1309) مرجع سابق

دون الله ؛ أنتم من انغمستم في النعم، وكفرتم بالمنعم، وشكرتم غيره ، لكن لم ينشغل بالرد عليهم عن المهمة التي أرسل بها ، إنما رد عليهم قائلاً: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أَبْلِغْكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأعراف: 61-63]

أي: (قال نوح لقومه مستميلاً لقلوبهم: يا قوم ليس بي أدنى شيء مما يسمى بالضللال فضلا عن الضلال المبين الذي رميتوني به، فقد نفى الضلال عن نفسه الكريمة على أبلغ وجه، لأن التاء في- ضلالة- للمرة الواحدة منه، ونفى الأدنى أبلغ من نفى الأعلى، والمقام يقتضي ذلك، لأنهم لما بالغوا في رميه بالضللال المبين، رد عليهم بما يبرئه من أي لون من ألوانه، وفي تقديم الظرف (بي) تعريض بأنهم هم في ضلال واضح، ثم قفى على نفى الضلالة عنه بإثبات مقابلها لنفسه وهي الهداية والتبليغ عن الله- تعالى- فقال: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أَبْلِغْكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف: 61-62] (1)

فهنا نرى أن نبي الله نوح – عليه السلام- فند شبهاً قومه ورد عليهم على النحو التالي:

- 1- نفى الضلال عن نفسه هو إثبات لصحة ما جاءهم به: توحيد الله، وإثبات أنه رسول من رب العالمين.
- 2- أن مهمته البلاغ والنصيحة وأن عنده علم من الله ليس عندهم.
- 3- استنكر عليهم تكذيبهم وعجبهم أن الله اختصه من دونهم بالرسالة.
- 4- التذكير بأنه رجل منهم يعرفونه جيداً جاءهم يخوفهم من عذاب الله.
- 5- لم يرد إساءتهم له بإساءة مثلها، إنما اكتفى بنفي الضلالة عن نفسه.

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (5/298) مرجع سابق

المطلب الثالث: عيبه بأنه بشر مثلهم واتباعه من أراذل القوم، واتهامه بالكذب:

وقد تناول القرآن هذه الشبهة في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٣٨﴾ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٣٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [هود: 27-31]

بعد التأمل في هذه الآيات الكريمة نرى أن الملأ الذين كفروا من قومه جادلوه ببعض الشبهات وهي:

- 1- أنه بشر مثلهم.
- 2- أن الذين اتبعوه الضعفاء والفقراء وأنهم اتبعوه دون تفكير، لأنهم لا يحسنون التدبر في الأمور.
- 3- أنه لا مزية ولا فضل لنوح ومن معه حتى يتركوا مكانتهم في السيادة والزعامة وينقادوا لنوح - عليه السلام -.
- 4- أننا نظن أنكم مفترون فيما زعمتموه لأنفسكم من فضل.

فرد نوح - عليه السلام - عليهم في رفق وحكمة، ناقضا هذه الشبه والاتهامات الباطلة، وجادلهم بالتالي هي أحسن، من باب العناية بإظهار الحق الذي يدعو إليه، وعسى أن يفيئوا إلى الصواب، فقال:

1- يا قوم إني لا أزعم أني أمتاز عليكم فإنني بشر مثلكم، ولكن أخبروني عن رأيكم فيما أعرضه عليكم: إن الله سبحانه قد هداني إليه فأمنت به، وتفضل على

بنعمة خصني بها من عنده وهي الرسالة، وأمرني بإبلاغها إليكم، وقد بلغت الرسالة وأديت الأمانة فخفى أمرها عليكم حين بادرتم إلى تكذيبها دون تدبير أو تأمل، فأخبروني ماذا أفعل لكم أنا ومن معي من المؤمنين بعد ذلك؟ أنرغمكم على العمل بشريعة الله التي رحمكم بها وأنتم لها كارهون.

2- وفي هذا عدم إغلاق طريق الرجعة والتوبة، فإذا كانت النبوة أو الرحمة التي أوتيتها نوح عليه السلام قد عميت عليهم، فإنها الآن ظاهرة وواضحة، فليفتحوا لها أبصارهم ويرفعوا العماية عنها ليروها.

3- نفى عن نفسه أي منفعة دنيوية فقال: يا قوم إنني لا أريد منكم مالا على أداء هذه الرسالة، فما أجرى إلا على الله وحده فما بالكم ترفضون ما دعوتكم إليه من الحق.

4- الصراحة والوضوح، فقد صرح لهم ألا يمكن أن يتخلى عن أمن برسالته، ولا أن يغلق الطريق أمام من انقاد لأمر ربه عز وجل، وهل يعقل أن يدعوهم إلى الإيمان بربهم وأن يبنذوا عبادة الأصنام والأوثان ثم يتنكر لهم ويطردهم من مجلسه؛ ليستقبل فيه الأشراف والسادة؟!

5- ثم قدم لهم شخصه ورسالته مجردين عن كل زخرف، ليقرر لهم القيم الحقيقية، ويزدري أمامهم القيم الظاهرية، بتخليه عنها، فمن شاء الرسالة كما هي، بقيمها، فليتقدم إليها مجردة خالصة لله.

6- وعند هذا الحد كان الملام من قوم نوح قد يبسوا من مناهضة الحجة بالحجة فإذا بهم وقد أخذتهم العزة بالإثم، واستكبروا أن تغلبهم الحجة، إذا بهم يتركون الجدل إلى التحدي قائلين: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: 32]، بل بلغ بهم الحال أن طلبوا من نبيهم أن ينزل عليهم ما خوفهم به من العذاب، ولما سألوه ذلك قال لهم: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [هود: 33] وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ [هود: 33-34] (١)

(1) ينظر: تفسير الظلال لسيد قطب (4/1874)، والتفسير الوسيط (4/183:188)

المبحث الثالث/ الحوار

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الحوار.

المطلب الثاني: حوار ه مع قومه.

المطلب الثالث: حوار ه مع ولده.

المطلب الرابع: حوار ه مع رب العالمين.

المطلب الأول: تعريف الحوار:

الحوار لغة: مأخوذ من الفعل "حور" والحور: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، والحور: النقصان بعد الزيادة لأنه رجوع من حال إلى حال، وأحار عليه جوابه: رده، والمحاورة: المجاورة، والتحاور: التجاوب؛ والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة. (1)

واصطلاحاً يقصد به: (نوع من الحديث بين شخصين، أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب) (2)

والحوار هو أمثل أسلوب لعرض الدعوة، والدفاع عنها وتقنيدها الشبه المثارة حولها، وتضييق مساحة الخلاف، وتقريب وجهات النظر، وإقامة الحجة على المخالفين والمعاندين، وبيان ما هم عليه من الباطل لعلهم يرجعون إلى الحق، ولئلا يغتر بكلامهم بقية الناس فيختار كل واحد طريقه عن بينة وبرهان، وفي

(1) ينظر لسان العرب مادة "حور" (2/1042)

(2) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ليحيى زمزمي (ص22) ط دار التربية والتراث مكة المكرمة، ودار رمادي للنشر بالدمام الطبعة الأولى 1994م

إظهار الحق وإبطال الباطل إظهار لعزة الإسلام وقوته في نفوس أتباعه، بل ومخالفه. (1)

المطلب الثاني: حوار مع قومه:

1-ابتدأ نبي الله نوح - عليه السلام - حوار مع قومه بدعوتهم إلى التوحيد، وبين شفقتة عليهم محذرا إياهم إن عصوه من عذاب يوم أليم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: 25-26]

2-وبعد دعوتهم لتوحيد الله أنكروا أن يكون رسولا من عند الله لأنه بشر، وكيف يرسل الله رسولا بشرا؟ ويكون أتباعه من أراذلهم؟ قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: 27]

3-استمع نبي الله نوح - عليه السلام- لما قالوا، وتناول شبهاتهم وفندها واحدة تلو الأخرى، ورد عليهم بحلم وحكمة بدون غضب أو مقابلة لإساءتهم له ولمن آمن معه بإساءة مثلها مبينا أنه رسول من عند الله.

4-ويبدو من رد نوح - عليه السلام - تجرده للحق وحرصه على هداية قومه، وأن الله آتاه رحمة من عنده فلم يهتدوا إليها، وأنه لا يريد أن يلزمهم بها مكرهين إنما يريد منهم أن ينقادوا لله مختارين قال تعالى حكاية عن نوح: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ

(1) وإتماما للفائدة: ما الفرق بين الجدل والحوار؟ الجدل والحوار "يلتقيان في كونهما حديثاً أو مراجعة للكلام بين طرفين، ويفترقان في أن الجدل فيه لد في الخصومة، وشدة في الكلام مع التمسك بالرأي، والتعصب له، وأما الحوار فهو مجرد مراجعة الكلام بين الطرفين دون وجود خصومة بالضرورة، بل الغالب عليه الهدوء والبعد عن التعصب ونحوه، فالحوار أعم من الجدل من هذا الوجه." المرجع السابق ص (26)

أَنْزَلِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿ [هود: 28] ، وهذا يسمونه التسليم الجدلي للخصم وقد كثر هذا الأسلوب في الحوار على السنة الأنبياء عليهم السلام أن يطلبوا (من أقوامهم أن يفترضوا ولو مجرد افتراض - أن يكونوا مرسلين من عند الله، وأن يفترضوا أن معهم حجة وبينة، ولا شك في صدق الأنبياء وثقتهم في ربهم، ولكنه من باب التنزل مع الخصم لتقريب الأمر إليه وزعزعة موقفه) (1)

5- ثم بين عليه السلام في بقية حوارهِ مع قومه أنه لا يرجو من وراء دعوته أي منفعة دنيوية، فهو لا يرجو مالا على دعوته ولا يتطلع إلى شهرة فما نصحكم ولا دعوتكم إلا ابتغاء وجه الله، قال: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود: 29]

6- ثم رد على شبهتهم بقولهم أنه ما اتبعه إلا الضعفاء وأراذل القوم فقال: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود: 29] ، وكأنهم طلبوا منه أن يطردهم من مجلسه استنكافا أن يجالسونهم (وكان هذا جهلا منهم، لأنهم عابوا نبي الله صلى الله عليه وسلم بما لا عيب فيه، لأن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، إنما عليهم أن يأتوا بالبراهين والآيات، وليس عليهم تغيير الصور والهيئات، وهم يرسلون إلى الناس جميعا، فإذا أسلم منهم الدنيء لم يلحقهم من ذلك نقصان، لأن عليهم أن يقبلوا إسلام كل من أسلم منهم) (2)

7- ثم دعاهم إلى الإنصاف وإعادة النظر في كلامهم عن أتباعه من المؤمنين ثم تساءل مستنكرا: ﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: 30] وهذا كله إظهارا للحق وتفنيدا للشبهة برد الأباطيل التي قالوها.

8- ثم قدم لهم نفسه بتجرد وشفافية وتواضع ، وبدون تزكية أو تمجيد لنفسه قائلا: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ

(1) الحوار آدابه وضوابطه ليحيى زمزمي (ص303) مرجع سابق

(2) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (ص9/23)

الظَّالِمِينَ ﴿ هود: 31 ﴾، فهو بشر مثلهم ليس عنده مال وفير أو خزائن وكنوز، وليس عنده قدرة لمعرفة الغيب ؛ فلا يعلم الغيب إلا الله، وَلَا يَقُولُ إِنَّهُ مِنْ جِنْسِ الْمَلَائِكَةِ لِيَتَمَيَّزَ عَنْهُمْ وَفِيهَا نَفْيٌ لَشَبَهَةِ قَوْلِهِمْ : (مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا) [هود: 27] ، وَلَا يَقُولُ أَيْضًا لِمَنْ تَحْتَقِرُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يُعْطِيَهُمْ أَجُورَهُمْ، فليس لي إلا ظاهرهم، والله أعلم بما في بواطنهم، وإلا سأكون ظالما إن ادعيت ذلك.

9-وهنا يقرر نوح -عليه السلام- في حوارهِ مع قومه مبدأ الإنصاف، وهذا من حكمة نبي الله نوح -عليه السلام- مع قومه أنه أراد حملهم على الإنصاف من أنفسهم بتقرير فكرته وحملهم عليها، مع قوة في الحجة، برد الاعتبار للمؤمنين من اتباعه وأنه كبشر لا يعلم إلا ظاهرهم فيعاملهم على أساسه، أما بواطنهم فعلمها عند الله.

10-وبعد أن فند نوح شبههم كلها وأبطلها واحدة تلو الأخرى لم يعد للقوم سبيل إلا أن يؤمنوا أو يستمروا على تكذيبهم فيقع بهم العذاب الأليم، لكنهم وأسفاه اشتروا الضلالة بالهدى واستعجلوا وقوع العذاب بهم، فقالوا: ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [هود: 32]

ولم ينجحوا أبدا بردهم هذا في استفزاز نبي الله نوح - عليه السلام- ولا استغضابه (فلا يخرجهم هذا التكذيب والتحدي عن سمت النبي الكريم، ولا يقعه عن بيان الحق لهم، وإرشادهم إلى الحقيقة التي غفلوا عنها وجعلوها في طلبهم منه أن يأتيهم بما أوعدهم، وردهم إلى هذه الحقيقة وهي أنه ليس سوى رسول، وليس عليه إلا البلاغ، أما العذاب فمن أمر الله، وهو الذي يدبر الأمر كله، ويقدر المصلحة في تعجيل العذاب أو تأجيله، وسنته هي التي تنفذ.. وما يملك هو أن يردها أو يحولها إنه رسول، وعليه أن يكشف عن الحق حتى اللحظة الأخيرة، فلا يقعه عن إبلاغه وبيانه أن القوم يكذبونه ويتحدونه: ﴿ قَالَ إِنَّمَا

يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ [هود: 33-35]، فإذا كانت سنة الله تقتضي أن تهلكوا بغوايتكم، فإن هذه السنة ستمضي فيكم، مهما

بذلت لكم من النصح، لا لأن الله سيصدقكم عن الانتفاع بهذا النصح، ولكن لأن تصرفكم بأنفسكم يجعل سنة الله تقتضي أن تصلوا، وما أنتم بمعجزين لله عن أن ينالكم ما يقدر لكم، فأنتم دائماً في قبضته، وهو المدبر والمقدر لأمركم كله، ولا مفر لكم من لقائه وحسابه وجزائه. (1)

رده على سخرية قومه منه:

وبعد دعوة نوح لقومه ألف سنة إلا خمسين عاماً أوحى الله إليه أن يصنع سفينة تكون مركباً للنجاة عند وقوع العذاب بقومه، لكن قومه سخروا منه واستهزأوا بما يصنع، وقد سجل لنا القرآن هذا المشهد في قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [هود: 38-39] ، في بعض الأحيان لا يجدي مع الخصم الرفق واللين، فلا بد من إيقافه عند حده بقوة وصرامة، فهنا لما سخر قوم نوح منه، فكانوا يتضحكون ويقولون له: يا نوح، صرت نجاراً بعد ما كنت نبياً؟! رد عليهم بما يوافقهم في أسلوبهم ، فهنا نوح – عليه السلام- يجيبهم جواب الواثق بربه ويخبرهم في اعتزاز وثقة وطمأنينة واستعلاء أنه يبادلهم سخرية بسخرية ، فكما تَسْخَرُونَ منا الساعة فَإِنَّا سَنَسْخَرُ مِنْكُمْ في المستقبل مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة؛ لأنكم لا تدركون ما وراء هذا العمل من تدبير الله وما ينتظركم من مصير. (2)

المطلب الثالث: حوار مع ولده:

إنه حوار اللحظات الأخيرة إما نجاة بركوب السفينة، أو هلاك مع القوم الكافرين، قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي

(1) تفسير الظلال لسيد قطب (ص 1875 / 4) مرجع سابق

(2) ينظر تفسير الزمخشري المسمى (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) (2/393) للإمام الزمخشري، الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببירות، الطبعة: الثالثة 1407 هـ - 1987 م، وتفسير الظلال (4/1877) مرجع سابق.

مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ [هود: 42-43]، ركب نوح -عليه السلام- السفينة مع الذين آمنوا معه ، وقبل إبحارها نادى الأب على ابنه ، وكلماته تفيض بالرقّة والحنان والخوف على ولده من المصير المنتظر للكافرين، قال: يا بني اركب معنا فهذه سفينة النجاة من لم يركب معنا فهو مع الهالكين ، وكان ابنه في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وعن المؤمنين وقتما كانوا على الشاطئ يستعدون لركوب السفينة، فيرد الابن العاق معلنا عصيانه وإصراره على الكفر قائلا: (سَأْوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ) [هود: 43] ، سألجأ إلى جبل مرتفع يحميني من الماء ويمنعني تسلُّقه من الغرق بالطوفان، لم يدرك الابن بعد حجم الهلاك الذي سيحدث للجميع دون ركاب السفينة وظن أن الجبل يحميه فمهما بلغ الماء فلن يبلغ قمة الجبل هكذا ظن أو منى نفسه، ولم يدر بخلده أنها النهاية، ومن هنا قالها نوح الأب الشفيق قبل أن يحول الموج بينه وبين ولده المغرور (قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ) [هود: 43] ، لم يستمع الابن إلى نصيحة أبيه، وقام الموج حائلا بين نوح وابنه فاجتذبه إليه، وكان هذا الولد من جملة الذين أغرقهم الله بالطوفان من الكفار أمثاله. (1)

ونلاحظ في هذا الحوار عدة أمور:

- 1- طول نفس نوح -عليه السلام- وصبره وعدم يأسه من دعوة ابنه إلى الإيمان، وتوجيهه نحو الطريق الصحيح ولو في اللحظات الأخيرة رغم بداية الطوفان.
- 2- عاطفة الأبوة والتي يغلب عليها الشفقة والخوف، والتحذير من الهلاك.
- 3- إصرار الابن وعناده وتمنية نفسه بالنجاة باللجوء إلى جبل يعصمه من الماء.
- 4- مشهد النهاية يبين أن كل امرئ مسؤول عن نفسه، ويتحمل نتيجة اختياره.

(1) ينظر التفسير الوسيط (196:197/4) مرجع سابق

المطلب الرابع: حوار ه مع رب العالمين:

وبعد انتهاء الطوفان واستواء السفينة على الجودي نادى نوح ربه وهو الأب الشفيق الذي أحزنه إصرار ابنه على الكفر وهلاكه مع الهالكين، فأراد نفعه في الآخرة بعد اليأس من نجاته في الدنيا، فسأل الله المغفرة لولده، وألا يعامله معاملة الكافرين في الآخرة. (1)

قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُنَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨) [هود: 45-48]، قالها نوح يستنجز ربه وعده في نجاة أهله، ويستنجزه حكمته في الوعد والقضاء، وجاءه الرد بالحقيقة التي غفل عنها؛ فالأهل ليسوا قرابة الدم، إنما هم قرابة العقيدة، وهذا الولد لم يكن مؤمناً، فليس إذن من أهله، جاءه الرد هكذا في قوة وتقرير وتوكيد: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: 46]، ولأن نوحاً دعا دعاء من يستنجز وعداً لا يراه قد تحقق.. كان الرد عليه يحمل رائحة التأنيب والتهديد: إنني أعظك خشية أن تكون من الجاهلين بحقيقة الوشائج والروابط، ويرتجف نوح ارتجافة العبد المؤمن يخشى أن يكون قد زل في حق ربه، فيلجأ إليه، يعوذ به، ويطلب غفرانه ورحمته: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: 47]، وأدركت رحمة الله نوحاً، تطمئن قلبه، وتباركه هو والصالح من نسله، فأما الآخرون فيمسهم عذاب أليم: ﴿قِيلَ يَا

(1) ينظر تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (ص 12/83) مرجع سابق

نُوحٌ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ
يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ [هود: 48] (1)

ونلاحظ في هذا الحوار:

- 1- أدب العبودية وكيف ينادي العبد مولاه وسيده وكيف يستغفر ويستعجب إن أخطأ.
- 2- بيان أن رابطة العقيدة هي الأبقى وليس رابطة النسب، فلا ينفع النسب عند الله مع الكفر.
- 3- تجرد نوح وإخلاصه لله، وركونه إليه في كل شيء، وثقته في عدل الله ورحمته.
- 4- عبودية نوح لله وانكساره، واعترافه بضعفه أمام عظمة الله وجلاله، واستسلامه لحكم الله وقضائه.
- 5- اصطفاء الله لنوح والذين آمنوا معه ليكونوا نواة لعمارة الأرض من جديد بعد الطوفان.

(1) ينظر تفسير الظلال (ص 4/1879) مرجع سابق

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة

نوح - عليه السلام -

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ الاستغفار سبب للنعم.

المبحث الثاني/ الاستدلال على عظمة الله
بالآيات الكونية.

المبحث الثالث/ معجزة السفينة.

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة نوح عليه السلام

تعريفه:

لغة: كلمة الحسي مأخوذ من الفعل [حسس] والحس والحسيس: الصوت الخفي، والحس أيضا: وجع يأخذ النفساء بعد الولادة، والحس أيضا: مصدر قولك حس له، أي رق له، والحواس: المشاعر الخمس: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس. ويقال أيضا: أصابتهم حاسة، وذلك إذا أضر البرد أو غيره بالكلى، ويقال أيضا: حسست بالخبر وأحسست به، أي أيقنت به.(1)

والمعنى الذي يعيننا هنا أن الحس في اللغة بمعنى الإدراك، والإحساس الناتج عن الحواس الخمس بالنسبة للإنسان.

واصطلاحا المنهج الحسي: "هو النظام الدعوي الذي يركز على الحواس، ويعتمد على المشاهدات والتجارب."(2)

ويعد هذا المنهج من أبرز مناهج الدعوة التي ينبغي أن يسلكها الدعاة إلى الله، لسرعة تأثيره في النفوس لأنه يعتمد على لفت الأنظار للأمر المشاهدة والمحسوسة، ولاشتراك الناس جميعا في أنواع الحس أو بعضها(3)

وقد استخدم نبي الله نوح هذا المنهج في الدعوة في عدد من المواقف يتناولها الباحث في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ الاستغفار سبب للنعم.

المبحث الثاني/ الاستدلال على عظمة الله بالآيات الكونية.

المبحث الثالث/ سفينة النجاة (الفلك المشحون).

(1) ينظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور (3/916)، مادة "حسس" طبعة دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة 1407 هـ 1987 م.

(2) المدخل إلى علم الدعوة للبيانوني (ص 214) مرجع سابق

(3) ينظر المرجع السابق ص(218)

المبحث الأول/ الاستغفار سبب للنعم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الاستغفار لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: ثمرات الاستغفار.

المطلب الأول: تعريف الاستغفار لغة واصطلاحاً:

الاستغفار لغة: غفر: أصل الغفر التغطية والستر، ويقال: غفر الله ذنوبه أي سترها؛ والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب، والاستغفار: طلب المغفرة قولاً وفعلاً. (1)

واصطلاحاً هو: "طلب الغفر، وهو الستر، والتوبة الرجوع عما كان فيه من شرك أو معصية" (2)

المطلب الثاني: ثمرات الاستغفار:

دعا نوح – عليه السلام- قومه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً ومن الطرق التي سلكها في إقناع قومه تبصيرهم بأن المعاصي سبب لزوال النعم، وأن الإيمان بالله سبب لنزول الخيرات والبركات، فأراد أن يرغبهم في خير الدنيا والآخرة، كما قال تعالى حكاية عن نوح: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٢٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٢١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢٢﴾﴾ [نوح: 10-12] ، فقد كانوا أهل دنيا فأراد ترغيبهم بالكثير من الخيرات إذا أخذوا سبباً واحداً؛ وهو التوبة إلى الله (أطمعهم في

(1) ينظر لسان العرب مادة (غفر)، (5/3273)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (4/135) تحقيق: محمد علي النجار، ط المجلس الأعلى للثقون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام النشر: 1416 هـ - 1996 م

(2) تفسير الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (2/471)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ

الغفران إذا استغفروا ربهم فهو - سبحانه - غفار للذنوب: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا) [نوح: 10] ، وأطعمهم في الرزق الوفير الميسور من أسبابه التي يعرفونها ويرجونها وهي المطر الغزير، الذي تنبت به الزروع، وتسيل به الأنهار، كما وعدهم برزقهم الآخر من الذرية التي يحبونها - وهي البنين - والأموال التي يطلبونها ويعزونها: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۖ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: 11-12] (1)

فأراد - عليه السلام - أن يلفت حس قومه بأن حدوث هذه النعم التي حرموا منها (2) إنما يكون بالتوبة إلى الله غفار الذنوب، واستمطار فضله وإنعامه مما حرموه بسبب كفرهم وعنادهم.

المبحث الثاني/ الاستدلال على عظمة الله بالآيات الكونية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: آيات الله في الكون المنظور.

المطلب الثاني: آية خلق السماوات والأرض.

المطلب الثالث: آيتا الشمس والقمر.

المطلب الرابع: آية الخلق من الأرض والعودة إليها ثم البعث والنشور.

المطلب الخامس: آية بسط الأرض.

(1) تفسير الظلال (6/3713) مرجع سابق

(2) قال الإمام البيهقي في تفسيره (وذلك أن قوم نوح لما كذبوه زمنا طويلا حبس الله عنهم المطر وأعمق أرحام نساءهم أربعين سنة، فهلكت أولادهم وأموالهم ومواشيهم، فقال لهم نوح: استغفروا ربكم من الشرك، أي استدعوا المغفرة بالتوحيد، يرسل السماء عليكم مدرارا). تفسير البيهقي معالم التنزيل في تفسير القرآن (ص 5/156) بتحقيق عبد الرزاق المهدي، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ

المطلب الأول: آيات الله في الكون المنظور:

أراد نوح - عليه السلام - أن يلفت أنظار قومه إلى بعض آيات الله في الكون المنظور أمامهم، وقد رأي فيهم استخفافا بجلال الله وعظمته وعنادا وصدودا عن قبول الحق فتوجه إليهم بالسؤال مستنكرا عليهم عدم إيمانهم بالله فقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح: 13-14]، قال ابن عباس: لا تعظمون الله حق عظمته، أي: لا تخافون من بأسه ونقمته. (1)

مالك لا تعظمون الله وقد خلقكم أطوارا ، وقد جاءهم بهذه الصورة (لأن الأطوار التي يعلمونها دالة على رفقه بهم في ذلك التطور، فهذا تعريض بكفرهم النعمة، ولأن الأطوار دالة على حكمة الخالق وعلمه وقدرته، فإن تطور الخلق من طور النطفة إلى طور الجنين إلى طور خروجه طفلا إلى طور الصبا إلى طور بلوغ الأشد إلى طور الشيخوخة وطور الموت على الحياة وطور البلى على الأجساد بعد الموت، كل ذلك والذات واحدة، فهو دليل على تمكن الخالق من كيفيات الخلق والتبديل في الأطوار، وهم يدركون ذلك بأدنى التفات الذهن، فكانوا محققين بأن يتوصلوا به إلى معرفة عظمة الله وتوقع عقابه لأن الدلالة على ذلك قائمة بأنفسهم وهل التصرف فيهم بالعقاب والإثابة إلا دون التصرف فيهم بالكون والفساد. (2)

فاستدل على عظمة الله وأنه المستحق للعبادة دون غيره بالنظر في أنفسهم فهي أقرب شيء إليهم، والتأمل في آية خلقهم من العدم، وإنعامه عليهم بنعمة الوجود، وتطور خلقهم من نطفة إلى علقة إلى مضغة.

المطلب الثاني: آية خلق السماوات والأرض:

ثم وجههم إلى آية أخرى أعظم من خلق الإنسان، وهي آية خلق السماوات والأرض، كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: 57]، وكأنه يسألهم ماذا خلقت آلهتكم المزعومة حتى تشركوها في عبادة الله (ألم تشاهدوا أيها القوم عظمة الله، وكمال قدرته فيما أبدع من آيات كونية، وتتنظروا إليها نظر تفكر واعتبار، كيف خلق

(1) تفسير ابن كثير (ص4/565) مرجع سابق

(2) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (ص 29/201) مرجع سابق

الله العظيم سبع سماوات متطابقة من غير مماسة، بعضها فوق بعض، وهي في غاية الإحكام والإتقان وإبداع الصنع⁽¹⁾

وهذا كله دال على عظمته وتفردته بالخلق، وموجب للإيمان به ربا خالقا مبدعا وإلها واحدا معبودا ليس له شركاء ولا أنداد.

المطلب الثالث: آيتا الشمس والقمر:

ويواصل نبي الله نوح - عليه السلام - دعوة قومه لإعمال الحس والفكر والنظر إلى آية أخرى، وهي: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: 16]، أي: (وجعل - سبحانه - بقدرته القمر في السماء الدنيا نورا للأرض ومن فيها، وجعل الشمس كالسراج في إضاءتها وتوهجها وإزالة ظلمة الليل، إذ السراج هو المصباح الزاهر نوره، الذي يضيء ما حوله).⁽²⁾

فهذه النعم لو سلبت منهم أو اختل مسيرها لهلكوا جميعا فهي آيات دالة عليه سبحانه، وعلى وجوب إفراده بالعبادة، وآيات على قدرته سبحانه في تدبيرها وتقديرها وتسييرها.

المطلب الرابع: آية الخلق من الأرض والعودة إليها ثم البعث والنشور:

ثم انتقل نوح - عليه السلام - من تنبيههم إلى ما في خلق السماوات والشمس والقمر من دلالة على وحدانية الله وقدرته.. إلى لفت أنظارهم إلى التأمل في خلق أنفسهم، وفي مبدئهم وإعادتهم إلى الحياة مرة أخرى بعد موتهم، فقال - كما حكى القرآن عنه -: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: 17-18]⁽³⁾

فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان، بل الكون كله من العدم، وكل شيء عدا الله عز وجل مخلوق له خاضع لأمره، فإذا كان الحق جل وعلا هو الخالق المبدع.. فإنه إذن وحده المستحق للعبادة والمستحق للشكر، وعبادة غيره ظلم

(1) التفسير الوسيط مجمع البحوث (10/1599) مرجع سابق

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي (15/119) مرجع سابق

(3) المرجع السابق (15/120)

للنفس وحياد عن الحق، وفي ذلك يقول جل شأنه: (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ) [النحل: 20]، وكما خلق الله الخلق من العدم فإنهم سيموتون ثم يبعثهم الله من قبورهم فيجازيهم على أعمالهم ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [توح: 18]

المطلب الخامس: آية بسط الأرض:

ثم ختم نوح- عليه السلام- حديثه لقومه عن نعم الله بلفت أنظارهم إلى نعمة الأرض التي يعيشون عليها، فقال: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ [توح: 19-20] لِيَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿١٩﴾

أي: (والله- تعالى- وحده هو الذي جعل لكم- بفضله ومنته- الأرض مبسوطه، حيث تتقلبون عليها كما يتقلب النائم على البساط، وجعلها لكم كذلك لِيَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا أَي: لكي تتخذوا منها لأنفسكم طرقاً فِجَاجاً أَي: متسعة جمع فج وهو الطريق الواسع، وقوله: بِسَاطًا تشبيهه بليغ. أي: جعلها لكم كالבساط، وهذا لا يتنافى مع كون الأرض كروية، لأن الكرة إذا عظمت جداً، كانت القطعة منها كالسطح والبساط في إمكان الانتفاع بها، والتقلب على أرجائها.)⁽¹⁾

فهنا نرى كيف أن نبي الله نوح – عليه السلام - حاول أن يصل إلى عقول قومه وقلوبهم، مستدلاً على الإيمان بالله بهذه الآيات الكونية التي ساقها لهم، ولكن قومه كانوا قد بلغوا الغاية في العناد والكفر، والصد عن سبيل الله -تعالى-.

المبحث الثالث/ سفينة النجاة (الفلك المشحون)

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أمر الله لنوح ببناء السفينة.

المطلب الثاني: صنع السفينة بعناية الله ووحيه.

المطلب الثالث: احمل فيها من كل زوجين اثنين.

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (15/121) مرجع سابق

المطلب الرابع: وفار التنور.

المطلب الخامس: وهي تجري بهم في موج كالجبال.

المطلب الأول: أمر الله لنوح ببناء السفينة:

أوحى الله - عز وجل - إلى نبيه نوح - عليه السلام - بأنه لن يؤمن أحد بدعوته إلا من آمن، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: 36]، ثم أمره الله - تعالى - أن يصنع سفينة، وعلمه كيف يتقن صنعها، ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [هود: 37]، وقد كانت تلك السفينة آية من آيات الله - عز وجل - الدالة على قدرته وعظمته، بناها نوح - عليه السلام - بوحى وتعليم من الله، ولا نعرف حجمها ولا شكلها ولا تصميمها، وكل ماورد من ذلك أقوال مرسله لا دليل عليها، لأن (القرآن في إيراده للقصص والأخبار، لا يهتم إلا بإبراز النافع المفيد منها، أما ما عدا ذلك مما لا فائدة من ذكره، فيهمل القرآن الحديث عنه، فمثلا في قصة نوح - عليه السلام - هنا، لم يتعرض القرآن لبيان المدة التي قضاها نوح في صنع السفينة، ولا لبيان طول السفينة وعرضها وارتفاعها، ولا لتفاصيل الأنواع التي حملها معه في السفينة، ولا لبيان الفترة التي عاشها نوح ومن معه فيها، ولا لبيان المكان الذي هبط فيه نوح بعد أن استوت السفينة على الجودي.. ولا لبيان الزمان الذي استغرقه الطوفان فوق الأرض، وما ورد في ذلك من أقوال وأخبار، أكثرها من الإسرائيليات التي لا يؤيدها دليل من الشرع أو العقل.)⁽¹⁾

لكن لا شك أنها كانت آية لأهل الأرض، دالة على عظمة الله وقدرته، كما قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: 15] وقال سبحانه: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ [يس: 41]

المطلب الثاني: صنع السفينة بعناية الله ووحيه:

وصنع نوح - عليه السلام - السفينة بوحى من الله، فهو لا يعرف شيئا عن صناعة السفن من قبل، قال تعالى: (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا

(1) المرجع السابق (7/217،218)

وَوَحِينَا] [المؤمنون: 27]. ودل قول الله تعالى: (بأعيننا ووحينا) على: (أن التنفيذ
وخطّة العمل، وهندسة بناء السفينة، وتحديد المواد التي تصنع منها، وطريقة
التنفيذ أمور مسبوقه بالوحي، ومحفوظة بالعناية والمراقبة التوجيهية، والتسديد
المتتابع، حتى تبلغ الفلك الغاية المقصودة من إحكام الصنع للأمر الذي تُهيأ له،
كل هذا ضمن إمكانات نوح -عليه السلام- المتاحة له في زمانه.)⁽¹⁾

المطلب الثالث: احمل فيها من كل زوجين اثنين:

أنتم نوح -عليه السلام- صنع السفينة، وحمل فيها الذين آمنوا معه، ومن كل
حيوان وطير وسائر المخلوقات زوجين اثنين، تنفيذاً لأمر الله، ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا
مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا
قَلِيلٌ﴾ [هود: 40]

المطلب الرابع: علامة بداية الطوفان: (وفار التنور):

هذه علامة بداية الطوفان (وفار التنور)، فما هو التنور؟ التنور الفرن الذي
يخبز فيه، وهو قول أكثر المفسرين، ورجح هذا القول شيخ المفسرين ابن جرير
الطبري⁽²⁾ فقال: "وأولى الأقوال عندنا بتأويل قوله: "التنور" قول من قال: "هو
التنور الذي يخبز فيه"، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا
يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجة على شيء

(1) تفسير معارج التفكير ودقائق التدبر لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (10/387)، ط دار
القلم - دمشق الطبعة الأولى 2006م

(2) هو الإمام محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر (224-310) المؤرخ المفسر الإمام.
ولد في أمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها، له كتب عديدة منها: أخبار الرسل والملوك،
ويعرف بتاريخ الطبري، وجامع البيان في تفسير القرآن، ويعرف بتفسير الطبري، وغيرها من
الكتب النافعة، وهو من ثقاة المؤرخين، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق. ينظر
ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي (2/212)، بتحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى
الناشر: دار إحياء التراث - بيروت عام النشر: 1420 هـ - 2000م، ومعجم الأدباء: إرشاد الأريب
إلى معرفة الأديب، للحموي (6/24416)، بتحقيق: إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي،
بيروت الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م، والأعلام للزركلي (6/69)

منه بخلاف ذلك، فيسلم لها، وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به لإفهامهم معنى ما خاطبهم به". (1)

أمره الله - عز وجل - بتسيير السفينة وكانت علامة بدء الطوفان أن يفور التنور بالماء ، أي أن الله سينزل السماء بالماء بالمنهمر ، ويفجر الأرض كلها عيوناً؛ لدرجة أن التنور، وهو الفرن الذي يخبز فيه الذي يكون محل النار في العادة، وأبعد ما يكون عن الماء، سيتفجر منه الماء ، حينئذ عليه أن يحمل معه المؤمنين ، ومن كل زوجين اثنين ، وأما من كفر من قومه فعاقبته الغرق بالطوفان، قال تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: 40]، وركب نوح السفينة مع المؤمنين: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: 41]، والعجب أنها سفينة تتحمل فيضان الماء، وارتفاع الأمواج العاتية، التي وصفها عز وجل بقوله تعالى: (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ) [هود: 42]، وهذا التعبير القرآني الموجز البليغ يهدف إلى: (تقديم صورة بدء جري الفلك في الماء العظيم، الذي صار الموج فيه كالجبال الصغرى شكلاً وارتفاعاً، ولا تكون الأمواج في البحر متعالية بحسب السنة المعتادة، إلا إذا كانت الرياح العاتيات تحركها، فوصف الموج بأنه كالجبال أغنى عن ذكر الرياح العاتيات في الصورة، لأنّ الذهن يستدعيها في التصور) (2)

كانت السفينة تجري مسرعة في الماء ،الذي يغمرها من تحتها ومن فوقها ، ويحتويها من كل جوانبها ، والمعتاد أن السفن تمشي فوق الماء، أما هذه السفينة

(1) تفسير جامع البيان الطبري: (12/406)، ومما هو جدير بالذكر؛ ما ذكره الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء، فقد ذكر قولاً لبعض المفسرين وهو: أن قوله تعالى: (وفار التنور) يشير إلى أن سفينة نوح كان بخارية مستندلاً بقوله (وفار التنور) وأن قوم نوح كان قد بلغوا في المدنية شأوا بعيداً فاستخدموا البخار وأجروا به السفن، ثم قال: ولست أميل إلى هذا لأنه يقتضي أن التنور يفور من نفسه، بل الذي أفهمه أن الأرض لما هيا الله الطوفان كانت ممتلئة بالماء من تحتها إشارة إلى قربها، ففار تنور أهله الذي يخبزون فيه. أ. هـ كلامه، من كتابه قصص الأنبياء ص (60) ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان الطبعة الأولى (1425-2005)

(2) المرجع السابق (ص 10/396)

فقد تحملت الماء المندفِع من الأرض ، والماء المنهمر من السماء، قال تعالى:
﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ
قُدِرَ وَحَمَلْنَا عَلَى ذَاتِ الْأَوَاجِ وَدُسْرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا﴾ [القمر: 11-
14] ، فهذا الماء بهذه الكثرة يستحيل أن تنجو منه أي سفينة عادية ، لكن لا غرابة
في ذلك فهي تجري بأمر الله ، وقد تعهد لها سبحانه وتعالى أثناء جريانها وعند
مرساها بالعناية والرعاية .

المطلب الخامس: وهي تجري بهم في موج كالجبال:

ومن الأمور التي نتوقف عندها: ركاب السفينة فقد سُحنت السفينة بكل من
آمن مع نوح من البشر، وكل الحيوانات والطيور والحشرات، من كل صنف
زوجين اثنين، على اختلاف بيئاتها، وطبائعها، ومع اختلاف طرق معيشتها،
ونوعية غذائها، والتناقض والتضاد بينها، وفيها من هو عدو للآخر، إلا أنها
تعاشيت بسلام مع بعضها إلى أن وصلت السفينة محطتها الأخيرة، واستقرت علي
جبل الجودي، وقد وصفها رب العزة بالسفينة المشحونة، وتعهد بنجاة كل من فيها
ممن كانوا مع نوح- عليه السلام- من المؤمنين، وغيرهم ممن سُحنت بهم السفينة،
قال تعالى: (فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ) [الشعراء: 119]، وبذلك تعد
السفينة في صناعتها، وقوة تحملها وسرعتها، وحمولتها، وركابها، آية للعالمين
تفوق قدرات البشر، وكانت وقت الطوفان مركب النجاة للمؤمنين معه والأزواج
التي حملها من سائر الكائنات.

الباب الثاني

المناهج الدعوية في رسالة

هود - عليه السلام -

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول / المنهج العاطفي.

الفصل الثاني / المنهج العقلي.

الفصل الثالث / المنهج الحسي.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة

هود - عليه السلام -

وفيه أربعة مباحث:

**المبحث الأول / الرفق وإظهار
العاطفة.**

المبحث الثاني / الترغيب.

المبحث الثالث / الترهيب.

المبحث الرابع / التذكير بنعم الله.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة هود عليه السلام

عند تتبع الآيات القرآنية التي ذكرت قصة نبي الله هود – عليه السلام- نجد أنه قد استخدم المنهج العاطفي في عدة مواقف يتناولها الباحث في أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني/ الترغيب.

المبحث الثالث/ الترهيب.

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوهم.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)

المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه.

المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوهم:

وقد ورد هذا في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: 65]، فكلمة (أخاهم) تعني أخوة النسب لا الدين، فنبي الله هود رجل من قومه معروف لديهم، وهي أيضا كلمة " تُشْعِرُ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ؛ إنه من جنسهم، ولغته لغتهم، وأنسهم به، ويعرفون كل شيء وكل تاريخ عنه، وكل ذلك إشارات تعطى الأنس بالرسول؛

فلم يأت لهم برسول أجنبي عاش بعيداً عنهم حتى لا يقولوا: لقد جاء ليصنع لنفسه سيادة علينا، بل جاء لهم بواحد منهم وأرسل إليهم «أخاهم» (1)

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم):

وقد تكرر نداء هود -عليه السلام - على قومه بقوله: (يا قوم) عدة مرات كما قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ إِنَّكُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: 50]، قال: (يا قوم)، ولا يخفى علينا ما في هذا النداء من التلطف في النصيح، وتأليف القلوب، قالها هود -عليه السلام - "بهذا التودد، والتذكير بالأواصر التي تجمعهم، لعل ذلك يستثير مشاعرهم ويحقق اطمئنانهم إليه فيما يقول، فالرائد لا يكذب أهله، والناصح لا يغش قومه." (2)

المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه:

فقد بين النبي الله هود لقومه خوفه عليهم إن استمروا على ضلالهم وكفرهم بالله فقال لهم: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: 135]

وقوله: (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ) فيه بيان شففته وحرصه على هدايتهم، وأيضا هو (تعليل لإنكار عدم تقواهم وللأمر بالتقوى، أي أخاف عليكم عذابا إن لم تتقوا، فإن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده، والعذاب يجوز أن يريد به عذابا في الدنيا توعدهم الله به على لسانه، ويجوز أن يريد به عذاب يوم القيامة، ووصف يوم بـ (عظيم) على طريقة المجاز العقلي، أي عظيم ما يحصل فيه من الأهوال.) (3)

المبحث الثاني/ الترغيب

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله.

المطلب الثاني: حثهم على الاستغفار.

(1) تفسير الشعراوي (8/4205)

(2) تفسير الظلال (4/1896) مرجع سابق

(3) التحرير والتنوير (19/170) مرجع سابق.

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله:

وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: 50]، فدعا قومه إلى عبادة الله وحده فلا إله غيره ولا رب سواه، واستحثهم على ذلك فقال (أفلا تتقون) الله فتخافون عقابه.

(وجملة: "أفلا تتقون" استفهامية إنكارية معطوفة بفاء التفریع على جملة: "ما لكم من إله غيره" والمراد بالتقوى الحذر من عقاب الله تعالى على إشراكهم غيره في العبادة واعتقاد الإلهية، وفيه تعريض بوعيدهم إن استمروا على ذلك، وإنما ابتداء بالإنكار عليهم إغلاظا في الدعوة، وتهويلا لفضاعة الشرك إن كان قال ذلك في ابتداء دعوته، ويحتمل أن ذلك حكاية قول من أقواله في تكرير الدعوة بعد أن دعاهم المرة بعد المرة ووعظهم) (1)

المطلب الثاني / حثهم على الاستغفار:

وكان قوم عاد ذوي قوة أدت بهم إلى الغرور والاستكبار، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: 15] ، فذكرهم نبيهم هود – عليه السلام- بهذه النعمة، وهي أن الله زاد في قوتهم؛ فهم مميزون عن بقية الخلق، وبما أن الله هو الذي أعطاكم هذه النعمة فأولى بكم شكرها لتدوم عليكم، بل وبشرهم بزيادة هذه النعمة ووعدهم بنزول المطر الغزير إذا هم تابوا إلى الله واستغفروا فقال: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: 51]

يا قوم استغفروا ربكم عما ارتكبتم من الشرك، ثم توبوا إليه بترك تلك الذنوب، فإذا فعلتم ذلك، فسيزيد الله تعالى نعمه عليكم ويمنحكم القوة للاستفادة من تلك النعم، فإن النعم إذا لم تكن متاحة أصاب الإنسان الشقاء في حياته، وإذا كانت متاحة، ولكنكم مرضى أو ضعفاء لا تقوون على تحصيلها فأنتم أيضا في شقاء، أما عندما تتزايد النعم وتتوفر القوة الكاملة للاستفادة منها، فإنها ستكون سببا لسعادتكم وعدم شقائكم في هذه الدنيا.

(1) المرجع السابق (202 / 8 ب)

هل الاستغفار سبب لقوة البدن حقيقة؟

وما المانع من ذلك أليس الله عز وجل هو مالك الملك ومدبر الأمور كلها وبيده خزائن كل شيء، فإذا أطيع الله وسع على عباده وأغناهم، وإذا كفروا به منع عنهم نعمه وعطاءه، فهذه سنة جارية وقانون ثابت من قوانين الكون قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 96]، فإدراج المطر، ومضاعفة القوة للعباد، إن هم استغفروا وتابوا إلى الله أمر جارٍ وفق سنة الله- تبارك وتعالى- في الكون.

(فأما زيادة القوة فالأمر فيها قريب ميسور، بل واقع مشهود، فإن نظافة القلب والعمل الصالح في الأرض يزيدان التائبين العاملين قوة؛ يزيدانهم صحة في الجسم بالاعتدال والاقتصار على الطيبات من الرزق وراحة الضمير وهدوء الأعصاب والاطمئنان إلى الله والثقة برحمته في كل آن ويزيدانهم صحة في المجتمع بسيادة شريعة الله الصالحة التي تطلق الناس أحراراً كراماً لا يدينون لغير الله على قدم المساواة بينهم أمام قهار واحد تعنو له الجباه؛ كما تطلقان طاقات الناس ليعملوا وينتجوا، ويؤدوا تكاليف الخلافة في الأرض.)⁽¹⁾

المبحث الثالث/ الترهيب

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الترهيب من عذاب عظيم.

المطلب الثاني: الترهيب بأن يحل غضب الله بهم.

المطلب الأول: الترهيب من عذاب عظيم:

أراد نبي الله هود - عليه السلام - أن يذكر قومه بنعم الله عليهم ويخوفهم من عاقبة التكذيب فقال لهم كما ذكر الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ۝١٣٢ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ ۝١٣٣ وَجَنَاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٣٤ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣٥﴾ [الشعراء: 131-135]

(1) تفسير الظلال (ص 4/1906) مرجع سابق

أي: اتقوا عقاب الله أيها القوم بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم، وانتهوا عن اللهو واللعب، وظلم الناس، وقهرهم بالغلبة والفساد في الأرض، واحذروا سخط الذي أعطاكم من عنده ما تعلمون، وأعانكم به من الأنعام والبهائم، والبساتين والأنهار، أي سخر ذلك لكم وتفضل بها عليكم، فهو الذي يجب أن يعبد ويشكر ولا يكفر.

وجملة (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) تعليل لإنكار عدم تقواهم وللأمر بالتقوى، أي: أخاف عليكم عذابا إن لم تتقوا، فإن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده، والعذاب يجوز أن يريد به عذابا في الدنيا توعدهم الله به على لسانه، ويجوز أن يريد به عذاب يوم القيامة، فدعاهم إلى الله بالترغيب والترهيب، فما نفع فيهم. (1)

المطلب الثاني: الترهيب بأن يحل غضب الله بهم:

لما دعا نبي الله هود - عليه السلام - قومه إلى عبادة الله وحده قالوا على سبيل الإنكار والاستهزاء: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: 70]، وهكذا استعجلوا العذاب وتحذروا رسولهم، فأجابهم جوابا حاسما: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَجْأِدِلُونِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ [الأعراف: 71] أي: (قد وجب عليكم بمقاتلتكم هذه من ربكم رجس وغضب، والرجس قيل: هو مقلوب من رجز. وعن ابن عباس: معناه السخط والغضب. {أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم} أي: أتجاجوني في هذه الأصنام التي سميتموها أنتم وآباؤكم آلهة، وهي لا تضر ولا تنفع، ولا جعل الله لكم على عبادتها حجة ولا دليلا؛ ولهذا قال: {ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين} وهذا تهديد ووعد من الرسول لقومه. (2)

(1) ينظر: تفسير ابن جرير الطبري (19/377) وتفسير القرطبي (13/125)، وتفسير ابن كثير (ص 6/153) وتفسير التحرير والتنوير (19/170)

(2) ينظر تفسير ابن كثير (3/435) مرجع سابق

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التذكير بأن الله جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح.

المطلب الثاني: التذكير بأن الله أمدهم بأنعام، وبنين، وجنات، وعيون.

المطلب الأول: التذكير بأن الله جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح:

قوم عاد هم من أبناء المؤمنين الذين أنجاهم الله مع نوح – عليه السلام- كما قال تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنَمَتُّهُنَّ ثُمَّ يَمَسُّهُنَّ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود: 48]

"وكان بنو نوح قد تكاثروا وانتشروا في الأرض، في أرمينية والموصل والعراق وبلاد العرب، وكانوا أمما كثيرة، أو كانت عاد أعظم تلك الأمم وأصحاب السيادة على سائر الأمم، وليس المراد أنهم خلفوا قوم نوح في ديارهم لأن منازل عاد غير منازل قوم نوح عند المؤرخين" (1)

لكنهم مع مرور الوقت وقعوا في الشرك وعبادة الأصنام، وفي سياق التذكير بنعم الله عليهم ذكرهم نبي الله هود – عليه السلام – بأن الله استخلفهم بعد قوم نوح – عليه السلام –، فقال لهم: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 69] ، أي: واذكروا نعمة الله عليكم إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح، وهذا التذكير تصريح بالنعمة، وتعريض بالندارة والوعيد بأن قوم نوح إنما استأصلهم وأبادهم عذاب من الله على شركهم، فمن اتبعهم في صنعهم يوشك أن يحل به عذاب أيضا، وقوله (وزادكم في الخلق بسطة) أي: ومن نعم الله عليكم أن زاد طولكم على الناس فجعلكم أطول من أبناء جنسكم، (فاذكروا آلاء الله) أي: نعمه ومننه عليكم (لعلمكم تفلحون) والمقصود منه أن تذكر النعم العظيمة يوجب الرغبة والمحبة وزوال النفرة والعداوة، ورتب على

(1) تفسير التحرير والتنوير (8/205ب) مرجع سابق

ذكر نعم الله رجاء أن يفلحوا لأن ذكر النعم يؤدي إلى تكرير شكر المنعم، فيحمل المنعم عليه على مقابلة النعم بالطاعة. (1)

المطلب الثاني: التذكير بأن الله أمدهم بأنعام وبنين وجنات وعيون:

ذكرهم نبي الله هود - عليه السلام - بنعم أخرى في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَآتَقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: 134-131]، فهنا ذكرهم نبي الله هود - عليه السلام - بالعديد من نعم الله عليهم، وهي:

- أمدهم بالأنعام- وهي الإبل والبقر والغنم-
- وأمدهم بالأولاد زينة الحياة الدنيا.
- وأمدهم بالبساتين المثمرة.
- وبالعيون التي ينتفعون بمائها العذب.

"وابتدأ في تعداد النعم بذكر الأنعام لأنها أجل نعمة على أهل ذلك البلد، لأن منها أقواتهم ولباسهم وعليها أسفارهم وكانوا أهل نجعة فهي سبب بقائهم، وعطف عليها البنين لأنهم نعمة عظيمة بأنها أنسهم وعونهم على أسباب الحياة وبقاء ذكرهم بعدهم وكثرة أمتهم، وعطف الجنات والعيون لأنها بها رفاهية حالهم واتساع رزقهم وعيش أنعامهم." (2)

وبذلك نرى أن هودا- عليه السلام- قد جمع في نصحه لقومه بين الترهيب والترغيب، والتذكير بنعم الله عليهم، ورغم هذه النصائح كلها، إلا أن قومه أصروا على كفرهم واشتروا الضلالة بالهدى، بل كان ردهم عليه- كما حكى القرآن عنهم-: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الشعراء: 136-138] (3)

(1) ينظر: تفسير ابن كثير (3/434) مرجع سابق

(2) المرجع سابق (19/170)

(3) ينظر: تفسير القرطبي (13/125)، وتفسير التحرير والتنوير (ص 19/170)

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة

هود - عليه السلام -

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول / الاستفهام.

المبحث الثاني / الجدل.

المبحث الثالث / الحوار.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة هود عليه السلام

وقد استخدم نبي الله هود- عليه السلام- المنهج العقلي في دعوة قومه لإقامة الحجة عليهم بالعديد من فنون القول، يتناوله الباحث من خلال ثلاثة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول/ الاستفهام.

المبحث الثاني/ الجدل.

المبحث الثالث/ الحوار.

المبحث الأول/ الاستفهام

من الأساليب البلاغية التي تعتمد على المخاطبات العقلية: أسلوب الاستفهام الذي يخرج لأسباب بلاغية عن حقيقته إلى أغراض بلاغية، كالأستفهام الاستنكاري الذي يكون لاستنكار أمر يقره العقل لمراجعة المخاطب نفسه أو لتوبيخه فيخجل ويرتدع.⁽¹⁾

وقد استعمل نبي الله هود – عليه السلام أسلوب الاستفهام الاستنكاري في عدة مواضع في دعوته لقومه يتناولها الباحث في خمسة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: إنكاره عليهم عجبهم أن الله أرسله إليهم.

المطلب الثالث: إنكاره عبادة قومه أصناما سموها آلهة تقليدا لأبائهم.

المطلب الرابع: إنكاره عدم أعمال عقولهم وأنه لا يريد لهم إلا الخير.

المطلب الخامس: إنكاره العبث في كل بناء بينونه.

(1) ينظر: علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» لأحمد بن مصطفى المراغي، ص (69)

، ط. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان الطبعة الثالثة 1993م

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله:

قال تعالى: ﴿وَالِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا

تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 65]، وجملة: (أفلا تتقون) استفهامية إنكارية معطوفة بفاء

التفريع على جملة: (ما لكم من إله غيره)، والمراد بالتقوى الحذر من عقاب الله تعالى على إشراكهم غيره في العبادة واعتقاد الإلهية، وفيه تعريض بوعيدهم إن استمروا على ذلك، وإنما ابتداء بالإنكار عليهم إغلاظا في الدعوة وتهويلا لفظاعة الشرك⁽¹⁾

المطلب الثاني: إنكاره عليهم عجبهم أن الله أرسله إليهم:

قال تعالى حكاية عن هود - عليه السلام -: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ

عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ [الأعراف: 69]، ونلاحظ مشابهة كلامه في رده على قومه

بكلام نبي الله نوح - عليه السلام - لكن لا عجب من ذلك فإن مصدر التلقي عند

الأنبياء واحد وهو الوحي المنزل من السماء، والهمزة في قوله: (أَوْعَجِبْتُمْ)

للاستفهام الإنكاري، والمعنى: "لا تعجبوا أن بعث الله إليكم رسولا من أنفسكم

لينذركم أيام الله ولقاءه، بل احمدوا الله على ذاكم"⁽²⁾

المطلب الثالث: إنكاره عبادة قومه أصناما سموها آلهة تقليدا لأبائهم:

فقال لهم: ﴿أَتُجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ

فَانتظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ [الأعراف: 71]، لما رفض قومه الاستجابة

لدعوته إياهم إلى التوحيد وبرروا رفضهم بأنهم يقلدون آباءهم في عبادتهم إياها

قال لهم مستفهما استفهام ساخر مستنكر: ﴿أَتُجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ

وَآبَاؤُكُمْ﴾ [الأعراف: 71] ، أي: (أتحاجوني في هذه الأصنام التي سميتموها أنتم

(1) التحرير والتنوير 8/202 ب)

(2) تفسير ابن كثير (3/434) مرجع سابق

وأباؤكم آلهة، وهي لا تضر ولا تنفع، ولا جعل الله لكم على عبادتها حجة ولا دليلاً (1)

المطلب الرابع: إنكاره عدم أعمال عقولهم وأنه لا يريد لهم إلا الخير:

قال تعالى حكاية عن هود -عليه السلام-: ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ

أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: 51]، والهمزة في قوله: (أَفَلَا

تَعْقِلُونَ) للاستفهام الإنكاري، والمعنى: (اعقلوا ولا تجانبوا منهج الفهم السديد والعقل الرشيد...العقل عقلاّن: عقل علمي، وعقل إرادي، وكلاهما مأخوذان من الربط.

فالعقل العلمي: يكون باستخدام قوى الإدراك والفهم في معرفة حقائق الأمور فهماً صحيحاً مطابقاً لما عليه في الواقع، وعقلها في الذاكرة، لتكون دافعة إلى السلوك القويم المؤدي إلى النتائج الفضلي.

والعقل الإرادي: يكون باستخدام الإرادة الحرة التي وهبها الله للإنسان، في عقل أهوائه وشهواته ورغبات نفسه، عن الانحراف والخروج عن صراط الله المستقيم عقيدة وعملاً. (2)

ويقصد هود - عليه السلام- من كلامه: يا قوم حركوا عقولكم وفكروا بطريقة واعية أني لا منفعة دنيوية لي أبدا من وراء دعوتي، ولا أسألكم عليها أجرا، فأنا متجرد بدعوتي لله، ولو كان لي من وراء دعوتي منفعة لجاز لكم أن تتهموني، فأين ذهبت عقولكم أتكذبونني وأنتم ترون ألا منفعة لي من وراء دعوتكم؟

المطلب الخامس: إنكاره العبث في كل بناء يبنيه:

قال تعالى حكاية عن هود -عليه السلام-: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾

وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ [الشعراء: 128-

130]، والهمزة في قوله: (أتبنون) للاستفهام الإنكاري، والريع هو (المكان المرتفع عند جوادّ الطرق المشهورة، تبنون هناك بناء محكما باهرا هائلا؛ ولهذا قال: (أتبنون بكل ريع آية) أي: معلما ببناء مشهورا، (تعبتون) وإنما تفعلون ذلك عبثا،

(1) تفسير ابن كثير (ص 3/435) مرجع سابق.

(2) تفسير معارج التفكير ودقائق التدبر (10/417) مرجع سابق.

لا للاحتياج إليه؛ بل لمجرد اللعب، واللهو وإظهار القوة؛ ولهذا أنكر عليهم نبيهم-
عليه السلام- ذلك؛ لأنه تضييع للزمان، وإتعايب للأبدان في غير فائدة، واشتغال
بما لا يجدي في الدنيا، ولا في الآخرة. (1)

المبحث الثاني/ الجدل

وقد استعمل نبي الله هود -عليه السلام- هذا الأسلوب الدعوي في دعوته
لإثبات ما جاء به من الحق، ودحض شبهاتهم الباطلة.
وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: شبهة اتهامه بالسفاهة والكذب.

المطلب الثاني: شبهة إبطاله لعبادة آلهتهم التي عبدها آباؤهم من قبل.

المطلب الثالث: شبهة أنه لم يأتهم ببينة وتهديده أن تنتقم منه الآلهة.

المطلب الرابع: شبهة أن رسولهم بشر وليس من الملائكة.

المطلب الأول: شبهة اتهامه بالسفاهة والكذب:

قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ
مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف: 66] ، لما أرسل الله نبيه هودا – عليه السلام- لدعوة قومه
إلى التوحيد ونبذ الشرك، كان الملأ من الكبراء والسادة من قومه يعيشون في جهل
أدى بهم للوقوع في أحوال الشرك؛ كانوا يرون أن رسولهم الذي أرسل إليهم به
سفاهة، أي في حمق وخفة عقل (2)، وأنه كاذب غير مصدق عندهم فيما يقول،
وهذا كله ناتج عن انتكاسة الفطرة والعمى عن صراط الله المستقيم، فيرون الدعوة
إلى التوحيد ضلالاً، والرسول في سفاهة!!

(وكأنما كبر على الملأ الكبراء من قومه أن يدعوهم واحد من قومهم إلى
الهدى، وأن يستنكر منهم قلة التقوى ورأوا فيه سفاهة وحماقة، وتجاوزا للحد،

(1) تفسير ابن كثير (6/152) مرجع سابق.

(2) ينظر تفسير القرطبي (7/236)

وسوء تقدير للمقام! فانطلقوا يتهمون نبيهم بالسفاهة وبالكذب جميعاً في غير تخرج ولا حياء) (1)

وقد رد عليهم نبي الله هود - عليه السلام- بقوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ [الأعراف: 67-69]

هذا هو أدب الأنبياء - عليهم السلام - يتعرضون لما يتعرضون له ، وينسبون إليهم الضلالة والسفاهة فيردون في حلم وحكمة بنفي هذه التهم عنهم والانشغال بما هو أولى ألا وهو مصلحة الدعوة والانشغال بهداية الناس ، فنفي هود - عليه السلام- عن نفسه تهمتهم بالسفاهة وأثبت لنفسه أنه رسول رب العالمين ونفى عن نفسه تهمة الكذب بأنه جاءهم ناصح أمين ، وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل البلاغة والنصح والأمانة، وأتبع ناصح بأمين وهو الموصوف بالأمانة لرد قولهم له: لنظنك من الكاذبين [الأعراف: 66] لأن الأمين هو الموصوف بالأمانة، والأمانة حالة في الإنسان تبعته على حفظ ما يجب عليه من حق لغيره، وتمنعه من إضاعته، أو جعله لنفع نفسه، وضدها الخيانة، والأمانة من أعز أوصاف البشر، وهي من أخلاق المسلمين. (2)

وهذا درس للدعاة في كل زمان ومكان فإن (في إجابة الأنبياء عليهم السلام- من نسبهم إلى الضلال والسفاهة، بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة، بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضلّ الناس وأسفهم- أدب حسن، وخلق عظيم، وحكاية الله عزّ وجلّ ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم علي ما يكون منهم ناصح أمين أي عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة، فما حقي أن أتهم. أو أنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه، أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه (3)

(1) تفسير الظلال (3/1311)

(2) ينظر تفسير ابن كثير (3/434) وتفسير التحرير والتنوير (8/203/ب)

(3) تفسير الزمخشري (2/116)

ثم قال لهم معز زارده على شبهتهم: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ [الأعراف: 69] أي: تساءل مستنكرا ومعجبا من كلامهم، ما وجه العجب عندكم وقد أراد الله بكم الخير؟ فأرسل إليكم رسولا منكم تعرفونه جيدا ليحذركم، ويخوفكم من عذاب الله إن أنتم بقيتم على ما أنتم عليه من الشرك.

المطلب الثاني: شبهة إبطاله لعبادة آلهتهم التي عبدها آباؤهم من قبل:

بعد أن دعا هود - عليه السلام - قومه إلى التوحيد تساءلوا مستنكرين: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: 70]، أجئتنا لنعبد إلهها واحدا، ونترك ما ألفناه واعتدنا عليه من عبادة آباؤنا؟!!

وبدلا من مقابلة الحجة بالحجة، والاستعداد لقبول الحق قالوا، وقد سيطر عليهم التقليد الأعمى لأبائهم: (فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [الأعراف: 70] أي عجل لنا بالعذاب إذا كنت صادقا فيما تقول، ومعنى هذا إن لم يأت العذاب فليست صادقا، وغاب عن القوم أنه إذا وقع العذاب فلا مرد له من الله، وغاب عنهم أن أخذه أليم شديد.

وجاء الجواب من هود - عليه السلام - حاسماً: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [الأعراف: 71]

والمعنى: (قال هود لقومه: قد حق ووجب عليكم من ربكم عذاب وسخط بسبب إصراركم على الكفر والعناد، وعبر عن العذاب المتوقع وقوعه بأنه قد وقع مبالغة في تحقيق الوقوع، وأنه أمر لا مفر لهم منه، وعطف الغضب على الرجس، للإشارة إلى ما سينزل بهم من عذاب هو انتقام لا يمكن دفعه، لأنه صادر من الله الذي غضب عليهم بسبب كفرهم، وبعد أن أنذرهم هددهم بوقوع العذاب عليهم، ووبخهم على مجادلته إياه بدون علم فقال: (أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) أي: أتجادلوني وتخاصموني في شأن أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات، لأنكم تسمونها آلهة مع أن معنى الإلهية فيها معدوم ومحال وجوده إذ المستحق للعبادة إنما هو الله الذي خلق كل شيء، أما هذه الأصنام التي زعمتم أنها آلهة فهي لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا.

فأنت ترى أن هودا- عليه السلام- قد حول آلهتهم إلى مجرد أسماء لا تبلغ أن تكون شيئا وراء الاسم الذي يطلق عليها، وهذا أعمق في الإنكار عليهم، والاستهزاء بعقولهم، وقوله: (مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ) أي: ما نزل الله بها من حجة أو دليل يؤيد زعمكم في ألوهيتها أو في كونها شفعا لكم عند الله، وإنما هي أصنام باطلة قلدتم آباءكم في عبادتها بدون علم أو تفكير، ثم هدد بالعاقبة المقررة المحتومة فقال: (فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ) أي: فانتظروا نزول العذاب الذي استعجلتموه وطلبتموه حين قلتم فأتنا بما تعدنا فإني معكم من المنتظرين لما سيحل بكم بسبب شرككم وتكذيبكم. (1)

المطلب الثالث / أنه لم يأتهم ببينة وتهديده أن تنتقم منه الآلهة:

لما دعا هود - عليه السلام- قومه إلى توحيد الله وترك ما هم عليه من الشرك ردوا عليه بأربعة ردود، تدرجوا فيها من السيئ إلى الأسوأ، ومن القبيح إلى الأقيح.. مما يدل على توغلهم في الطغيان، وبلوغهم النهاية في العناد والكفر والجحود، فقالوا: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ إِنَّ نَقُولُ إِلَّا اغْتِرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [هود: 53-54]

هذه هي شبهاتهم الأربعة التي أنكروها على نبيهم:

1- (قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ) أي ما جئتنا بحجة، ولا برهان على ما تدعيه.

2- (وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ) ولن نترك آلهتنا بمجرد قولك: "اتركوهم" نتركهم، وفي هذا المعنى أيضا جاء قوله تعالى حكاية عنهم: (قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأُولِيِّينَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ) [الشعراء: 136-138]

3- (وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) وما نحن لك بمصدقين، بل عليك أن تياس يأسا تاما من استجابتنا لك.

(1) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (ص 5/307)

4- (إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرْنَاكَ بِبَعْضِ آلهَتِنَا بِسُوءٍ) ما نقول لك: إلا أنك شتمت آلهتنا

فجعلتك مجنوناً وأفسدت عقلك انتقاماً منها على سوء فعلك، فمن ثم تتكلم بكلام المجانين، ولم يقولوا: «اعتراك آلهتنا بسوء» بل قالوا: بَعْضُ آلهَتِنَا تهديداً له وإشارة إلى أنه لو تصدت له جميع الآلهة لأهلكته إهلاكاً.

وقد رد عليهم نبيهم قائلاً: ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾

مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ

دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ [هود: 54-56]

1- (قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ)، أي: قال هود-

عليه السلام- للطغاة من قومه بعزة وثقة إني أشهد الله الذي لا رب سواه على براءتي من عبادتكم لغيره، وأشهدوا أنتم أيضاً على أنني بريء مما تشركون من دونه؛ أي: على براءتي من كل عبادة تعبدونها لغير الله- تعالى- لأنها عبادة باطلة.

فهو يعلن احتقاره لآلهتهم، وبراءته من شركهم، واستخفافه بأصنامهم التي زعموا أن بعضها قد أصابه بسوء، ويوثق هذه البراءة بإشهاد الله- تعالى- وإشهادهم.

2- ثم ينتقل من براءته من شركهم، إلى تحديهم بثقة واطمئنان فيقول: (فَكَيْدُونِي

جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ) أي: لقد أعلنت أمامكم بكل قوة ووضوح أنني بريء من

شرككم، وها أنا ذا في مواجهةكم، فانضموا إلى آلهتكم، وحاربوني بما شئتم من ألوان المحاربة والأذى بدون تريث أو إمهال، فإني لن أكف عن الجهر بدعوتي، ولن أراجع عن احتقار الباطل الذي أنتم عليه، وهذا من أعظم الآيات، أن يواجه بهذا الكلام رجل واحد أمة عطاشاً إلى إراقة دمه، يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه، وأنه يعصمه منهم، فلا تنشب فيه مخالبتهم.

والأمر بـ (كيدوني) مستعمل في الإباحة كناية عن التعجيز بالنسبة للأصنام

وبالنسبة لقومه، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ [المرسلات: 39]، وهذا

إبطال لقولهم: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود: 54] وثم للتراخي

الرتبي تحداهم بأن يكيدوه، ثم ارتقى في رتبة التعجيز والاحتقار فنهاهم عن التأخير بكيدهم إياه، وذلك نهاية الاستخفاف بأصنامهم وبهم وكناية عن كونهم لا يصلون إلى ذلك.

3- ثم ينتقل بعد ذلك إلى بيان السبب الذي دعاه إلى البراءة من شركهم، وإلى عدم المبالاة بهم فقال: **(إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)** [هود: 56]، والمعنى: إني اعتمدت على الله ربي وربكم: ما من دابة تدب على وجه الأرض إلا والله- تعالى- مالكها وقاهر لها، وقادر عليها، ومتصرف فيها كما يتصرف المالك في ملكه.

وجملة إني توكلت تعليل لمضمون فكيدوني وهو التعجيز والاحتقار، يعني: أنه واثق بعجزهم عن كيده لأنه متوكل على الله، وأجرى على اسم الجلالة صفة الربوبية استدلالاً على صحة التوكل عليه في دفع ضررهم عنه، لأنه مالكهم جميعاً يدفع ظلم بعضهم بعضاً، وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به، وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، بل هي جماد لا تسمع، ولا تبصر، ولا توالي ولا تعادي، وإنما يستحق إخلاص العبادة الله وحده لا شريك له، الذي بيده الملك، وله التصرف، وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه، أي: إني فوضت أمري إلى الله الذي هو ربي وربكم، ومالك أمري وأمركم، والذي لا يقع في هذا الكون شيء إلا بإرادته ومشينته، وفي قوله: **(رَبِّي وَرَبِّكُمْ)** مواجهة لهم بالحقيقة التي ينكرونها، لإفهامهم أن إنكارهم لا قيمة له، وأنه إنكار عن جحود وعناد.. فهو- سبحانه- ربهم سواء أقبلوا ذلك أم رفضوه.

وقوله: **(مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا)** والناصية: ما انسدل على الجبهة من شعر الرأس، والأخذ بالناصية هنا تمثيل للتمكن، تشبيهاً بهيئة إمساك الإنسان من ناصيته حيث يكون رأسه بيد آخذه فلا يستطيع انفلاتاً.

وفي هذا التعبير الحكيم صورة حسية بديعة تناسب المقام، كما تناسب غلظة قوم هود وشدتهم، وصلابة أجسامهم وبنيتهم، وجفاف حسهم ومشاعرهم.. فكأنه- عليه السلام- يقول لهم: إنكم مهما بلغت من القوة والبطش، فما أنتم إلا دواب من تلك الدواب التي يأخذ ربي بناصيتها، ويقهرها بقوته قهراً يهلكها- إذا شاء ذلك- فكيف أخشى جواباً مثلكم مع توكلي على الله ربي وربكم؟!!

ثم يتبع هذا الوصف الدال على شمول قدرة الله- تعالى- بوصف آخر يدل على عدالته وتنزهه عن الظلم فيقول: **(إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)** أي: إن ربي قد اقتضت سنته أن يسلك في أحكامه طريق الحق والعدل وما دام الأمر كذلك فلن يسلطكم على لأنه- حاشاه- أن يسلط من كان متمسكاً بالباطل، على من كان متمسكاً بالحق، واكتفى هنا بإضافة الرب إلى نفسه، للإشارة إلى أن لطفه- سبحانه- يشمل هوداً وحده ولا يشملهم، لأنهم أشركوا معه في العبادة آلهة أخرى.

وجملة (إن ربي على صراط مستقيم) تعليل لجملة إني توكلت على الله، أي توكلت عليه لأنه أهل لتوكلي عليه، لأنه متصف بإجراء أفعاله على طريق العدل والتأييد لرسله.

4- ثم ختم هود- عليه السلام- رده على قومه، بتحذيرهم من سوء عاقبة إصرارهم على كفرهم فقال كما ذكر الحق سبحانه: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: 57] أي: فإن تتولوا عن دعوتي، وتعرضوا عن الحق الذي جننكم به من عند ربي، فتكون عاقبتكم خسرا، وأمركم فرطا، أما أنا فقد أدبت واجبي، وأبلغتكم ما أرسلت به إليكم من عند ربي بدون تكاسل أو تقصير.

وقوله: (وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا) وعيد لهم بإهلاكهم وإحلال غيرهم محلهم، أي: وهو- سبحانه- سيهلككم بسبب إصراركم على كفركم في الوقت الذي يشاؤه، ويستخلف من بعدكم قوما آخرين سواكم، يرثون دياركم وأموالكم، ولن تضروا الله شيئا من الضرر بسبب إصراركم على كفركم، وإنما أنتم الذين تضرون أنفسكم بتعريضها للدمار في الدنيا، وللعذاب الدائم في الآخرة.

وقوله: (إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) والحفيظ: أصله مبالغة الحافظ، وهو الذي يضع المحفوظ بحيث لا يناله أحد غير حافظه، وهو هنا كناية عن القدرة والقهر، أي: إن ربي قائم على كل شيء بالحفظ والرقابة والهيمنة، وقد اقتضت سنته- سبحانه- أن يحفظ رسله وأوليائه، وأن يخذل أعداءه. (1)

(1) ينظر: تفسير ابن جرير الطبري (12/445 وما بعدها)، وتفسير الزمخشري (2/403 وما بعدها)، وتفسير الرازي (18/364 وما بعدها)، وتفسير القرطبي (9/52 وما بعدها)، وتفسير ابن كثير (4/329 وما بعدها)، وتفسير التحرير والتنوير (12/97 وما بعدها)، والتفسير الوسيط لطنطاوي (7/224 وما بعدها)

المطلب الرابع / أن رسولهم بشر وليس من الملائكة:

قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿٣٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: 13-14]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاعِ الْآخِرَةِ وَاتَّرفَنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المؤمنون: 33-34] (1)

وهذه الشبهة متكررة عند كثير من الأمم، وهي قولهم لماذا يأتي الرسول بشرا مثلنا يأكل مما نأكل، ويشرب مما نشرب؟ (2)

بل إن هذه الشبهة من أكبر أسباب صدود الناس عن الإيمان، كما ذكر الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ [الإسراء: 94]، وقد جاء رد الرسل على هذه الشبهة بقولهم كما ذكر القرآن الكريم: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ

(1) لم يذكر اسم نبي الله هود - عليه السلام - ولا قومه عاد في هذه الآيات صراحة لكن السياق يقتضي أن الحديث عن هود - عليه السلام - وقومه بدلالة قوله تعالى بعد إهلاك قوم نوح: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: 31-32]

(2) يقول الدكتور وهبة الزحيلي: "إن أبسط مبادئ الرسالة أو السفارة أن يكون الرسول أو السفير من جنس المرسل إليهم، لتحقيق أهداف الرسالة من أيسر الطرق، وتمكين الرسول والمرسل إليه من النقاش والحوار المؤدي للغاية، لذا كان الأنبياء والرسل من جنس البشر المرسل إليهم، بل من أقوامهم وإخوانهم، أو من بني جلدتهم وعشيرتهم، حتى يكون اللقاء أو الخطاب مثمرا، ولكن المشركين من عهد نوح عليه السلام إلى عهد خاتم النبيين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم اشتبه عليهم أمر الرسالة، وظنوا أن الرسول ينبغي أن يكون من جنس أسمى أو أعلى من المرسل إليه، فأنكروا بشرية الرسل، وطالبوا بأن يكون النبي المرسل أحد الملائكة." من التفسير الوسيط للدكتور وهبة الزحيلي (2/1790) الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى - 1422 هـ

مِنْ عِبَادِهِ ﴿ إبراهيم: 11﴾، رد الرسل على أقوامهم بقولهم: نعم نحن بشر مثلكم، وهذه الطريقة تعرف بطريقة مجازاة الخصم، ومجمل هذه الطريقة أن يسلم المجادل ببعض مقدمات الخصم؛ للإشارة إلى أن هذه المقدمات لا تنتج ما يريد أن يستنتجها، وإنما هي بعيدة عنه؛ فدعوى الخصم أن الرسل بشر، والبشر لا يستطيعون أن يتلقوا وحي الله، وهم بدعوى الرسالة يريدون صد أقوامهم عن عبادة الآباء والأسلاف وبملاحظة رد الرسل عليهم نرى التسليم للخصوم بأنهم بشر، ويذكرون أن البشرية لا تتنافى أن يمن الله بالرسالة على من يشاء من البشر، وفي هذا النوع من الجدل استدراج للخصم واستجلاب لإصغائه، وربما كان من الممكن بهذه الطريقة ثنيه عن الإنكار، بعد بيان فساد العلاقة بين القضية المسلمة والنتيجة التي رُتبت خطأ عليها. (1)

وفي هذه المعنى يقول العلامة ابن عاشور (2): (قول الرسل: (إن نحن إلا بشر مثلكم) جواب بطريق القول بالموجب في علم آداب البحث، وهو تسليم الدليل مع بقاء الأنواع ببيان محل الاستدلال غير تام الإنتاج، وفيه إطماع في الموافقة، ثم كر على استدلالهم المقصود بالإبطال بتبيين خطئهم، ونظيره قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: 8]

وهذا النوع من القوادح في علم الجدل شديد الوقع على المناظر، فليس قول الرسل (إن نحن إلا بشر مثلكم) تقريراً للدليل، ولكنه تمهيد لبيان غلط المستدل في الاستنتاج من دليله، ومحل البيان هو الاستدراك في قوله (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده)، والمعنى: أن المماثلة في البشرية لا تقتضي المماثلة في زائد عليها فالبشر كلهم عباد الله، والله يمن على من يشاء من عباده بنعم لم يعطها

(1) ينظر أصول الدعوة وطرقها 3، ص (369) من مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية.

(2) ابن عاشور هو: العلامة المفسر محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، ولد في تونس سنة (1327) هـ، الموافق (1909) م، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، وهو من أسرة علمية عريقة، برز في عدد من العلوم ونبع فيها، كعلم الشريعة واللغة والأدب، وكان متقناً للغة الفرنسية، وعضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية في دمشق والقاهرة، تولى مناصب علمية وإدارية بارزة كالتدريس، والقضاء، والإفتاء، وتم تعيينه شيخاً لجامع الزيتونة، توفي في تونس سنة (1390 هـ) الموافق: (1970 م) ينظر ترجمته في الأعلام للزركلي (6/174) ومن أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة (948) مرجع سابق.

غيرهم، فالاستدراك رفع لما توهموه من كون المماثلة في البشرية مقتضى الاستواء في كل خصلة. (1)

المبحث الثالث/ الحوار

استعمل نبي الله هود- عليه السلام – أسلوب الحوار مع قومه، ليبين لهم حقيقة رسالته، وبيان بطلان ما يعتقدون، وتذكيرهم ببعض نعم الله عليهم، وتحذيرهم من غضب الله وعقابه.
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة هود – عليه السلام.

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار.

المطلب الأول: أهم نقاط الحوار في دعوة هود – عليه السلام:-

1- ابتداء نبي الله هود – عليه السلام – حوار مع قومه بدعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهذه دعوة الأنبياء جميعاً فقال: ﴿وَأَلِيَّ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: 50] وهذا ما يعرف في الحوار بالبداة بالقضايا الكبرى قبل الصغرى.

2- فما كان جواب قومه إلا أن أنكروا أن يكون رسولا من عند الله واتهموه بالحمافة والكذب كما في قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا

مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف: 66]

3- ولم يقابل هود – عليه السلام – إساءتهم بمثلها ، إنما رد عليهم بأنه ليس به سفاهة وإنما هو رسول من الله ، مهمته البلاغ والنصيحة ، وأنه أمين فيما يبلغ عن الله، ولا يكذب فيما يقول لهم أبداً، وذكرهم بنعمة الله عليهم باستحلافهم بعد قوم نوح، وأنه سبحانه وتعالى قد زاد لهم في قوتهم عن غيرهم من الناس ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ

(1) تفسير التحرير والتنوير (13/201) مرجع سابق.

بَسْطَةً فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ [الأعراف: 69]، ويبدو من رد هود – عليه السلام – وحواره معهم حكمته وحلمه، وحرصه على هداية قومه، وأنه لا يريد بهم إلا الخير.

4- ثم بين عليه السلام التجرد والإخلاص التام في دعوته، وأنه لا يرجو من وراء دعوته مالا ولا ربحا، وأن دعوته ابتغاء وجه الله، قال: ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: 51]

5- ثم أراد أن يلين قلوبهم بدعوتهم إلى التوبة من ذنوبهم، ووعدهم أنهم إذا تابوا واستغفروا فإن الله سينزل عليهم مطرا غزيرا مدرارا يحمل الخصب والخير معه، ويزدهم الله قوة إلى قوتهم، قال تعالى حكاية عن هود: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: 52]

6- ثم أراد هود – عليه السلام- أن يستدل على استحقاق الله وحده للعبادة بما وهبهم من النعم فذكرهم بنعم الله عليهم، وحذرهم من الاغترار بقوتهم إن أصروا على الكفر بالله وإيذاء الناس فقال: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٧٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٧٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٨٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٨١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ الْأَعْيُنِ ﴿١٨٣﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٤﴾﴾ [الشعراء: 128-135]، وهنا يقرر هود -عليه السلام- في حواره مع قومه أن دوام النعم بشكرها وصونها عن أن تكون في باطل، وأن عاقبة الغرور والبطش بالناس العذاب العظيم.

7- وبعد كل هذا الوضوح والبيان لم يبق للقوم عذرا أو حجة إلا أنهم اختاروا أن يستمروا على تكذيبهم، واتهموا نبيهم بأنه يردد أساطير الأولين فقالوا: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظت أم لم تكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الشعراء: 136-138]، والأعجب من هذا اتهامه

بأن الآلهة أصابته بضرب من الجنون انتقاماً منه بسبب تعرضه له فقالوا:
﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ
بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود: 53-54]

8- وأحياناً لا يجدي مع بعض النوعيات من البشر الرفق واللين فلا بد من تنبيههم بقوة وصرامة كما فعل هود - عليه السلام- فقد رد عليهم بكل قوة واستعلاء مبيناً أن إصرارهم على الباطل ليس له إلا نتيجة واحدة هي وقوع غضب الله بهم فقال: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [الأعراف: 71]، وأعلن براءته من شركهم فقال: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [هود: 54-55]

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار:

- 1- موضوع الحوار: الدعوة إلى التوحيد، اثبات الرسالة والدعوة إلى تصديق رسولهم.
- 2- تميز حوار هود - عليه السلام- بالوضوح، والبيان، وقوة الحجة، والموضوعية.
- 3- اختيار هود - عليه السلام- للألفاظ التي تكون أدعى لفتح القلوب والرغبة في الوصول للحق.
- 4- الرد بحكمة وحلم، وعدم الغضب أو الانشغال بمقابلة الإساءة بإساءة حتى لا تتحول الدعوة إلى حظ نفس، بل اكتفى بنفي التهم عن نفسه، وبيان مهمته التي أرسل من أجلها.
- 5- نفي أن يكون له منفعة دنيوية من وراء دعوته، بل هو متجرد لله في دعوته.
- 6- دعاهم إلى الاعتبار بأمة نوح التي جاءوا على إثرها.

7- ذكرهم بأن إيمانهم واستغفارهم سبب لزيادة الخير والقوة لهم، وأن الكفر سبب للشقاء والهلاك.

8- تميز الحوار أيضا بالغضب لنصرة الحق، فإن هودا -عليه السلام- لما رأى أن الحوار تحول إلى حوار عقيم وفيه نوع من التهكم والازدراء، رد عليهم بعزة المؤمن، بقوة وصرامة وهددهم بوقوع غضب الله بهم.

9- تحرير المصطلحات والألفاظ فتسمية الأصنام آلهة أمر ما أنزل الله به من سلطان.

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة

هود - عليه السلام -

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ الاعتبار بالسابقين.

المبحث الثاني/ التحذير من اتخاذ النعم سببا للترف

والطغيان.

المبحث الثالث/ هل كان لهود معجزة؟

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة هود - عليه السلام-

وقد استخدم نبي الله هود - عليه السلام - هذا المنهج في الدعوة مع قومه في عدة صور، يتناولها الباحث من خلال ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ الاعتبار بالسابقين.

المبحث الثاني/ التحذير من اتخاذ النعم سببا للترف والطغيان.

المبحث الثالث/ هل كان لهود معجزة؟

المبحث الأول/ الاعتبار بالسابقين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الاعتبار.

المطلب الثاني: حث هود قومه على الاعتبار بالسابقين

المطلب الأول: تعريف الاعتبار:

الاعتبار لغة: مأخوذ من الفعل عبر وأصل العبر: تجاوز من حال إلى حال، والاعتبار، والعبرة: بالحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد. (1)

واصطلاحاً: الاعتبار هو: "النظر في حقائق الأشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها" (2)

وفي نضرة النعيم: " الاعتبار هو التدبّر وقياس ما غاب على ما ظهر" (3)

(1) ينظر المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص (543) مادة "عبر"، بتحقيق صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى 1412 هـ

(2) تفسير الرازي مفاتيح الغيب (29/504)

(3) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (2/380)

المطلب الثاني: حث هود قومه على الاعتبار بالسابقين:

أراد نبي الله هود - عليه السلام- أن يذكر قومه بأمر حسي يعرفونه جميعاً وهو أنهم أبناء المؤمنين الذين أنجاهم الله في السفينة مع نبي الله نوح -عليه السلام- وهذا ادعى أن يشكروا الله على هذه النعمة أن جعلهم الله خلفاء من بعد قوم نوح، وأن يتبصروا بعاقبة من هلكوا حينما أغرقهم الله بالطوفان فلم ينج منهم أحداً، وقد ورد هذا في قوله تعالى حكاية عن هود: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 69] (فلقد كان من حق هذا الاستخلاف، وهذه القوة والبسطة، أن تستوجب شكر النعمة، والحذر من البطر، واتقاء مصير الغابرين، وهم لم يأخذوا على الله عهداً أن تتوقف سنته التي لا تتبدل، والتي تجري وفق الناموس المرسوم، بقدر معلوم، وذكر النعم يوحى بشكرها وشكر النعمة تتبعه المحافظة على أسبابها ومن ثم يكون الفلاح في الدنيا والآخرة.)⁽¹⁾

المبحث الثاني/ التحذير من اتخاذ النعم سبباً للترف والطغيان

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العيب في البناء رغبة في التفاخر.

المطلب الثاني: اتخاذهم المصانع وكأنهم مخلدون بالدنيا.

المطلب الثالث: إفراطهم في الأذى والظلم.

المطلب الأول: العيب في البناء رغبة في التفاخر:

لما رأى هود- عليه السلام- قومه سادريين في غيهم وضلالهم مشركين بالله منشغلين بالدنيا؛ لا حظ لهم منها إلا إلى التّعاضم والتّفَاخُرِ، واللّهو واللّعب، منصرفين عن الآخرة، مسارعين إلى الهلاك بغرورهم وكبرهم، قال لهم مستنكراً: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء: 128]، فقد كانوا يبنون في الأماكن المرتفعات ما يبدو للناظر من بعد كأنه علامة، ليعرف بذلك غناهم تفاخراً

(1) تفسير الظلال (ص 3/1311) مرجع سابق.

وعبثا، وبنوا في طرق أسفارهم أعلاما ومنارات تدل على الطريق كيلا يضل السائرون في تلك الرمال المتنقلة التي لا تبقى فيها آثار السائرين.

المطلب الثاني: اتخاذهم المصانع وكأنهم مخلدون بالدنيا:

ثم قال هود لقومه: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: 129]، فقد بلغ القوم من الحضارة الصناعية مبلغا يذكر حتى لتتخذ المصانع لنحت الجبال وبناء القصور، وتشبيد العلامات على المرتفعات، يرجون الخلد في الدنيا أو يشبه حالهم حال من يخلد، واحتفروا وشيدوا مصانع للمياه، وهي الصهاريج (1) تجمع ماء المطر في الشتاء، ليشرب منها المسافرون، وينتفع بها الحاضرون في زمن قلة الأمطار، وهذا من الأعمال النافعة في ذاتها؛ لأن فيها حفظ الناس من الهلاك في الفيافي بضلال الطرق، ومن الهلكة عطشا إذا فقدوا الماء وقت الحاجة إليه، فمتى أريد بها رضا الله تعالى بنفع عبده كانت جديرة بالثناء عاجلا والثواب أجلا، فأما إذا أهمل إرضاء الله تعالى بها واتخذت للرياء والغرور بالعظمة وكانوا معرضين عن التوحيد وعن عبادة الله انقلبت عظمة دنيوية محضة لا ينظر فيها إلى جانب النفع، ولا تحت الناس على الاقتداء في تأسيس أمثالها، وقصارها التمدح بما وجدوه منها؛ فصار وجودها شبيها بالعبث؛ لأنها خلت عن روح المقاصد الحسنة، فلا عبرة عند الله بها؛ لأن الله خلق هذا العالم ليكون مظهر عبادته وطاعته، وكانوا أيضا في الإعراض عن الآخرة والاقتصار على التزود للحياة الدنيا بمنزلة من يحسبون أنفسهم خالدين في الدنيا، فلذلك أنكروا عليهم رسولهم بالاستفهام الإنكاري .

المطلب الثالث: إفراطهم في الأذى والظلم:

ويمضي هود -عليه السلام- في استنكار ما عليه قومه فيقول: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ

جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: 130] أعقب به موعظتهم على اللهو واللعب، والحرص على الدنيا بأن وعظهم على الشدة على الخلق في العقوبة، وهذا من عدم التوازن في العقول فهم يبنون العلامات لإرشاد السابلة، ويصطنعون المصانع لإغاثة العطاش، فكيف يلاقي هذا التفكير تفكيراً بالإفراط في الشدة على الناس في

(1) الصهاريج : جمع صهريج: وهي كالحياض يجتمع فيها الماء . ينظر لسان العرب مادة

"صهريج" (4/2516)

البطش بهم، أي: عقوبتهم، فالمعنى: إذا بطشتم كان بطشكم في حالة التجبر، أي: الإفراط في الأذى، وهو ظلم وشأن العقاب أن يكون له حد مناسب للذنب المعاقب عليه بلا إفراط ولا تفريط في البطش، فالإفراط استخفاف بحقوق الخلق، فهم قوم عتاة غلاظ، يتجبرون حين يبطشون ولا يتخرجون من القسوة في البطش. شأن المتجبرين المعترين بالقوة المادية التي يملكون. (1)

لقد اغتر القوم بقوتهم، وإمكاناتهم وأصابهم العجب والغرور؛ فتجبروا على خلق الله، وطمعوا في الأرض وما دار بخلدهم أن الدنيا ذات أغيار وأن الأيام دول، وأن الباطل لا يدوم، ورغم أن نبيهم هود حذرهم وأنذرهم من عاقبة طغيانهم، إلا إنهم لم يستجيبوا له، وأعلنوا استمرارهم على التجبر والطغيان فقالوا لنبيهم: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [الشعراء: 136-138]

كيفية كانت عاقبة ظلمهم؟

لقد عاجلهم الله بالعقوبة فسلط عليهم ريحا صرصرا فأهلكتهم جميعا فلم تبق منهم من أحد، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۖ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخَلٍ خَاوِيَةٍ ۖ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: 6-8]

(إن الحضارة المادية إذا بعدت عن منهج الله، وتحكمت فيها الأهواء والأنانية والشهوة، فإنها تكون وبالاً على أصحابها، وبرهانا على اضمحلالها وزوالها، وها هي حضارة "عاد" نمت وترعرعت في إطار الشهوات والأطماع، فأصابت أهلها بالكبر والغرور، وأخذوا يتيهون بها، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: 15] جحدوا في غمرة ضلالهم قدرة الله، وتصوروا أنفسهم الأشد قوة، وضلوا بذلك ضلالاً بعيداً، وكان ضياع

(1) ينظر: تفسير ابن جرير الطبري (19/373 وما بعدها)، وتفسير الرازي (24/522 وما بعدها)، وتفسير ابن كثير (6/152 وما بعدها)، وتفسير التحرير والتنوير (19/165 وما بعدها)، وتفسير الظلال (5/2609 وما بعدها)

حضارة "عاد" وتدميرها، مع هلاكهم وإبادتهم ... إن هذه سنة إلهية لا تتغير، وعلى العاقل أن ينظر في كل الحضارات، ويبحث عن أسباب انهيارها، وسوف يجده بإذن الله تعالى في هجر دين الله تعالى، وترك منهجه الذي شرعه لعباده، وذلك درس للإنسان على الزمن كله).⁽¹⁾

المبحث الثالث: هل كان لهود معجزة؟

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف المعجزة.

المطلب الثاني: أقوال العلماء في معجزة هود – عليه السلام.

المطلب الأول: تعريف المعجزة:

المعجزة لغة: من الفعل عجز، وأصل العجز التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر، أي مؤخره، وصار في التعارف اسما للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة.⁽²⁾

وإصطلاحا المعجزة هي: "أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة."⁽³⁾

(1) دعوة الرسل عليهم السلام، للدكتور أحمد غلوش، ص (91)، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1423هـ-2002م

(2) ينظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (547) مادة "عجز"

(3) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (4/3)، وقد ذكر العلماء تعريفات متقاربة لهذا التعريف، منها تعريف الإمام القسطلاني الذي قال: المعجزة هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي الدال على صدق الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام-، وسميت معجزة لعجز البشر عن الإتيان بمثله، فلم أن لها شروطا: أحدها: أن تكون خارقة للعادة، كانشقاق القمر، وانفجار الماء من بين الأصابع، فخرج غير الخارق للعادة، كطلوع الشمس كل يوم. الثاني: أن تكون مقرونة بالتحدي وهو طلب المعارضة والمقابلة. والشرط الثالث: ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة، وقد خرج بقيد «التحدي» الخارق من غير تحد، وهو الكرامة للولي، وب «المقارنة» الخارق المتقدم على التحدي، كإظلال الغمام، وشق الصدر، الواقعين لنبيينا- صلى الله عليه وسلم قبل دعوى الرسالة، وكلام عيسى في المهدي، وما شابه ذلك مما وقع من الخوارق قبل دعوى الرسالة، فإنها ليست معجزات إنما هي كرامات، ظهورها على الأولياء جائز، والأنبياء قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الأولياء فيجوز ظهورها عليهم أيضا، وحينئذ يسمى «إرهاصا» أي تأسيسا

المطلب الثاني: أقوال العلماء في معجزة هود – عليه السلام:-

قال تعالى حكاية عن قوم عاد: ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ [هود: 53]، وقد تعددت أقوال العلماء في هذه القضية على النحو التالي:

القول الأول: قول شيخ الإسلام زكريا الأنصاري (1) قال: إن معجزة هود هي الريح الصرصر التي أهلك الله بها قوم عاد (2)

القول الثاني: لم يذكر القرآن أن هوداً كان معه معجزة ليبرهن على صدق دعواه، وقد ذكر هذا القول الأستاذ سيد قطب في تفسيره في ظلال القرآن، وبرر ذلك بقوله: ولعل سبب ذلك قرب عهدهم بنوح، وأن سفينة نوح ما زالت شاهداً على نجات المؤمنين وهلاك الكافرين. (3)

القول الثالث: **القول الثالث:** أن آيته كثرة الخيرات والخصب والأولاد بصورة أكبر مما كان ذي قبل وأكثر من غيرهم، وقد ذكر هذا القول العلامة ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير فقال: "ولعل آيته أنه و عدهم عند بعثته بوفرة الأرزاق والأولاد واطراد الخصب ووفرة مطردة لا تنالهم في خلالها نكبة ولا مصيبة بحيث كانت خارقة لعادة النعمة في الأمم، كما يشير إليه قوله تعالى: (وقالوا من أشد منا قوة) [فصلت: 15]. (4)

للنبوة. نقلا عن المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للإمام القسطلاني (2/235) باختصار يسير، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر.

(1) هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي ولد في سنيكة بمصر، وتعلم في القاهرة وكف بصره سنة 906 هـ نشأ فقيراً معدماً، ولما ظهر فضله تتابعت إليه الهدايا والعطايا، وولاه السلطان قايتباي قضاء القضاة، فلم يقبله إلا بعد إلحاح، ولما ولي رأى من السلطان عدولا عن الحق، فكتب إليه يزجره، فعزله السلطان، فعاد إلى اشتغاله بالعلم إلى أن توفي. ينظر ترجمته في الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين السخاوي (3/238)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، والأعلام للزركلي (3/46)

(2) في كتابه: (فتح الرحمن بكشف ما التبس من القرآن) (266)، تحقيق الدكتور محمد علي الصابوني، ط: دار القرآن الكريم بيروت 1983م

(3) ينظر تفسير الظلال (4/1898)

(4) ينظر تفسير التحرير والتنوير (12/98) مرجع سابق.

القول الرابع: أن معجزة هود-عليه السلام- تتمثل في رسوخه وثباته على دعوة قومه إلى التوحيد ولم يخش قومه رغم أنهم أهل طغيان؛ وبطش، بل أعلنها صراحة في أسماعهم قائلاً: **(إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)** [هود: 56] وقد ذكر هذا القول الشيخ الشعراوي⁽¹⁾ في تفسيره فقال: (فالبينة التي جاء بها هود أنه وقف أمامهم ودعاهم إلى ترك الكفر؛ وهو تحدي القادرين عليه؛ لأنهم أهل طغيان؛ وأهل بطش؛ ومع ذلك لم يقدرُوا عليه؛ مثلما لم يقدر كفار قريش على رسولنا.)⁽²⁾

مناقشة وترجيح.

بالنسبة للقول الأول: يرى الباحث أن هذا القول فيه نظر، إذ كيف يكون هلاكهم بالريح معجزة؟ والله جل وعلا يجري المعجزات على يدي رسله لإقامة الحجة على الناس على سبيل التحدي كما سبق في التعريف؛ فالعذاب نفسه لا يكون معجزة.

وأما القول الثاني: فقد نفى وجود معجزة لهود واعتبار سفينة نوح معجزة باقية دالة على صدقه.

وأما القول الثالث: فإن النعم التي أنعم الله عليهم بها من وفرة الأرزاق والأولاد والجنات والعيون ليس أمراً خارقاً للعادة- كما هو تعريف المعجزة- وإنما رب العالمين يبتلّي الأمم بالسراء والضراء كما قال تعالى: **﴿وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾** [الأنبياء: 35]

أما القول الرابع: بأن المعجزة كانت في ثباته على دعوة قومه وعدم خشيتهم، فإن هذا أمر يشترك فيه الأنبياء جميعاً وأتباعهم من المؤمنين.

(1) هو الشيخ محمد متولي الشعراوي، وُلِدَ عام 1911م، بقرية دقادوس التابعة لمركز ميت غمر بمصر، اختير وزيراً للأوقاف عام 1976، وله العديد من المؤلفات أبرزها تفسيره "خواطري حول القرآن الكريم" وتوفي في 1998م، ينظر ترجمته في "أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة" (1013-1002) مرجع سابق.

(2) تفسير الشعراوي (11/6502) مرجع سابق.

والراجح لدى الباحث هو التوقف في هذا الأمر، وقد ورد في الحديث عن أبي هريرة، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة ".⁽¹⁾، فقول الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر) هذه صيغة عموم مقتضاها وجود معجزة لكل رسول تكون شاهدا على صدقه.

قال الحافظ ابن حجر⁽²⁾ - رحمه الله -: (قوله ما من الأنبياء نبي إلا أعطي) هذا دال على أن النبي لا بد له من معجزة تقتضي إيمان من شاهدها بصدقه ولا يضره من أصر على المعاندة.

قوله (من الآيات) أي المعجزات الخوارق.

قوله (ما مثله آمن عليه البشر) المثل يطلق ويراد به عين الشيء وما يساويه والمعنى أن كل نبي أعطي آية أو أكثر من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن به لأجلها.⁽³⁾

وبناء على هذا فقد يكون لهود - عليه السلام - معجزة مادية كباقي الأنبياء، ولكن لم يرد ذكرها في القرآن الكريم؛ فلا نستطيع الجزم بنفي ذلك أو تعيين ما هي المعجزة التي كانت لنبي الله هود - عليه السلام -.

(1) الحديث رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزول الوحي، وأول ما نزل حديث رقم (4696)، ورواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حديث رقم (152)

(2) الحافظ ابن حجر العسقلاني (773 - 852هـ) هو شيخ الإسلام، أمير المؤمنين في الحديث، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد، المعروف بابن حجر العسقلاني، زادت مؤلفاته على مئة وخمسين مصنفاً، ومن أشهرها: فتح الباري شرح صحيح البخاري، وتوفي سنة 852هـ، رحمه الله. ينظر ترجمته في: شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، (ج/ 9 ص 395 - 399)

(3) فتح الباري الجزء التاسع ص (6) بتصرف يسير.

الباب الثالث

المنهج الدعوية في رسالة

صالح - عليه السلام -

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول / المنهج العاطفي.

الفصل الثاني / المنهج العقلي.

الفصل الثالث / المنهج الحسي.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في رسالة

صالح - عليه السلام -

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول / الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني / الترغيب.

المبحث الثالث / الترهيب.

المبحث الرابع / التذكير بنعم الله.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة صالح عليه السلام

عند مدارسة وتدبر آيات القرآن التي ذكر فيها قصة نبي الله صالح – عليه السلام- نجد أنه قد استخدم المنهج العاطفي في عدة مواقف يتناولها الباحث في أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول / الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني / الترغيب.

المبحث الثالث/ الترهيب.

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول / الرفق وإظهار العاطفة

وقد برز هذا الأسلوب في دعوة صالح – عليه السلام- لقومه بإخبار الله عنه أنه "أخاهم" وتكرر نداءه على قومه بـ "يا قوم" تأليفاً لقلوبهم وتذكيراً بالرابطة القوية التي تربطه بهم، قال تعالى: ﴿وَأَلِيَّ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: 61] ، وقد سبق بيان هذا في قصتي نبيي الله نوح وهود –عليهما السلام-.

المبحث الثاني / الترغيب

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله.

المطلب الثاني: الترغيب في الاستغفار.

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله:

وقد جاء ترغيب نبي الله صالح - عليه السلام - لقومه ليؤمنوا بالله وحده في قوله تعالى: ﴿وَالِي ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: 61] وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 144]، فدعا قومه إلى عبادة الله وحده، ونصحهم بما نصح به هود ونوح قومهما من قبله، فقال: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ أَلَا تَخْشَوْنَ اللَّهَ وَأَنْتُمْ تَعْبُدُونَ غَيْرَهُ، فَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، أَمِينٌ فِيمَا أُبَلِّغُكُمْ عَنْ رَبِّي، فَاتَّقُوا اللَّهَ بَأْنَ تَجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ غَضَبِهِ وَقَايَةَ بِتَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِي فِيمَا أُبَلِّغُكُمْ عَنْ رَبِّي.

المطلب الثاني: الترغيب في الاستغفار:

وترغيباً لقومه في الاستغفار وترك ما هم عليه من الذنوب قال لهم صالح - عليه السلام -: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: 46]

وقد جاء في تفسير استعجال السيئة قبل الحسنه وجهان:

(أحدهما: إن الذين كذبوا صالحاً عليه السلام لما لم ينفعهم الحجاج توعدهم صالح عليه السلام بالعذاب، فقالوا: ﴿إِنَّا بَعْدَابُ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: 29] على وجه الاستهزاء، فعنده قال صالح: ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ والمراد أن الله تعالى قد مكنكم من التوصل إلى رحمة الله تعالى وثوابه، فلماذا تعدلون عنه إلى استعجال عذابه؟

وثانيهما: إنهم كانوا يقولون لجهلهم: إن العقوبة التي يعدها صالح إن وقعت على زعمه أتينا حينئذ واستغفرنا، فحينئذ يقبل الله توبتنا ويدفع العذاب عنا، فخاطبهم صالح على حسب اعتقادهم، وقال: هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب فإن استعجال الخير أولى من استعجال الشر. (1)

(1) تفسير مفاتيح الغيب للرازي (24/560) مرجع سابق.

فتعجب صالح – عليه السلام- لحالهم واستعجالهم وقوع العذاب فقال لهم مرغبا: هلا تتوبون إلى الله من شرككم، فتوحدوه – سبحانه- وتستغفرونه، فيغفر لكم، ويرفع عنكم العذاب وينزل عليكم رحمته؟

المبحث الثالث/ الترهيب

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الترهيب من مس الناقة بسوء.

المطلب الثاني: توعدهم بوقوع العذاب بهم بعد ثلاثة أيام من عقر الناقة.

المطلب الأول: الترهيب من مس الناقة بسوء:

أظهر الله على يد نبيه صالح – عليه السلام – معجزة الناقة⁽¹⁾، فحذر قومه من مسها بسوء فتكون العاقبة العذاب الأليم من الله، كما قال تعالى حكاية عن نبيه صالح – عليه السلام –: ﴿وإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [الأعراف: 73]، وقال أيضا: ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: 64]، فدعاهم نبي الله صالح – عليه السلام- إلى عبادة الله وحده، وبين لهم أن الله أظهر لهم بقدرته بينة على صدق نبيهم، فأجرى على يديه معجزة الناقة، آية من آيات الله تخرج من الجبل، وقد حذرهم نبيهم من مسها بسوء، كما قال تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: 13] أي: احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء، (وسقياها) أي: لا تعتدوا عليها في سقياها، فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم.⁽²⁾

وقوله في سورة هود: ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾ أي بسوء يعوقها عن الرعي إما بموت أو بجرح، وقد جعل الله سلامة تلك الناقة علامة على سلامتهم من

(1) والتي سيأتي الحديث عنها عند الحديث عن المنهج الحسي إن شاء الله.

(2) تفسير ابن كثير (8/414) مرجع سابق.

عذاب الاستئصال، ولذلك قال لهم صالح: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُل فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾، لأنهم إذا مسها أحد بسوء، عن رضى من البقية، فقد دلوا على أنهم خلعوا حرمة الله تعالى وحنقوا على رسوله - عليه السلام. (1)

المطلب الثاني: توعدهم بوقوع العذاب بهم بعد ثلاثة أيام من عقر الناقة:

ورغم أن نبي الله صالح - عليه السلام - رهبهم أن يعتدوا على الناقة وأخبرهم أن الاعتداء عليها موجب لعذاب قريب من الله ينزل بهم، وهذا العذاب سيكون أليماً، إلا أن القوم أصروا على الهلاك واستحقاق غضب الله فعقروا الناقة؛ بأن انتدبوا أشقاهم فعقرها، وهم راضون مسرورون، فاستحقوا العقاب الشديد من الله عز وجل، قال تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [القمر: 29]، فقال لهم نبيهم: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْدُوبٍ﴾ [هود: 65]، ورغم إمهالهم ثلاثة أيام إلا أنهم لم يدر بخلدهم أن يعودوا إلى الله ويتوبوا عن كفرهم فاستحقوا العذاب كما قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ ﴿٣١﴾﴾ [القمر: 30-31]، وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾ [الشمس: 14-15]

المبحث الرابع / التذكير بنعم الله وآلانه

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: نعمة الخلق والإيجاد.

المطلب الثاني: نعمة الاستخلاف بعد عاد.

المطلب الثالث: إمداد الله لهم بالقوة والتمكين في الأرض.

المطلب الرابع: نعمة الأمن والإمداد بالماء العذب والزرع والثمار المنوعة.

(1) تفسير التحرير والتنوير (8/219 ب) مرجع سابق

المطلب الأول: نعمة الخلق والإيجاد:

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ نَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: 61]، فذكرهم نبيهم بأن الله تعالى هو الذي خلقهم من العدم وأنعم عليهم بنعمة الوجود، واستخلفهم في الأرض ليعمروها، (و الإنشاء من الأرض خلق آدم من الأرض لأن إنشاءه إنشاء لنسله، وإنما ذكر تعلق خلقهم بالأرض لأنهم كانوا أهل غرس وزرع، كما قال في سورة الشعراء: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَٰضِمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الشعراء: 146-149] ، ولأنهم كانوا ينحتون من جبال الأرض بيوتا ويبنون في الأرض قصورا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 74] ، فكانت لهم منافع من الأرض تناسب نعمة إنشائهم من الأرض فلأجل منافعهم في الأرض قيدت نعمة الخلق بأنها من الأرض التي أنشئوا منها، ولذلك عطف عليه واستعمركم فيها، والاستعمار: الإعمار، أي جعلكم عامرينها، فالسين والتاء للمبالغة كالتي في استبقى واستفاق. ومعنى الإعمار أنهم جعلوا الأرض عامرة بالبناء والغرس والزرع لأن ذلك يعد تعميرا للأرض حتى سمي الحرث عمارة لأن المقصود منه عمر الأرض. (1)

أراد صالح – عليه السلام- أن يقول لهم: إذا كان الله سبحانه هو الخالق وهو المنعم أفلا يعني هذا أنه وحده المستحق للعبادة.

المطلب الثاني: نعمة الاستخلاف بعد عاد:

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ [الأعراف: 74]، ذكرهم نبيهم صالح – عليه السلام- بنعمة "استخلاف الله لهم من بعد عاد، وإن لم يكونوا

(1) تفسير التحرير والتنوير (12/108) مرجع سابق

في أرضهم ذاتها، ولكن يبدو أنهم كانوا أصحاب الحضارة العمرانية التالية في التاريخ لحضارة عاد. (1)

فذكرهم – عليه السلام - بنعمة الله عليهم إذ جعلهم خلفاء من بعد قوم عاد، وهذا التذكير يأتي في سياق ترغيبهم أن يُروا الله من أنفسهم خيرا بعبادته وحده لا شريك له، وشكره لأنه جعلهم مستخلفين في الأرض بعد هلاك قوم عاد.

ويقصد صالح – عليه السلام- أيضا ترهيبهم أن يصيبهم ما أصاب قوم عاد بسبب شركهم، فمن كفر بالله يوشك أن يحل به العذاب كما حل بقوم عاد.

المطلب الثالث: إمداد الله لهم بالقوة والتمكين في الأرض:

قال تعالى حكاية عن نبيه صالح: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 74]

قوله تعالى: ﴿وبوأكم في الأرض﴾ أي: (بوأكم في الأرض منازل،) (تتخذون من سهولها قصورا) أي تبنون القصور بكل موضع، (وتنحتون الجبال بيوتا) اتخذوا البيوت في الجبال لطول أعمارهم، فإن السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم. (2)

فذكرهم بنعمة الله عليهم بتمكينهم في الأرض فاتخذوا فيها منازل فكانوا يبنون في السهول قصورا، وينحتون في الجبال بيوتا، وهذا يدل على عظم منة الله عليهم أن أقدرهم على ذلك ومكنهم فيه، وكانوا بارعين حاذقين في نحتهم الجبال بيوتا كما في قوله تعالى حكاية عن صالح – عليه السلام-: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾ [الشعراء: 149] (3)

(1) ينظر تفسير الظلال (3/1313) مرجع سابق

(2) تفسير القرطبي (7/239) مرجع سابق.

(3) ينظر المرجع السابق (13/129)

المطلب الرابع: نعمة الأمن والإمداد بالماء العذب والزرورع والثمار المنوعة:

أراد صالح -عليه السلام- أن يذكرهم بنعم الله عليهم، وما مكن لهم من نعم وخيرات، ورغم انغماسهم في هذه النعم إلا أنهم كانوا يعيشون في غفلة عن الله وعبادته وحده لا شريك له، فلا يفكرون فيمن وهبهم هذه النعم، ولا يشكرون المنعم الذي أعطاهم هذا النعيم، قال تعالى حكاية عن صالح -عليه السلام-:

﴿أَتُكْرُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَٰضِمٌ ﴿١٤٨﴾

وَتَنجِحُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ [الشعراء: 146-149]، فذكرهم بهذه النعم ليتدبروا ويعرفوا قيمة النعيم الذي هم فيه، ويخافوا زواله، وفيما قاله لهم لمسات توظف القلوب الغافية، وتنبه فيهم الحرص والخوف، وفيه حث على العمل لاستبقاء تلك النعم بأن يشكروا الله عليها، فقال لهم: (أَتُكْرُونَ فِي مَا هَاهُنَا) وقوله هذا إما أن يكون على سبيل الإنكار أي: إنكارا لأن يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزولون عنه، أو أن يكون تذكيرا بالنعمة، وما ينتعمون فيه من الجنات وغير ذلك، مع الأمن والدعة.

وقوله: (أمينين) تنبيه على نعمة عظيمة، وهي نعمة الأمن التي هي من أعظم النعم ولا يتذوق طعم النعم الأخرى إلا بها، فجمع الله لهم بين الأمن ورفاهية العيش، أي: أتظنون أنكم متروكون لهذا الذي أنتم فيه من دعة ورخاء ومنتعة ونعمة، أتتركون في هذا كله آمينين بدون حساب أو سؤال من خالقكم- عز وجل- وأنتم تتقلبون في نعمه التي منها ما أنتم فيه من بساتين وأنهار وزرورع كثيرة متنوعة، إن كنتم تظنون ذلك، فأقلعوا عن هذا الظن، واعتقدوا بأنكم أنتم وما بين أيديكم من نعم، إلى زوال، وعليكم أن تخلصوا لخالقكم العبادة والشكر لكي يزيدكم من فضله..

ونلاحظ هنا أن- صالحا- عليه السلام قد استعمل مع قومه أرق ألوان الوعظ، لكي يوقظ قلوبهم الغافلة، نحو طاعة الله- تعالى- وشكره، وقد استعمل في وعظه لفت أنظارهم إلى ما يتقلبون فيه من نعم تشمل البساتين والعيون، والزرورع المتعددة، والنخيل الجيدة الطلع، اللذيذة الطعم، حتى لكأن ثمرها لجودته ولينه، لا

يحتاج إلى هضم في البطون، وتتركون في البيوت تحتونها في الصخور بمهارة
وبراعة، وفي أناقة وفراهة؟⁽¹⁾

وبذلك نرى أن صالحا- عليه السلام- نوع في دعوته لقومه بين الترغيب
والترهيب، والتذكير بنعم الله عليهم، لشكرها وعدم زوالها، إلا أن قومه أصروا
على كفرهم وعنادهم، وكان ردهم عليه- كما حكى القرآن عنهم-: ﴿قَالُوا إِنَّمَا

أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾

[الشعراء: 153-154]

(1) ينظر: تفسير ابن كثير (6/155 وما بعدها)، وتفسير الضلال (5/2611 وما بعدها) وتفسير
التحرير والتنوير (19/174 وما بعدها)، التفسير الوسيط لطنطاوي (10/269)

الفصل الثاني

المنهج العقلي في رسالة

صالح - عليه السلام -

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول / الاستفهام.

المبحث الثاني / الجدل.

المبحث الثالث / الحوار.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة صالح عليه السلام

وقد استخدم نبي الله صالح-عليه السلام- المنهج العقلي في دعوة قومه ورد شبهاتهم، وأقام الحجة، وخاطب عقولهم بالاستدلالات العقلية المختلفة عساهم يفكروا بعيدا عن الجمود والتقليد فيؤمنوا بالله وحده، ورسوله الذي أرسل إليهم، وسوف يتناول الباحث هذه الاستدلالات العقلية في ثلاثة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول/ الاستفهام.

المبحث الثاني/ الجدل.

المبحث الثالث/ الحوار.

المبحث الأول/ الاستفهام

من الاستدلالات التي تعتمد على المخاطبات العقلية: أسلوب الاستفهام، والذي يأتي في سياق الكلام لأغراض بلاغية لاستنطاق الخصم بالحجة، كالأستفهام الاستنكاري الذي يكون لاستنكار أمر يأبى العقل السليم رفضه ويكون الهدف هو حث الخصم على إعادة النظر والتفكير في اعتقاداته الخاطئة.

وقد استعمل نبي الله صالح – عليه السلام أسلوب الاستفهام الاستنكاري في عدة مواضع في دعوته لقومه من خلال أربعة مطالب على النحو التالي:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: استنكاره دعوة قومه له أن يترك الرسالة.

المطلب الثالث: إنكاره عليهم تمتعهم بالنعم وكفرهم بالله.

المطلب الرابع: إنكاره عليهم العناد والتكذيب وعدم التوبة إلى الله.

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله:

قال تعالى: **(إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ)** [الشعراء: 142]، فقول صالح – عليه السلام- لقومه: **﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾** استفهام إنكاري، أراد به أن ينكر حالهم من الكفر بالله وعبادة غيره، والإعراض عن رسوله الذي جاءهم بالهدى من ربهم، فخطب عقولهم مستنكرا: ألا تتقون عذاب الله بتوحيده واتباع رسوله.

المطلب الثاني: استنكاره دعوة قومه له أن يترك الرسالة:

لما أنكر قومه عليه دعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال لهم مستنكرا: **(قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَآتَنِي مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ، فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَحْسِيرٍ)** [هود: 63] يا قوم أخبروني إن كنت على حجة واضحة من ربي وآتاني من عنده رحمة، ألا وهي اختياره لي وتكليفني بالرسالة، والاستفهام في قوله: **(فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ)** استفهام إنكاري وقع جواب الشرط، وهو قوله **(إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ)** فأنكر عليهم تكذيبه، والتشكك في دعوته، والتعريض بأنه صار غير مرحبا به عندهم بعد أن كان مرجوا فيهم، أنكر عليهم ذلك قائلا: من ذا الذي يجيرني من غضب الله، إذا خالفت أمره أو قصرت في تبليغ دعوته، احتفاظا برجائكم في، ومسايرة لكم في باطلكم؟ ومعنى كلامه – عليه السلام- كلا يا قوم، إنني سأستمر في تبليغ ما أرسلت به إليكم، ولن يمنعني عن ذلك ترغيبكم أو ترهيبكم، والذي أنا عليه هو الحق الذي لا ريب فيه، ومخالفة أمر الله في ذلك توصل إلى الهلاك والخسران بالتعرض لسخط الله وحاشاي أن أخالف أمر ربي إرضاء لكم. (1)

المطلب الثالث: إنكاره عليهم تمتعهم بالنعم وكفرهم بالله.

وذلك في قوله تعالى: **(أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هُمْ بِآمِنِينَ)** [الشعراء: 146]، في معرض تذكير صالح – عليه السلام لقومه بنعم الله عليهم وتحذيرهم من عاقبة كفرهم بالله ورسوله خاطبهم بالاستفهام الإنكاري التوبيخي، قائلا لهم: **(أيتركم يا قوم ربكم في هذه الدنيا آمنين، لا تخافون شيئا؟)** (2)

(1) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (ص 7/234) مرجع سابق.

(2) تفسير جامع البيان للطبري (ص 19/380) مرجع سابق.

المطلب الرابع: إنكاره عليهم العناد والتكذيب وعدم التوبة إلى الله.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: 46]، وهنا أيضا استفهام إنكاري توبيخي فحينما دعاهم نبي الله صالح - عليه السلام- للتوحيد ونبذ الشرك أبطأوا في الاستجابة له فاستنكر ذلك عليهم قائلا: يا قوم لم تصرون على العناد والتكذيب فيحل بكم العذاب، فهلا تبتم إلى الله فتكون توبتكم سببا لرحمته؟

(فإن قلت: ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة؟ وإنما يكون ذلك إذا كانتا متوقعتين إحداهما قبل الأخرى؟

قلت: كانوا يقولون لجهلهم: إن العقوبة التي يعدها صالح عليه السلام إن وقعت على زعمه، تبنا حينئذ واستغفرنا- مقدّرين أن التوبة مقبولة في ذلك الوقت- ، وإن لم تقع، فنحن على ما نحن عليه، فخاطبهم صالح عليه السلام على حسب قولهم واعتقادهم، ثم قال لهم: هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب؟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ تنبيها لهم على الخطأ فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه.)⁽¹⁾

المبحث الثاني: الجدل

وقد استعمل نبي الله صالح - عليه السلام- هذا الأسلوب الدعوي في دعوته لرد الشبهات التي أثارها قومه، وبيان الحق الذي جاءهم به، وسيتناول الباحث أهم الشبهات التي قالها قوم صالح - عليه السلام- في خمسة مطالب:

المطلب الأول: التشكيك في دعوته إلى التوحيد وترك آلهتهم.

المطلب الثاني: ادعائهم أن نبيهم من المسحرين.

المطلب الثالث: أن رسولهم بشر مثلهم وأنه كذاب أشر.

المطلب الرابع: التشاؤم من نبيهم صالح- عليه السلام-.

المطلب الخامس: تشكيك المستكبرين للمؤمنين في اتباعهم لنبيهم.

(1) تفسير الزمخشري (ص 3/371) مرجع سابق.

المطلب الأول: التشكيك في دعوته إلى التوحيد وترك آلهتهم:

لما دعا نبي الله صالح – عليه السلام- قومه إلى عبادة الله وحده ردوا عليه قائلين: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ [هود: 62]، ورد القوم يظهر ما كانوا عليه من الجهل والعناد فقالوا: ﴿يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ وقد ذكر المفسرون لقولهم هذا عدة معانٍ:

- أي كنا نرجوك في عقلك قبل أن تقول ما قلت!
- كنا نرجو أن تكون فينا سيديا قبل هذا القول أي قبل دعوتك النبوة.
- كنت فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا.
- لقد كنت تعطف على فقرائنا، وتعين ضعفاءنا، وتعود مرضانا، فقوي رجاؤنا فيك أنك من الأنصار والأحاب، فكيف أظهرت العداوة والبغضاء؟

ثم إنهم أضافوا إلى هذا الكلام التعجب الشديد بقولهم: ﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ إنها للقاصمة! فكل شيء يا صالح إلا هذا! وما كنا لنتوقع أن تقولها! فيا لخيبة الرجاء فيك! ثم إننا لفي شك مما تدعوننا إليه؛ شك يجعلنا نرتاب فيك وفيما تقول: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ والشك هو أن يبقى الإنسان متوقفا بين النفي والإثبات، والمريب هو الذي يظن به السوء، فقولهم: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكِّ﴾ معناه أنه لم يترجح في اعتقادهم صحة قوله، وقولهم: ﴿مُرِيبٌ﴾ يعني أنه ترجح في اعتقادهم فساد قوله، وهذا مبالغة في تزييف كلامه.

وهكذا يعجب القوم مما لا عجب فيه، بل يستنكرون ما هو واجب وحق، ويدهشون لأن يدعوهم أخوهم صالح إلى عبادة الله وحده، لماذا؟

لا لحجة ولا لبرهان ولا لتفكير، ولكن لأن آباءهم يعبدون هذه الآلهة! وهكذا يبلغ التحجر بالناس أن يعجبوا من الحق البين، وأن يعطلوا العقائد بفعل الآباء!

فرد عليهم نبيهم قائلا: ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَآئِنِي مِّنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ۗ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: 63]،

يقول: إن كنت على برهان وبيان من الله قد علمته وأيقنته، (وأتاني منه رحمة) النبوة (فمن ينصرني من الله إن عصيته)، يقول: فمن الذي يدفع عني عقابه إذا عاقبني أن أنا عصيته، فيخلصني منه (فما تزيدونني)، بعذركم الذي تعتذرون به، من أنكم تعبدون ما كان يعبد آباؤكم، (غير تخسير)

وفي تفسير هذه الكلمة وجهان:

الأول: أن على هذا التقدير تخسرون أعمالهم وتبطلونها، أي: ما تزيدونني إلا خسارة على خسارة، غضب الله وحرمانه شرف الرسالة وخزي الدنيا وعذاب الآخرة.

الثاني: أن يكون التقدير: فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملوني عليه غير أن أخسركم - أي أنسبكم إلى الخسران - أو ما تزيدونني باحتجاجكم بدين آباءكم غير بصيرة بخسارتكم.

والقول الأول أقرب؛ لأن قوله: (فمن ينصرني من الله إن عصيته) كالدلالة على أنه أراد إن أتبعكم فيما أنتم عليه من الكفر الذي دعوتكموني إليه لم أزد إلا خسرانا في الدين، فأصير من الهالكين الخاسرين.

وقوله: (إن كنت على بينة من ربي) ورد بحرف الشك، وكان على يقين تام في أمره، إلا أن خطاب المخالف على هذا الوجه أقرب إلى القبول، فكأنه قال: قدروا أنني على بينة من ربي، وأني نبي على الحقيقة، وانظروا أنني إن تابعتكم وعصيت ربي في أوامره فمن يمنعني من عذاب الله، فما تزيدونني على هذا التقدير غير تخسير. (1)

فرد صالح - عليه السلام - شبهتهم بإثبات:

- أنه نبي يوحى إليه من الله.
- أن متابعتهم لهم في ضلالهم ليكون مرجوا عندهم لن يزيده إلا خسارا.
- أنه لن يترك اليقين الذي هو عليه إلى الباطل الذي هم فيه.
- أن آلهتهم عاجزة ضعيفة لن تنصره أو تمنع عنه غضب الله إن أطاعهم فيما يطلبون.

(1) ينظر: تفسير ابن جرير الطبري (15/369 وما بعدها)، وتفسير الرازي (18/367 وما بعدها)، وتفسير القرطبي (9/59 وما بعدها)، وتفسير الظلال (4/1907 وما بعدها)

المطلب الثاني: ادعواؤهم أن نبيهم من المسحرين:

لما قال صالح – عليه السلام- لقومه: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: 151-152]، أي: (لا تطيعوا أيها القوم أمر المسرفين على أنفسهم في تماديهم في معصية الله، واجترائهم على سخطه، وهم الرهط التسعة الذين كانوا يفسدون في الأرض، ولا يصلحون من ثمود الذين وصفهم الله جل ثناؤه بقوله: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: 48] (1)

فردوا عليه قائلين: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: 153-154]، أي قد أصابك السحر مرات ومرات قالوها على سبيل المبالغة في الاتهام لأن (المسحر): الذي سحر مرة فمرة حتى فسد عقله ومسه الخبل، يقال لغة: «سحر الساحر فلاناً»، أي: سحره مرة فمرة حتى تخبل عقله، وضاع رشده، فاتهم كبراء ثمود رسولهم صالحاً عليهم السلام بأنه مسحر، وليس مجرد مسحور، أي: إن السحر الذي سلط عليه جعله مختل العقل مخبلاً، لا يقدر خطورة ما يقول بشأن كبراء قومه. (2)

وهكذا نرى تخبطاً عجيباً في شأن هؤلاء المتكبرين المعاندين، فبعد تكذيبهم له نراهم هنا يصفونه أنه مسحور بلغ به السحر مبلغاً، حتى أصابه الخبل وصار يهذي فلا يدري ما يقول!

والسؤال هنا: وهل دعوة نبيهم لتوحيد الله صار ضرباً من الجنون؟! وهل ما يقوله نبيهم هذيان – كما زعموا- أم حق وصدق؟

وهكذا نرى القوم يكابرون ويعاندون، وهم على يقين من سلامة نبيهم من كل آفة ونقص.

(1) تفسير الطبري (19/384) مرجع سابق.

(2) تفسير معارج التفكير ودقائق التدبر (8/674) مرجع سابق.

المطلب الثالث: أن رسولهم بشر مثلهم وأنه كذاب أشر:

وبعد وصفهم لنبيهم أنه مسحر عابوا عليه أنه بشر فقالوا: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: 154] ، وهل إرسال الله رسوله بشرا ليكون قدوة لمن أرسل إليهم مدعاة للتكذيب؟ وما العيب في أن الرسول بشر مثلهم يعرفهم ويعرفونه ويرونه في كل أحواله فيتأسون به؟

إنها نفس شبهة قوم نوح وقوم عاد من قبل، (وتلك هي الشبهة التي ظلت تخايل للبشرية كلما جاءها رسول، فقد كان تصور البشرية القاصر للرسول عجيبا دائما وما كانت تدرك حكمة الله في أن يكون الرسول بشرا، وما كانت تدرك كذلك تكريم هذا الجنس البشري باختيار الرسل منه ليكونوا رواد البشرية المتصلين بمصدر الهدى والنور.

وكانت البشرية تتصور الرسول خلقا آخر غير البشر، أو هكذا ينبغي أن يكون ما دام يأتي إليها بخير السماء، وخبر الغيب، وخبر العالم المحجوب عن البشر.. ذلك أنها ما كانت تدرك سر هذا الإنسان الذي كرمه الله به، وهو أنه موهوب القدرة على الاتصال بالملا الأعلى وهو على هذه الأرض مقيم، يأكل وينام ويتزوج، ويمشي في الأسواق، ويعالج ما يعالجه سائر البشر من المشاعر والنوازع، وهو متصل بذلك السر العظيم.⁽¹⁾

إذن أرسل الله رسوله بشرا لعدة حكم:

- أن يطبق منهج الله الذي جاءهم به.
- أن يكون قدوة في أخلاقه الحسنة بين قومه.
- أن يروه ويأنسوا بالحديث معه والتعلم منه وسؤاله فيما أشكل عليهم.
- كونه بشرا يكون أقرب لأنفسهم وقلوبهم لسماع مواعظه.
- صعوبة الاتصال بالملائكة ورؤيتهم قال -تعالى-: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلِيسُونَ) [الأنعام: 9]

(1) تفسير الظلال (ص 5/2612) مرجع سابق.

المطلب الرابع: التشاؤم من نبيهم صالح - عليه السلام:-

قال تعالى حكاية عن قوم ثمود: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ

عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: 47]

لما دعاهم نبيهم إلى التوحيد وسألهم عن سبب استعجالهم وقوع العذاب ردوا عليه قائلين: (اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ) أي: تشاءمنا بك وبمن معك من أتباعنا، وزجرنا الطير بأنا سيصيبنا بك وبهم المكاره والمصائب، فأجابهم صالح فقال لهم (طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ) أي ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره عند الله علمه، لا يدري أي ذلك كائن، إما تظنون من المصائب أو المكاره، أم ما لا ترجونه من العافية والرجاء والمحاب؟⁽¹⁾

والله إنه لعجب أن يكون الرسول المرسل بالهدى ودين الحق يدعو قومه لما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، ثم يتهمونه بأنه شؤم عليهم، وأن ظهوره فيهم بالرسالة سيكون سببا لوقوع البلاء بهم!!

فيجيبهم نبيهم مبطلا زعمهم الكاذب قائلا: إن كل شيء يجري إنما يجري بمقادير الله فمن اتبع سنة الله -تبارك وتعالى-، وسار على هدايه، فهناك الخير، ومن انحرف عن السنة، وحاد عن السواء، فهناك الشر، بدون حاجة إلى التشاؤم والتطير، (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) تفتنون بنعمة الله، وتختبرون بما يقع لكم من خير ومن شر، فاليقظة وتدبر السنن، وتتبع الحوادث والشعور بما وراءها من فتنة وابتلاء هو الكفيل بتحقيق الخير في النهاية، لا التشاؤم والتطير ببعض خلق الله من الطير ومن الناس سواء.

والهدف من كلام نبيهم أن يوضح لهم أن الإنسان لا يمكنه أن يعيش مقطوع الصلة بالله خالق الكون ومدبره، وبالنواميس التي تدبر هذا الكون وتحفظه بأمر الخالق المدبر الحكيم، ولكن هذا المنطق المستقيم إنما تستجيب له القلوب التي لم تفسد، ولم تنحرف الانحراف الذي لا رجعة منه.⁽²⁾

المطلب الخامس: تشكيك المستكبرين للمؤمنين في اتباعهم لنبيهم:

انقسم قوم صالح - عليه السلام - في الإيمان بدعوته فريقين:

(1) تفسير ابن جرير الطبري (ص 19/477) مرجع سابق.

(2) ينظر تفسير الظلال (ص 5/2645) مرجع سابق.

أ- فريق المستكبرين الكافرين، وهم الملأ.

ب- فريق المستضعفين المؤمنين، وهم بقية قومه.

وقد وردت هذه الشبهة في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: 75-76]، وقد مر بنا في قصتي نوح وهود مع قومهما أن الحوار كان بين القوم ونبیهم، لكن الملاحظ هنا أن الملأ الذين استكبروا عدلوا عن مجادلة صالح - عليه السلام - إلى جدال الذين آمنوا به، ومحاولة إلقاء الشك في نفوسهم، ولما كان خطابهم للمؤمنين مقصودا به إفساد دعوة صالح - عليه السلام - كان خطابهم بمنزلة المحاوراة مع صالح - عليه السلام-، وقد تركز الحوار في عدة نقاط:

1- التشكيك في دعوة صالح - عليه السلام- فبدأوا بالاستفهام قائلين: (أتعلمون) للتشكيك والإنكار، أي: ما نظنكم آمنتم بصالح - عليه السلام - عن علم بصدقه، ولكنكم اتبعتموه عن عمى وضلال غير موقنين.

2- أيضا في قولهم: (أتعلمون) نشم فيه رائحة السخرية والتهكم، لأنهم ليسوا متأكدين أصادق هو أم كاذب؟ فأرادوا السخرية من تصديقهم له في دعواه الرسالة من ربه.

3- وواضح من طريقة السؤال وهم السادة والكبراء أنه سؤال للتهديد والتخويف، وكأن الإيمان بصالح - عليه السلام- تهمة.

4- وصف أولئك الكفار بكونهم مستكبرين، هو وصف ذم لهم، ووصف أولئك المؤمنين بكونهم مستضعفين معناه: أن غيرهم يستضعفهم ويستحقرونهم، وهذا ليس فعلا صادرا عنهم، بل عن غيرهم، فهو لا يكون صفة ذم في حقهم، بل الذم عائد إلى الذين يستحقرونهم ويستضعفونهم.

5- في رد المؤمنين على الملأ المستكبرين دلالة على أنهم لم يعودوا ضعافا، لقد سكب الإيمان بالله القوة في قلوبهم، والثقة في نفوسهم، والاطمئنان في منطقتهم.. إنهم على يقين من أمرهم، فماذا يجدي التهديد والتخويف؟ وماذا تجدي السخرية والاستنكار؟

فرد المؤمنون بقوة ووضوح قائلين: (إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِمُ مُؤْمِنُونَ) فنحن موقنون مصدقون بما جاء به صالح، لا شك ولا ريب كما ظننتم.

6- ومن ثم يعلن الملائ عن موقفهم في صراحة تحمل طابع التهديد، والإصرار على الباطل والمعاندة: (إِنَّا بِالَّذِينَ ءَامَنْتُمْ بِهِمُ كَافِرُونَ) نحن كافرون بما جاء به صالح، والسر في هذا أن الملائ هم آخر من يؤمن بدعوة تجردهم من السلطان في الأرض، وترده إلى إله واحد هو رب العالمين. (1)

المبحث الثالث/ الحوار

استعمل نبي الله صالح- عليه السلام – أسلوب الحوار مع قومه، ليبين لهم ما أرسل به من الله، وبيان بطلان ما يعبدون من أصنام باطلة، وتحذيرهم من غضب الله وعقابه.

وسيتناول الباحث هذا الأسلوب في مطلبين:

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة صالح – عليه السلام.

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار.

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة صالح – عليه السلام:

1. ابتداء نبي الله صالح – عليه السلام – حوار مع قومه بدعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿وَأِلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: 61] وهذا ما يعرف في الحوار بالبدا بالنقطة الأهم واعطائها الأولوية الكبرى في الحوار.
2. فما كان جواب قومه إلا أن أنكروا أن يكون رسولا من عند الله واتهموه بأنه كان مرجوا فيهم يسمع لرأيه ويأخذون بمشورته، وهذا فيه تعريض واتهام له

(1) ينظر: تفسير الرازي (307/14)، وتفسير الضلال (3/1313 وما بعدها) وتفسير التحرير والتنوير (222/8، وما بعدها)

أنه صار متهما عندهم بسوء الرأي والعقل، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: 62]

3- ولم يقابل صالح - عليه السلام - إساءتهم بمثلها - وهذا دأب الرسل جميعا- إنما رد عليهم بسؤالهم قائلًا: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: 63] وهذا ما يعرف بأسلوب مجازاة الخصم كأنه يقول: لو سلمت جدلا بقولكم وقد آتاني الله النبوة فإني أكون حينئذ خاسرا إن تابعتكم فيما أنتم عليه من ضلال، وهنا أيضا تعريض بهم أن طريقهم طريق الخسار والهلاك، وأن طريقه طريق الرحمة والهداية.

4- ثم أراد أن يبين لهم دليلا حسيا على صدقه، وأنه رسول رب العالمين ، فقد أجرى الله على يده هذه المعجزة، فقال: ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: 64]، فهذه ناقة الله تخرج لهم من الجبل بقدره الله، وأمرهم ألا يتعرضوا لها بسوء، وإلا أصابهم عذاب قريب من الله عز وجل.

5- ثم أراد صالح - عليه السلام- في حوارهِ مع قومه أن يذكرهم بنعم الله عليهم، فقال: ﴿وَإِذْ كُفِرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 74]، فذكرهم بنعمة استخلافهم بعد عاد، وفيه تحذير لهم أن يصيبهم ما أصاب قوم عاد لما كفروا بالله ورسوله، وذكرهم بما منحهم الله من القوة والإمكانات فقد مكنهم الله في الأرض، وبنوا القصور في سهولها ونحتوا الجبال بيوتًا، فذكرهم ببعض نعم الله عليهم لأن دوام النعم بشكرها والثناء على الله بها، فكيف قابلتم نعم الله بالجحود والنكران، وحذرهم من الإفساد في الأرض بالمعاصي فإن المعاصي مؤذنة بالهلاك والعذاب العظيم.

6- وبعد كل هذا البيان استمر القوم في غيهم وضلالهم وعقروا الناقة فعمهم الله بعذاب من عنده.

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار:

- 1- موضوع الحوار: الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له.
- 2- تذكيرهم بنعمة الله عليهم حيث خلقهم من العدم، وأنعم عليهم بنعمة الوجود، وأن هذا الخلق لحكمة وهي عبادة الله الذي خلق، وعمارة الأرض لأن الإنسان مستخلف فيها.
- 3- اثبات أنه رسول الله بإقامة الحجة على قومه بمحاورتهم ثم معجزة الناقة التي كانت آية حسية دالة على صدقه.
- 4- دعاهم إلى عدم استعجال العذاب واستغفار الله من ذنوبهم، وأن الاستغفار سبب لنيل رحمة الله عز وجل.
- 5- تميز حوار صالح - عليه السلام - بالهدوء والحلم والحرص على هداية قومه.
- 6- دعاهم إلى الاعتبار بأمة عاد التي هلكت بسبب تمردهم على أمر الله وكفروا به وبرسوله.
- 7- بين لهم أن الكفر فساد في الأرض مؤذن بالخراب والدمار.

الفصل الثالث

المنهج الحسي في رسالة

صالح - عليه السلام -

وفيه مبحثان:

المبحث الأول / معجزة الناقة.

المبحث الثاني / الاعتبار بالسابقين.

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة صالح - عليه السلام -

وقد استخدم نبي الله صالح - عليه السلام - هذا المنهج في الدعوة إلى الله مع قومه في عدة صور، يتناولها الباحث من خلال مبحثين:

المبحث الأول/ معجزة الناقة.

المبحث الثاني/ الاعتبار بالسابقين.

المبحث الأول/ معجزة الناقة

كان القوم ينحتون الجبال بيوتا فهم خبراء بالمنطقة الجبلية ويعرفون كيفية التعامل مع هذه الصخور القاسية الصلدة ويعرفون الجبال المحيطة بهم جيدا، فأجرى الله على يد نبيهم آية خارقة ومعجزة تدل على صدقه، فأخرج لهم نبيهم بقدرة الله آية بينة ألا وهي الناقة، قال تعالى حكاية عن نبيه صالح: ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: 64]، فجعل الله لنبيه صالح - عليه السلام هذه الآية البينة، والمعجزة الواضحة، دليلا على نبوته، وكانت ناقة خاصة في خلقها وصفاتها، ليست كباقي النياق التي عندهم، أما خلق الناقة، وكيفية خلقها، فلا نعرف عنه شيئا، ولم نخبرنا الآيات عنه، ولا توجد أحاديث صحيحة توضح ذلك، ونحن لا نذهب للخرافات والإسرائيليات، والآية الخارقة دليل صدق النبي، لأن الله يصدقه بها، وكأنه يقول لقومه: صدق عبدي فيما يرويه عني، وهذه الآية المعجزة تصديق مني له. (1)

وقد أضيفت الناقة إلى الله: (فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيِيهَا) [الشمس: 13]، وهي إضافة تشريف وتكريم للناقة، لأنها خاصة في خلقها ووجودها بينهم، وكانت الناقة لها شرب يوم، ولجميع ثمود شرب يوم، قال تعالى حكاية عن صالح - عليه السلام - (قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَّهَا شَرْبٌ وَلَكُمْ شَرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ) [الشعراء: 155]، وكانوا في يوم شربها يخلبون منها القدر الذي يقوم لهم مقام الماء في يوم شربهم،

(1) ينظر القصص القرآني للخالدي (ص1/279)

وحذرهم نبيهم من أن يمسوها بسوء، لأن ذلك مؤذن بوقوع العذاب بهم، فقال: ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: 64]، فتآمر القوم على قتل الناقة وانتدبوا واحدا منهم لذلك كما ذكر الله تعالى في قوله: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [القمر: 29]، ولأنهم اشتركوا جميعا في مؤامرة قتل الناقة فإن نبيهم توعدهم بقوله: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرٌ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: 65]، وأنزل الله العذاب بالقوم فهلكوا جميعا قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: 30-31]

المبحث الثاني: الاعتبار بالسابقين:

أراد نبي الله صالح -عليه السلام- أن يدعو قومه لتذكر نعمة الله عليهم، والنظر في مصائر الغابرين، والشكر على نعمة الاستخلاف بعد هؤلاء الغابرين فقال كما ذكر الله حكاية عنه: ﴿وَإذُكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادُّكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 74]، وصالح يذكرهم استخلاف الله لهم من بعد عاد، وإن لم يكونوا في أرضهم ذاتها، ولكن يبدو أنهم كانوا أصحاب الحضارة العمرانية التالية في التاريخ لحضارة عاد، وأن سلطانهم امتد خارج الحجر أيضاً، وبذلك صاروا خلفاء ممكنين في الأرض، محكمين فيها، وهو ينهاهم عن الانطلاق في الأرض بالفساد، اغتراراً بالقوة والتمكين، وأمامهم العبرة ماثلة في عاد الغابرين! (1)

(1) ينظر تفسير الظلال (3/1313)

الباب الرابع

المناهج الدعوية في رسالة

لوط -عليه السلام-

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول / المنهج العاطفي.

المبحث الثاني / المنهج العقلي.

المبحث الثالث / المنهج الحسي.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في رسالة

لوط - عليه السلام -

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني/ الترغيب.

المبحث الثالث/ الترهيب.

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة لوط عليه السلام

عند مدارسة وتدبر آيات القرآن التي ذكر فيها قصة نبي الله لوط – عليه السلام- نجد أنه قد استخدم المنهج العاطفي بعدة أساليب يتناولها الباحث في أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني/ الترغيب.

المبحث الثالث/ الترهيب.

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نداء لوط على قومه (يا قوم).

المطلب الثاني: التعبير عنه بلفظ (أخوهم لوط).

المطلب الثالث: تسميته لنساء قومه بـ (بناتي).

المطلب الأول: نداء لوط على قومه (يا قوم):

وهذا النداء من نبي الله لوط لقومه بقوله (يا قوم) في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: 78] ترقيقاً لقلوبهم وإشعاراً بقوة الرابطة بينه وبينهم وقد مر بنا الكلام عن هذا في قصص الأنبياء: نوح وهود وصالح بما يغني عن الإعادة.

المطلب الثاني: التعبير عنه بلفظ (أخوهم لوط):

أرسل الله رسله لهداية البشر وإرشادهم إلى الطريق القويم فكان من أبرز صفات الرسل تعاملهم مع أقوامهم بالرأفة واللين، ونجد هذا في دعوة لوط – عليه

السلام- لقومه بإخبار الله عنه أنه "أخاهم" إظهار للعاطفة التي تربطه بهم، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: 160]-

[161]

هل لوط كان أخا لقومه فعلا؟

نبيُّ الله لوط هو الوحيد الذي آمن مع إبراهيم -عليه السلام- من الرجال، وهاجر معه، ولما نُبِّي أمره الله تعالى بالتوجه إلى ديار سدوم، ولم يكن لوط – عليه السلام- أخا لقومه ولم يكن من نسبهم، ولكنه لما استوطن بلادهم وحالفهم وتزوج منهم جعل أخا لهم، وقال تعالى في الآية الأخرى ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾ [ق: 13]، أو أن هذا من إطلاق الأخوة على ملازمة الشيء وممارسته كقول العرب: (يا أخا الحرب)، والسياق القرآني ذكر دعوة الأنبياء لأقوامهم بدءًا من نوح، فكانت المؤاخاة متنوعة، بعضها: مؤاخاة النسب حقًا، وبعضها مؤاخاة الإنسانية، وبعضها مؤاخاة اللفظ الدارج في لغة العرب؛ حيث ينادى الرجل عادة: (يا أخا العرب) ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: 27]. (1)

ونخلص من هذا أن نسبة أخوة لوط – عليه السلام- لقومه لها سببان، وهما:

- المصاهرة منهم.
- الإقامة بينهم، واستيطان بلادهم، ومعاشرتهم.

المطلب الثالث: تسميته لنساء قومه بـ (بناتي):
لما جاءت الملائكة بيت لوط – عليه السلام- في صورة بشرية، وعلم قومه بخبرهم جاؤوا إلى بيته مسرعين، فقال لهم: ﴿يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: 78]

وقوله: (هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) في تفسيره قولان:

(1) ينظر تفسير التحرير والتنوير (19/178) مرجع سابق.

القول الأول: قصد بناته وقد روي أنه كان له ابنتان، فعرض عليهن التزوج بهن، لكن هذا التفسير مردود لسببين:

الأول: أن إقدام الإنسان على عرض بناته على الأوباش والفجار أمر متبعد لا يليق بأهل المروءة فكيف بأكابر الأنبياء؟

الثاني: أن القوم كانوا عددا كثيرا فكيف تكفيهن بنتان أو ثلاث؟

القول الثاني: أنه بقوله هذا يرشدهم إلى نسائهم، فقصد الزواج من بنات القبيلة لأن إطلاق البنات هنا من قبيل التشبيه البليغ، أي هؤلاء نساؤهن كبناتي، لأنه كان نبيا لهم فكان كالأب لهم. قال تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: 6] فأرشدهم إلى ما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة.

فقصد لوط – عليه السلام- أنه بمثابة أب لكل نساء القبيلة وأضافهن إلى نفسه لأن كل نبي أب لأمته من حيث الشفقة وحسن التربية والتوجيه، وفي هذا الكلام استشارة للعاطفة في قومه وحثهم على ترك ما يقصدون من الرذيلة. (1)

المبحث الثاني/ الترغيب

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله وطاعة رسوله.

المطلب الثاني: هل دعا لوط قومه للتوحيد؟

المطلب الثالث: ما الحكمة أن القرآن لم ينص على أنه قال لقومه كما قال غيره

من الأنبياء: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾؟

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله وطاعة رسوله:

دعا لوط – عليه السلام- قومه لطاعة الله وتقواه، وطاعة رسوله فقال لهم:

﴿أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الشعراء: 124-126]

(1) ينظر: تفسير الرازي (18/378، وما بعدها) وتفسير ابن كثير (ص4/337)، وتفسير

التحرير والتنوير (12/127، وما بعدها)، والتفسير الوسيط لطنطاوي (7/248)

المطلب الثاني: هل دعا لوط قومه للتوحيد؟

لم ينص القرآن صراحة على دعوة لوط قومه لتوحيد الله، لكن لو تأملنا عموميات القرآن لعلمنا أنه ما من نبي إلا ودعا قومه إلى التوحيد، ونهاهم عن الشرك، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25]، وبما أن لوط عليه السلام هو من جملة الرسل الذين يصدق عليهم ما نصت عليه الآية، فلا شك أنه دعا قومه للتوحيد، وقد أشار عدد من المفسرين لهذا الأمر في تفسير عدة مواضع من القرآن:

1- قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرْتُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 160-164] "فدعاهم إلى الله عز وجل، أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه الله إليهم، ونهاهم عن معصية الله، وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم، مما لم يسبقهم الخلاق إلى فعله، من إتيان الذكران دون الإناث" (1)

2- وفي قول لوط لقومه: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: 81]، أي: (في جمعكم إلى الشرك هذه الفاحشة). (2)

3- وفي قوله تعالى ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُّفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: 36]

نلاحظ في هذه الآية من سورة العنكبوت أن نبي الله شعيب – عليه السلام- دعا قومه للتوحيد لكن في الآيات السابقة (لم يذكر عن لوط أنه أمر قومه بالعبادة والتوحيد، وذكر عن شعيب ذلك؟ قلنا قد ذكرنا أن لوطا كان له قوم وهو كان من قوم إبراهيم وفي زمانه، وإبراهيم سبقه بذلك واجتهد فيه حتى اشتهر الأمر بالتوحيد عند الخلق من إبراهيم فلم يذكره عن لوط وإنما ذكر منه ما اختص به

(1) تفسير ابن كثير (6/157)

(2) تفسير القرطبي (7/246)

من المنع عن الفاحشة وغيرها، وإن كان هو أيضا يأمر بالتوحيد، إذ ما من رسول إلا ويكون أكثر كلامه في التوحيد) (1)

المطلب الثالث: ما الحكمة أن القرآن لم ينص على أنه قال لقومه كما قال غيره من الأنبياء: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾؟

يرى الباحث – والله أعلم – أن قوم لوط جاؤوا بفاحشة لم يسبقهم إليها أحد من العالمين، فكانت جريمتهم جريمة أخلاقية بشعة تخالف فطرة الله التي فطر الرجال عليها وهي اشتهاؤ النساء، والأقبح من هذا جهرهم بها واستحلالهم لها، حتى صار أمرا معتادا في هذا المجتمع، ودعوتهم لطرده آل لوط – عليه السلام- لأنهم قوم يتطهرون كما بين الله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: 56]، فجمعوا بين الشرك بالله، وعدم الإيمان بنبيهم لوط -عليه السلام- وبين فعل الفاحشة والمجاهرة بها، وقطع الطريق على المسافرين.

المبحث الثالث/ الترهيب

حذر لوط – عليه السلام- قومه من عاقبة جهرهم بهذه الفاحشة المنكرة الشنيعة في قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف: 80-81]

لقد نهاهم نبيهم – عليه السلام- عن هذه الرذيلة التي انتشرت بينهم (وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه، "إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) أي: عدلتم عن النساء، وما خلق لكم ربكم منهن إلى الرجال، وهذا إسراف منكم وجهل؛ لأنه وضع الشيء في غير محله." (2)

(1) تفسير الرازي (27/54)

(2) تفسير ابن كثير (3/445) باختصار يسير.

فهنا نرى أنه رهبهم من عاقبة إسرافهم ومجاوزتهم الحد في العصيان، فعقوبة الإسراف الهلاك، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ [القمر: 36]، أي: "ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه، فما التفتوا إلى ذلك، ولا أصغوا إليه، بل شكوا فيه وتماروا به"⁽¹⁾

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله

أنكر لوط – عليه السلام- على قومه فعلتهم الشنيعة بنكاح الرجال، وتطور الأمر لشيوع ذلك والجهر به، ثم لم يستحوا من فعل ذلك بالغرباء، فأراد لوط – عليه السلام- أن يذكرهم بنعمة الله عليهم بأن جعل فطرتهم السوية هي اشتهاؤ الرجل للمرأة، وليس اشتهاؤ الذكر ذكرا مثله، فهذه وسيلة الاستمتاع الفطري السوية، فقال لهم: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: 165-166]، أي : أنسيتم نعمة الله فيما خلق لكم من متعة حلال توافق الفطرة في نكاح الزوجات، مخالفين جميع العالمين من الأنواع التي فيها ذكور وإناث، فإنها لا يوجد فيها ما يأتي الذكور، فهذا تنبيه على أن هذا الفعل الفطري مخالف للفطرة لا يقع من الحيوان العجم، فهو عمل ابتدعه ما فعله غيرهم، فقد برأ الله الذكر والأنثى وفطر كلا منهما على الميل إلى صاحبه لتحقيق حكمته ومشيبته في امتداد الحياة عن طريق النسل، الذي يتم باجتماع الذكر والأنثى، فكان هذا الميل طرفا من الناموس الكوني العام، الذي يجعل كل من في الكون وكل ما في الكون في حالة تناسق وتعاون على إنفاذ المشيئة المدبرة لهذا الوجود، فأما إتيان الذكور الذكور فلا يرمي إلى هدف، ولا يحقق غاية، ولا يتمشى مع فطرة هذا الكون وقانونه.⁽²⁾

تقنين الشذوذ الجنسي في عصرنا:

إن الغريزة الجنسية نعمة من الله جعلها الله في بني الإنسان ليتكاثر النسل وتعمر الأرض، والفطرة التي فطر الله الناس عليها أن الرجل يشتهي المرأة والمرأة تشتهي الرجل، ثم يحدد لهذه الفطرة مسارها السوي وهو الزواج، فزواج

(1) المرجع السابق (7/480)

(2) ينظر تفسير الظلال (5/2613) وتفسير التحرير والتنوير (19/179)

الرجل بالمرأة أمر فطري إنساني، وكل إنسان في قرارة نفسه هذا الميل الطبيعي، وما ذلك الشذوذ إلا خروج وانتكاس عن الفطرة.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي(1): (وللأسف في عصرنا قامت الحضارة الحديثة، التي تسودُ العالم، لتعيد من جديد عادة قوم لوط، قوم لوط جاءوا بأن يستغني الذكور بالذكور، فلم تكتفِ بهذا الحضارة الحديثة، بل جاءت باستغناء الإناث بالإناث، زادوا بالطين بلّة، والداء عِلّة، ثم جعلوا هذا أمرًا مقنّنًا، كان قوم لوط أهل قرية من القرى، مهما فعلوا لن يُؤثّر ذلك في العالم، ولكنّ الحضارة الغربية حضارة ممتدة واسعة، تُؤثّر على بلاد كثيرة في العالم، جاءت بهذا الشذوذ الجنسي، بل لم يعودوا الآن يُسمّونه شذوذًا، بل يُسمّونه مثليّة، وسمّوا هؤلاء الشاذين بالمثليين، أي الذي يستغني بمثله، الرجل يستغني بالرجل، والمرأة تستغني بالمرأة، وسنّوا قوانينَ تبيحُ هذا الأمر، وتقرّهُ وتعتبره أمرًا مباحًا، ولو أنّ الناس استجابوا لهذه النزعة الشهوانيّة لانقرضت البشريّة بعد جيل أو جيلين؛ لأنّ البشريّة لكي تبقى لا بدّ أن يظلّ الزواج الفطريّ الطبيعيّ الشرعيّ، الذي يرتبط فيه الذكر بالأنثى، أو ترتبط فيه المرأة بالرجل، هذا هو الذي يمكن أن يُنجب أولادًا، لكن حين يكتفي الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة، ستفنى البشريّة، لو استجاب الناسُ لهذه النزعة سيفنون لا مَحَالَة... فلأسف، كيف رأينا البشريّة قد ضلّت الطريق، وكيف تلوّث سلوكُ الناس، وكيف بعُدت هذه الحضارة عن منهج الأنبياء، عن منهج رُسل الله عليهم السلام.) (2)

(1) الدكتور يوسف القرضاوي (1926م- 2022) ولد بقرية صفط تراب بمدينة المحلة بمصر، تخرج من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وفي سنة 1961م أعير إلى دولة قطر، وتولى تأسيس وعمادة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، وظل عميداً لها إلى نهاية عام 1990م، وحصل على جائزة الملك فيصل العالمية بالاشتراك في الدراسات الإسلامية لعام 1413هـ، وتولى رئاسة الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ورئاسة المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، وتوفي يوم 26 سبتمبر 2022 م في الدوحة. ينظر ترجمته على موقعه الرسمي على هذا الرابط <https://2u.pw/O3D5L3> (تاريخ الزيارة 11 نوفمبر 2023)

(2) تفسير سورة الحجر للقرضاوي (143:141) باختصار يسير.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة

لوط - عليه السلام -

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول / الاستفهام.

المبحث الثاني / الجدل.

المبحث الثالث / الحوار.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة لوط عليه السلام

وقد استخدم نبي الله لوط-عليه السلام- المنهج العقلي في دعوة قومه إلى الطريق القويم وترك ما هم عليه من الفواحش والمنكرات، وخاطب عقولهم بالاستدلالات العقلية كالاستفهام والجدال، وغيرها، عسى أن يعودوا إلى الرشد والصواب.

وسوف يتناول الباحث هذه الاستدلالات العقلية من خلال ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ الاستفهام.

المبحث الثاني/ الجدال.

المبحث الثالث/ الحوار.

المبحث الأول/ الاستفهام

استعمل نبي الله لوط – عليه السلام أسلوب الاستفهام الإنكاري والتوبيخي في عدة مواضع في دعوته لقومه من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: إنكاره عليهم فعل الفاحشة.

المطلب الثالث: إنكاره عليهم تعرضهم لضيوفه.

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله:

وقد ورد هذا في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء:

142]، فقول لوط – عليه السلام لقومه: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ استفهام إنكاري، أراد به أن

ينكر ما هم عليه من الكفر بالله وإتيان الفواحش، فخاطبهم مستنكرا: ألا تتقون عذاب الله بطاعته وطاعة رسوله وترك المعاصي فتنجون من عذابه.

المطلب الثاني: إنكاره عليهم فعل الفاحشة:

وقد ورد هذا في عدة مواضع في القرآن الكريم:

الموضع الأول: في قوله تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: 80-81] ، فالاستفهام في (أتأتون) إنكاري توبيخي، أي: أتفعلون تلك الفعل المتناهية في القبح، المتמادية في الشر والسوء، وقوله: ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ بعد أن أنكر عليهم إتيان الفاحشة، وبخهم بأنهم أحدثوها، ولم تكن معروفة في البشر فقد سئوا سنة سيئة للفاحشين في ذلك. (1)

الموضع الثاني: في قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: 165-166]، والاستفهام في قوله: (أتأتون) للإنكار والتوبيخ، والمعنى: (أتأتون الذكران مخالفين جميع العالمين من الأنواع التي فيها ذكور وإناث فإنها لا يوجد فيها ما يأتي الذكور؟ فهذا تنبيه على أن هذا الفعل الفظيع مخالف للفطرة لا يقع من الحيوان العجم فهو عمل ابتدعه ما فعله غيرهم). (2)

الموضع الثالث: في قوله تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: 54-55]، فقوله: (أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أينكم لتأتون الرجال شهوة) الاستفهام هنا أيضا للإنكار والتوبيخ، وقوله (وأنتم تبصرون) أي: تفعلون ذلك علنا يبصر بعضكم بعضا، فإن التظاهر بالمعصية معصية؛ لأنه يدل على استحسانها وذلك استخفاف بالنواهي. (3)

(1) ينظر تفسير (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (3/244)، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت

(2) تفسير التحرير والتنوير (19/179)

(3) ينظر المرجع السابق (19/288)

المطلب الثالث: إنكاره عليهم تعرضهم لضيوفه:

وقد ورد هذا في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: 78] والاستفهام هنا إنكاري توبيخي، وسببه: أنه لما علم قوم لوط بوجود أضياف عنده ذهبوا بكل صلافة يطلبون منه أن يخلي بينهم وبين ضيوفه ﴿وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: 78]، فإهانة الضيف مسبة لا يفعلها إلا أهل السفاهة، فأنكر عليهم لوط -عليه السلام- تمالؤهم على الباطل وانعدام رجل رشيد من بينهم، وهذا إغراء لهم على التعقل ليظهر فيهم من يتفطن إلى فساد ما هم فيه فينهاهم، فإن ظهور الرشيد في الفئة الضالة يفتح باب الرشاد لهم، وبالعكس تمالؤهم على الباطل يزيدهم ضراوة به. (1)

المبحث الثاني/ الجدل

استعمل نبي الله لوط -عليه السلام- هذا الأسلوب الدعوي في دعوته لرد قومه إلى الحق ودحض الشبهات التي دفعتهم إلى التمسك بالفاحشة التي كانوا عليها، وأهم الشبهات التي قالها قوم لوط -عليه السلام- يستعرضها الباحث في مطلبين:

المطلب الأول: قولهم عن آل لوط: "إنهم أناس يتطهرون".

المطلب الثاني: رفضهم الزواج من النساء.

المطلب الأول: قولهم عن آل لوط: إنهم أناس يتطهرون:

لما دعاهم لوط -عليه السلام- إلى ترك ما يفعلون من إتيان الرجال شهوة من دون النساء ما كان جوابهم إلا أن قالوا: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: 56]، و: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء: 167]، هذا هو جواب القوم الحكم بنفي آل لوط من قريتهم!! لماذا؟ ما هي جريمتهم؟ ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ فيا للعجب! أو من يتطهر يخرج من القرية إخراجاً، ليخلو الجو لهم لفعل الفاحشة كما يشاؤون دون وخزة ضمير أو تأنيب من أحد؟

(1) ينظر تفسير الضلال (4/2149) وتفسير التحرير والتنوير (12/129)

ماذا قال لهم لوط؟

قال: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء: 168]، أي: (المبغضين، لا أحبه ولا أَرْضِي به؛ فأنا بريء منكم، ثم دعا الله عليهم قال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: 169] (1)

المطلب الثاني: رفضهم الزواج من النساء:

لما جاءت الملائكة لوطا في صورة بشرية، وعلم قومه بخبرهم جاؤوا إليه مسرعين كما ذكر الله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: 78-79]، والمعنى: (أن لوطا- عليه السلام- عندما رأى تدافعهم نحو بيته لارتكاب الفاحشة التي ما سبقهم بها من أحد من العالمين، قال لهم: برجاء ورفق يا قوم هؤلاء نساؤكم اللاتي بمنزلة بناتي ارجعوا إليهن فاقضوا شهوتكم معهن فهن أطهر لكم نفسيا وحسيا من التلوث.) (2)

ولكن القوم رفضوا وقالوا في خبث شديد ووقاحة (لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) لقد علمت، أننا لا رغبة لنا في النساء، وإنك على علم برغبتنا في الرجال الذين نزلوا ضيوفا عندك.

شذوذ قوم لوط عن الفطرة:

إن قصة هؤلاء القوم تكشف لنا (عن لون خاص من انحراف الفطرة؛ وقد شاءت سنة الله-تبارك وتعالى- أن يخلق البشر ذكرا وأنثى، وأن يجعلهما شقين للنفس الواحدة تتكامل بهما؛ وأن يتم الامتداد في هذا الجنس عن طريق النسل؛ وأن يكون النسل من التقاء ذكر وأنثى.. ومن ثم ركبهما وفق هذه السنة صالحين للالتقاء، صالحين للنسل عن طريق هذا الالتقاء، مجهزين عضويا ونفسيا لهذا

(1) تفسير ابن كثير (6/158)

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي (7/248)

الالتقاء.. وجعل اللذة التي ينالها عندئذ عميقة، والرغبة في إتيانها أصيلة، وذلك لضمان أن يتلاقيا فيحققا مشيئة الله في امتداد الحياة؛ ثم لتكون هذه الرغبة الأصيلة وتلك اللذة العميقة دافعا في مقابل المتاعب التي يلقيانها بعد ذلك في الذرية من حمل ووضع ورضاعة، ومن نفقة وتربية وكفالة.. ثم لتكون كذلك ضمانا لبقائهما ملتصقين في أسرة، تكفل الأطفال الناشئين، الذين تطول فترة حضانتهم أكثر من أطفال الحيوان، ويحتاجون إلى رعاية أطول من الجيل القديم!

هذه هي سنة الله التي يتصل إدراكها والعمل بمقتضاها بالاعتقاد في الله وحكمته ولطف تدبيره وتقديره. ومن ثم يكون الانحراف عنها متصلا بالانحراف عن العقيدة، وعن منهج الله للحياة. (1)

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "فهذا العمل الخبيث انتكاس في الفطرة، وانغماس في حماة القذارة، وإفساد للرجولة، وجناية على حق الأنوثة، وانتشار هذه الخطيئة القذرة في جماعة، يفسد عليهم حياتهم ويجعلهم عبيدا لها، وينسيهم كل خلق وعرف وذوق." (2)

ويقول: (والإنسان حينما يدمن شيئا ويداوم عليه يفقد عقله، يفقد رشده، يفقد إرادته، يفقد إنسانيته، فهو لاء فقدوا إنسانيتهم، فأصبحوا كالأنعام، بل هم أضل من الأنعام سبيلا، فالبهائم لا تفعل ما يفعل هؤلاء، لا نجد ثورا يطاء ثورا، ولا كلبا يطاء كلبا. لا ثم لا، الكلب لا يطاء إلا كلبة، والثور لا يطاء إلا بقرة، لكن هؤلاء أصبحوا كالبهائم، بل أضل من الأنعام سبيلا.) (3)

وبناء على ذلك، وحتى لا يضيع الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بين الناس إذا رضوا بهذا الفعل بلا إنكار ولا زجر، فإن واجب الدعاة في واقعنا المعاصر تذكير الناس بالفطرة التي فطر الله الناس عليها، وصون نعمة الله وتوظيفها في مكانها الصحيح وهو الزواج، وبيان أن الشذوذ الجنسي جريمة نكراء تؤدي إلى سخط الله، وتسبب العديد من الأمراض الفتاكة، وتسبب قلة الحياء

(1) ينظر تفسير الظلال (3/1315)

(2) الحلال والحرام للدكتور يوسف القرضاوي ص (151) ط مكتبة وهبة، الطبعة الثانية والعشرون (1418هـ - 1997)

(3) تفسير سورة الحجر للقرضاوي ص (138)

وانحطاط الأخلاق، وتأخر الزواج وانتشار ظاهرة العنوسة عند الفتيات بسبب انتشار هذه الفاحشة المحرمة.

المبحث الثالث/ الحوار

استعمل نبي الله لوط- عليه السلام - أسلوب الحوار مع قومه، ليبين لهم بطلان ما كانوا يأتون من الفاحشة ومجاهرتهم بها، وتحذيرهم من غضب الله ومقتنه.

وسيتناول الباحث هذا الأسلوب في مطلبين:

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة لوط - عليه السلام.

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار.

المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة لوط - عليه السلام:

1- بدأ نبي الله لوط - عليه السلام - حوار ه مع قومه بالدعوة إلى تقوى الله؛ فهي وصية الله للأولين والآخرين، وهي مهمة الدعاة الأولى، فقال لهم: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الشعراء: 161-163]، ومن لوازم تقوى الله فعل أوامره واجتناب نواهيه، وكلامه هذا بمثابة تمهيد لحديثه معهم عن الفاحشة التي كانوا يقعون فيها.

2- ثم جاء استنكاره عليهم إتيان الفاحشة التي تفتشت فيهم بأسلوب الاستفهام التوبيخي مستنكرا شذوذهم عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهي اشتهاؤ الرجل للمرأة، لأن هذا مظنة الحرث والولد، قال تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:

[80

3- ثم أخبرهم - شأن جميع إخوانه الأنبياء عليهم السلام- أنه لا يسألهم أجراً على دعوته لهم إلى الحق المبين، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 164]، فليس من وراء دعوتي لكم منفعة دنيوية أو سيادة ووجاهة، إنما أدعوكم مخلصاً لوجه الله.

4- كان رد فعل قومه يدل على خبثهم وسوء طويتهم ؛ فهددوا لوطا أنهم سيقومون بنفيه هو وعائلته، وهو ما عبرت عنه الآيات الكريمة: ﴿وَمَا كَانَ

جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: 82]، فبدلاً من حوار جاد ونقاش عاقل مع نبيهم لم يجدوا أمام قوة الحق الذي جاءهم به رسوله إلا أن يستعملوا حق القوة، بإبعاد آل لوط من قريتهم، والتهمة ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾

5- كان رد لوط -عليه السلام - عليهم بإظهار كراهته وبغضه لهذا العمل الذي يفعلونه، ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِّنَ الْفَالِغِينَ﴾ [الشعراء: 168] ثم دعا ربه أن ينجيه

من القوم الظالمين، فقال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: 169]

6- حينما جاء القوم مسرعين يراودوه عن ضيفه - وكانوا ملائكة في صورة بشرية- حاول لوط -عليه السلام - أن يصرفهم عن الفاحشة التي يرتكبونها ﴿قَالَ يَتَقَوْمٌ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَظْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾

أليس منكم رجلٌ رشيدٌ﴾ [هود: 78]، و(البنات) في الآية المقصود به نساء قومه- كما مر بنا-، فاعتذروا إليه بأنهم لا يشتهون النساء لأن فطرتهم منكوسة، فهنا أحس لوط بحرج كبير، ماذا يفعل؟! وهو لا يستطيع ردهم ولا منعهم لكثرتهم، وقد ملكتهم شهواتهم فصاروا كالبهائم تقودهم غرائزهم لا عقل يميز ولا بقية حياء تمنع!!! ورفض القوم أية بدائل يطرحها عليهم لوط، وهذا هو حال الفطرة إذا انتكست، وارتكست في أحوال الرذيلة؛ فالفاحشة التي يمارسونها هي الحق- في زعمهم- والطهر هو الباطل!!

7- هنا تمنى لوط - عليه السلام - لو أن له قوة باطشة، تردع قومه عن منكرهم،

وتردهم عن باطلهم فقال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: 80] وجواب (لو) محذوف لدلالة الكلام عليه، والتقدير: لمنعتكم ولبالغت في دفعكم. (1)

(1) ينظر تفسير الرازي (18/380)

وقد ورد في الحديث: (يرحم الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف، ثم أتاني الداعي لأجبتة) (1)

المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار

1- بدأ نبي الله لوط -عليه السلام- الحوار معهم بالدعوة إلى تقوى الله- عز وجل- ليمهد لإنكاره عليهم ما يفعلون من منكرات.

2- جاء الحوار معهم باستعمال أسلوب الاستفهام في أكثر من موضع (ألا تتقون) و(أتأتون الفاحشة) و(أننكم لتأتون الرجال) و(أليس منكم رجل) إنكاراً لما يفعلون ومحاولة منه لإزاحة الغشاوة عن قلوبهم وتحفيزهم للتفكير والتأمل في سوء ما يفعلون.

3- لفت أنظارهم إلى أن عملهم هذا لم تعرفه البشرية من قبل فهو انتكاسة للفطرة التي جعلها الله في جميع عبادته، وهذا يبطل لأي تعليل يبررون به فعلتهم، فهم نشاز بين العالمين جميعاً.

4- التأكيد على صدقه بأنه لا منفعة دنيوية له ترجى من وراء نصحه، إنما ينصحهم لوجه الله، لا يريد على دعوته أجراً.

5- بين نبي الله لوط -عليه السلام- في حوارهِ أنه لا يكره ذواتهم إنما يكره معصيتهم وأفعالهم القبيحة، لأنها انتكاس للفطرة.

6- كان موقف نبي الله لوط -عليه السلام- حرجاً جداً؛ عندما جاءوا يراودونه عن أضيافه، فذكرهم بأن الزواج من بنات القرية أظهر وأطيب، وأن موافقته لهم على طلبهم هو خزي له في أضيافه الغرباء ماذا يقول لهم؟ ثم أراد منهم أن يفكروا ولو لمرة واحدة بعقل راشد لا تقوده شهوته (أليس منكم رجل رشيد؟)

7- كان حوار نبي الله لوط -عليه السلام- مع قومه عقلاً إلى حد كبير محاولاً أن يردهم إلى الفطرة، وكان حليماً صبوراً عليهم، لكن القوم قادتهم فطرتهم المنكوسة إلى الهلاك، واستحقوا غضب الله عليهم.

(1) الحديث رواه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء، باب: قول الله تعالى: {لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين} [يوسف: 7] حديث رقم (3207)، ورواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة حديث رقم (238)

الفصل الثالث

المنهج الحسي في رسالة

لوط - عليه السلام -

وفيه مبحثان:

المبحث الأول / هل كان للوط - عليه

السلام - معجزة؟

المبحث الثاني / طمس أعين القوم

الذين راودوه عن ضيفه.

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة لوط - عليه السلام-

وفيه مبحثان:

المبحث الأول / هل كان لوط - عليه السلام - معجزة؟

المبحث الثاني / طمس أعين القوم الذين راودوه عن ضيفه.

المبحث الأول / هل كان لوط - عليه السلام - معجزة؟

لم يبين لنا القرآن معجزة واضحة لنبي الله لوط - عليه السلام - فقد دعا قومه لتقوى الله بطاعته وطاعة رسوله وهجران الفواحش، ولكن لم يستجيبوا حتى نجاه الله منهم.

المبحث الثاني / طمس أعين القوم الذين راودوه عن ضيفه.

ولو تأملنا الآيات في سورة القمر والتي تبين كيف واجهت الملائكة صلف القوم وغرورهم وجرأتهم مع نبي الله لوط - عليه السلام - بطلبهم فعل الفاحشة مع ضيفه لرأينا أن الله أظهر لهم بقدرته آية حسية، وهي طمس أعينهم لكن القوم كما أعمى الله أبصارهم عميت بصائرهم فهم في غيهم يعمهون، فطمس الله أعينهم فعميت فلم يعودوا يرون شيئاً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ

فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾

فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرٌ ﴿٣٦﴾ [القمر: 37-39]

الباب الخامس

المنهج الدعوية في رسالة

شعيب - عليه السلام -

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول / المنهج العاطفي.

الفصل الثاني / المنهج العقلي.

الفصل الثالث / المنهج الحسي.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة

شعيب - عليه السلام -

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول / الرفق وإظهار

العاطفة.

المبحث الثاني / الترغيب.

المبحث الثالث / الترهيب.

المبحث الرابع / التذكير بنعم الله.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة شعيب عليه السلام

عند تتبع الآيات القرآنية التي ذكرت قصة نبي الله شعيب – عليه السلام- نجد أنه قد استخدم المنهج العاطفي في دعوته لقومه يتناولها الباحث من خلال أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني/ الترغيب.

المبحث الثالث/ الترهيب.

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة

وقد برز هذا الأسلوب في دعوة شعيب – عليه السلام- لقومه في عدة مواطن منها يتناولها الباحث من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوهم.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)

المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه.

المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوهم:

وقد ورد هذا في قوله تعالى: ﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: 85]، فكلمة (أخاهم) تعني أخوة النسب لا الدين، فنبي الله شعيب رجل من قومه معروف لديهم، واستشعار القوم صلته بهم أدعى لقبول دعوته والاستماع إليه.

هل أصحاب الأيكة هم أهل مدين؟

ورد ذكر نبي الله شعيب – عليه السلام- في عدة مواضع من القرآن في سور الأعراف وهود والعنكبوت بلفظة: (أخاهم) قال تعالى: ﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾

[الأعراف: 85، هود: 84، العنكبوت: 36]

أما موضع الشعراء فنلاحظ فيه أمرين:

الأول: جاء بدون ذكر (أخاهم)

الثاني: المواضع الثلاثة جاء فيها أنه أرسل لمدين أما موضع الشعراء فقد ذكر أنه أرسل لأصحاب الأيكة.

فهل أصحاب الأيكة هم أهل مدين أم هم قوم آخرون أرسل إليهم شعيب أيضا؟

قولان للعلماء:

القول الأول: أن أصحاب الأيكة قوم آخرون ساكنون في جوار مدين، فمدين قوم شعيب وأصحاب الأيكة سكان البادية، أرسل الله إليهما شعيبا، وقالوا إن الذي يشهد لذلك ويرجحه أن القرآن لما ذكر هذه القصة لأهل مدين وصف شعيبا بأنه أخوهم، ولما ذكرها لأصحاب الأيكة لم يصف شعيبا بأنه أخوهم؛ إذ لم يكن شعيب نسيبا، ولا صهرا لأصحاب الأيكة، ومما يرجح ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ

أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لِيَإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: 78-79] فجعل ضميرهم مثنى باعتبار أنهم مجموع قبيلتين: مدين وأصحاب الأيكة. (1)

القول الثاني: أهل مدين هم أصحاب الأيكة، وكان نبي الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يقل هنا أخوهم شعيب؛ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة، وقيل: شجر ملتف كالغيضة، كانوا يعبدونها؛ فلهذا لما قال: كذب أصحاب الأيكة المرسلين، لم يقل: "إذ قال لهم أخوهم شعيب"، وإنما قال: ﴿إذ قال لهم شعيب﴾، فقطع نسبة الأخوة بينهم؛ للمعنى الذي نسبوا إليه، وإن كان أخاهم نسبا. (2)

إذن فمدين اسم القبيلة، والأيكة اسم شجرة أو شجر كانوا يعبدونه.

المناقشة والترجيح:

يرى الباحث أن القول الثاني هو الأوجه، ويدل على صحته ما يلي:

(1) ينظر تفسير الزمخشري (3/332) وتفسير القرطبي (13/135)، وتفسير التحرير والتنوير (19/183)، وأغلب المفسرين على أن ضمير التثنية في قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُمَا لِيَإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: 79] يعود على قوم لوط وأصحاب الأيكة.

(2) ينظر تفسير ابن جرير الطبري (19/390) وتفسير ابن كثير (6/158)

1- ورد في القرآن أن أهل مدين كانوا يدينون بما يدين به أصحاب الأيكة أيضاً، ونبي الله شعيب – عليه السلام- قال لأهل مدين ﴿يَقُومُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: 85] ، وقال لأصحاب الأيكة أيضاً ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ [الشعراء: 181-183]

2- القول بأن شعيب – عليه السلام بعث لأمتين وليس أمة واحدة يخالف ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل الأنبياء قبله كانوا يبعثون إلى أقوامهم خاصة وخصه الله بأن أرسله للناس كافة، ففي الحديث عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة) (1)

فتبين من هذا أن أهل مدين وأصحاب الأيكة شيء واحد، وأنهم كانوا منغمسين في الشرك بالله، وكانوا يعيشون على التجارة التي كانوا يغشون فيها بإنقاص المكيال والميزان.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)

وقد تكرر نداء شعيب -عليه السلام - على قومه بقوله: (يا قوم) عدة مرات كما قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ

(1) رواه البخاري كتاب أبواب المساجد، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا) حديث رقم: (427) وأخرجه مسلم في أول كتاب المساجد ومواضع الصلاة (حديث رقم 521)

غَيْرُهُ ﴿الأعراف: 85﴾، وهذا النداء إظهار لشفقته عليهم وبيان حرصه على هدايتهم، وهذا ادعى لقبول قوله.

المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه:

فقد بين النبي الله شعيب - عليه السلام - لقومه خوفه عليهم إن استمروا على شركهم وبخسهم الناس حقوقهم، فقال لهم: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَانُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود: 84]، فلما نهاهم شعيب - عليه السلام - عن إنقاص المكيال والميزان قال معللاً نهيه لهم: (إني أراكم بخير يريد: بثروة واسعة تغنيكم عن التطفيف، أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تقفلون، أو أراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه.) (1)

فمعنى كلامه إنكم لستم مضطرين لهذا الغش، فقد آتاكم الله ثروة واسعة وحالة رخاء تغنيكم عن ذلك، ثم علل نهيه بسبب آخر وهو أن هذا الإفساد موجب لعذاب الله في الآخرة.

المبحث الثاني/ الترغيب

رغب النبي الله شعيب - عليه السلام - قومه في الإيمان بالله، ونبذ ما هم عليه من عبادة غيره وسلك معهم أسلوب الترغيب والذي سيتناوله الباحث من خلال مطلبين:

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله.

المطلب الثاني: حثهم على الاستغفار والتوبة.

المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله:

وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: 36]، فهنا يخبر تعالى

(1) تفسير الزمخشري (2/417)

عن نبيه شعيب -عليه السلام-، أنه أُنذر قومه، فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وأن تكون عندهم رغبة في اليوم الآخر ولقاء الله فيخافوا عذابه ويرجون رحمته، ثم نهاهم عن العيث في الأرض بالفساد، وهو السعي فيها والبغي على أهلها. (1)

المطلب الثاني: حثهم على الاستغفار والتوبة:

وترغيباً لقومه في طاعة الله والعودة إليه قال شعيب – عليه السلام- لقومه:
﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: 90]

فقوله: {واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه} أي: (استغفروه من سالف الذنوب، وتوبوا فيما تستقبلونه من الأعمال السيئة، {إن ربي رحيم ودود} أي: لمن تاب وأناب) (2)

والفرق بين الاستغفار والتوبة: أن الاستغفار طلب المغفرة من الله بالدعاء، ويتبعه التوبة بالندم على ما وقع من معاص، والإقلاع عنها، والعزيمة ألا يعود إليها، (3)

فطلب شعيب - عليه السلام - من قومه أن يسألوا الله المغفرة من الذنوب، ويتوبوا إلى الله بالندم على ما فعلوا، وترك الذنوب التي اقترفوها من الشرك بالله والغش بإنقاص المكيال والميزان، وبخس الناس حقهم، وبشرهم بأن الله رحيم ودود يرحم من تاب إليه وأناب.

(وجملة إن ربي رحيم ودود تعليل الأمر باستغفاره والتوبة إليه، وهو تعليل لما يقتضيه الأمر من رجاء العفو عنهم إذا استغفروا وتابوا) (4)

والسر في أن شعيب – عليه السلام- قرن بين اسمي الرحيم والودود في قوله {إن ربي رحيم ودود} هو أن الرجل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبه، وكذلك

(1) ينظر تفسير ابن كثير (6/277)

(2) تفسير ابن كثير (4/346)

(3) ينظر "معجم الفروق اللغوية" اللغوية لأبي هلال الحسن العسكري، (ص 235) تحقيق محمد إبراهيم سليم، ط دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر

(4) تفسير التحرير والتنوير (12/147)

قد يرحم من لا يحبه، والرب تعالى يغفر لعبده إذا تاب إليه، ويرحمه ويحبه، مع ذلك فإنه يحب التوابين، وإذا تاب إليه عبده أحبه، ولو كان منه ما كان. (1)

المبحث الثالث / الترهيب

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الترهيب من عذاب يوم محيط.

المطلب الثاني: الترهيب من عاقبة تكذيب رسولهم.

المطلب الأول: الترهيب من عذاب يوم محيط:

أراد نبي الله شعيب – عليه السلام – أن يذكر قومه بنعم الله عليهم ويخوفهم من عاقبة إنقاص المكيال والميزان وبخس الناس أشياءهم فقال لهم كما ذكر الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ

يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود: 84]

فقوله: (واني أخاف عليكم عذاب يوم محيط) ترهيب من وقوع عقاب الله بهم، إن هم استمروا على ما هم فيه من المعاصي والفساد، والعذاب هو عذاب الاستئصال في الدنيا كما في حق سائر الأنبياء، أو هو عذاب الآخرة، لأنه اليوم الذي نصب لإحاطة العذاب بالمعذبين، والأقرب دخول كل عذاب فيه، وهذا تحذير من عواقب كفران النعمة وعصيان واهبها، ووصف شعيب – عليه السلام – العذاب بأنه محيط القصد منه الترهيب من عذاب يحيط بهم بحيث لا يخرج منه أحد، فيحيط بهم العذاب كإحاطة الدائرة بما في داخلها، فينالهم من كل وجه، وذلك مبالغة في الوعيد. (2)

(1) ينظر «التبيان في أيمان القرآن» للإمام ابن القيم ص145، بتحقيق عبد الله بن سالم البطاطي، ط دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) الطبعة: الرابعة، 1440 هـ - 2019 م

(2) ينظر تفسير مفاتيح الغيب للرازي (18/384)

المطلب الثاني: الترهيب من عاقبة تكذيب رسولهم:

بعد أن دعا شعيب - عليه السلام - قومه وبين ما هم عليه من ضلالة قال لهم مرها ومتوعدا: ﴿وَإِنْ كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: 87]

أي: اصبروا فتربصوا وانتظروا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا، بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم، وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم، وهو أيضا عظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من أذى المشركين إلى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ لأن حكمه حق وعدل، لا يخاف فيه الحيف. (1)

وهذا صدر عن ثقة شعيب - عليه السلام - بأن الله سيحكم بينه وبين قومه استنادا لوعد الله إياه بالنصر على قومه، أو لعلمه بسنة الله في رسله ومن كذبهم بإخبار الله تعالى إياه بذلك، ولولا ذلك لجاز أن يتأخر الحكم بين الفريقين إلى يوم الحساب، وجملة: (وهو خير الحاكمين) تذييل بالثناء على الله بأن حكمه عدل محض لا يحتمل الظلم عمدا ولا خطأ، وغيره من الحاكمين يقع منه أحد الأمرين أو كلاهما. (2)

وفي سورة هود قال لهم شعيب: ﴿وَيَقَوْمٌ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: 93]، أي: (اعملوا كل ما في إمكانكم عمله معي، وابدلوا في تهديدي ووعيدي ما شئتم، فإن ذلك لن يضيرني، وكيف يضيرني وأنا المتوكل على الله المعتمد على عونه ورعايته...؟! وإني سأقابل عملكم السيئ هذا بعمل آخر حسن من جانبي، وهو الدعوة إلى وحدانية الله- تعالى- وإلى مكارم الأخلاق.

وقوله: (سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ) استئناف مؤكد لتهديده لهم، أي: اعملوا ما شئتم وأنا سأعمل ما شئتم فإنكم بعد ذلك سوف تعلمون من منا الذي ينزل به عذاب يخزيه ويفضحه ويهينه، ومن منا الذي هو

(1) ينظر تفسير الزمخشري (2/128)

(2) ينظر تفسير التحرير والتنوير (8/250 ب)

كاذب في قوله وعمله، وَارْتَقِبُوا عاقبة تكذيبكم للحق إِيَّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ أَي: إني معكم منتظر ومراقب لما يفعله الله- تعالى- بكم. (1)

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التذكير بما وسع الله عليهم من الخيرات والنعم.

المطلب الثاني: التذكير بنعمة الخلق من العدم.

المطلب الثالث: التذكير بتكثير الله لهم.

المطلب الأول: التذكير بما وسع الله عليهم من الخيرات والنعم.

لما أمر شعيب - عليه السلام - قومه أن يوفوا الكيل والميزان بالقسط ونهاهم عن بخس الناس أشياءهم ذكرهم بنعمة الله عليهم فقال: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [هود: 86] رزق الله خير لكم من بخسكم الناس، وما يفضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس. (2)

فأنتم لا تفعلون ذلك من فقر وعوز، إنما أنتم في خير ونعمة من الله تغنيكم عن التطفيف، فصونوا نعمة الله بشكرها وترك الغش في معاملتكم للناس، وما يبقى لكم من حلال فيه بركة أفضل من حرام محقوق البركة.

إن الغش في المكيال والميزان نوع من أنواع الفساد في الأرض ويؤدي إلى خلل اقتصادي كبير، ويؤدي إلى انهيار الأسواق، وكساد التجارة، ويفقد الناس الثقة والأمان فيحجمون عن الشراء، فالتاجر الصادق ينال السعادة والراحة، برواج تجارته وأقبال الناس عليه، والغش قد يؤدي إلى الثراء السريع، ولكن يؤدي إلى الخسران في الدنيا والآخرة.

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (7/264)

(2) ينظر تفسير ابن كثير (4/343)

المطلب الثاني: التذكير بنعمة الخلق من العدم:

ومما ذكرهم به شعيب - عليه السلام - ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: 184]، والجبلة: (الجماعة الكثيرة من الناس الذين كانوا من قبل قوم شعيب. والمقصود بهم أولئك الذين كانوا ذوي قوة كأنها الجبال في صلابتها، كقوم هود وأمثالهم ممن اغتروا بقوتهم، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.) (1)

أي خافوا عقاب الله بأن تجعلوا بينكم وبينه وقاية بالعمل الصالح وترك المعاصي فهو سبحانه الذي خلقكم وخلق الأمم قبلكم من العدم - وأنعم عليكم بنعمة الوجود، وفي الآية تذكير بنعمة الله وترهيب من إهلاك الله لهم كما أهلك من قبلهم من الأمم الظالمة.

المطلب الثالث: التذكير بتكثير الله لهم:

وذكرهم شعيب عليه السلام- أيضا بأنهم كانوا قلة مستضعفين فصاروا أمة قوية ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمُ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 86]

أي: (اذكروا ذلك الزمن الذي كنتم فيه قليلي العدد فكثركم الله بأن جعلكم موفوري العدد، وكنتم في قلة من الأموال فأفاضها الله بين أيديكم، فمن الواجب عليكم أن تشكروه على هذه النعم، وأن تفردوه بالعبادة والطاعة.) (2)

وفي هذا تعريض لقومه بأن عاقبة ما هم عليه نزع هذه النعم منهم، فقد تصيبهم آفة فتفني أكثرهم، أو تكسد تجارتهم ويذهب مالهم؛ إن هم أصروا على ما هم عليه من الكفر بالله، وإنقاص المكيال والميزان، ونصحهم أن يتأملوا كيف كان عاقبة المفسدين من قبل فقد أهلكهم الله.

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (10/275)

(2) المرجع السابق (5/322)

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة

شعيب - عليه السلام -

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ الاستفهام.

المبحث الثاني/ الجدل.

المبحث الثالث/ الحوار.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة شعيب عليه السلام

وقد استخدم نبي الله شعيب- عليه السلام- المنهج العقلي في دعوة قومه بالعديد من فنون القول، يستعرضها الباحث من خلال ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول / الاستفهام.

المبحث الثاني/ الجدل.

المبحث الثالث / الحوار.

المبحث الأول / الاستفهام

وقد استعمل نبي الله شعيب – عليه السلام أسلوب الاستفهام الاستنكاري في عدة مواضع في دعوته لقومه، يتعرض لها الباحث في ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

المطلب الثاني: أو لو كنا كارهين؟

المطلب الثالث: أرهطي أعز عليكم من الله؟

المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.

وقد ورد هذا في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: 177]، فقوله: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ استفهام إنكاري، وكأنه يقول لهم: كيف بكم وقد تماديتم في الشرك بعبادة غير الله وغشكم في الكيل والميزان، أليس لهذه المعاصي من آخر فنتنتهون وتتقون الله.

المطلب الثاني: أو لو كنا كارهين؟

وقد ورد هذا الاستفهام في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف: 88] واجه الملاء المستكبرون شعيبا والمؤمنين معه بتهديدهم بالنفي من قريتهم أو العودة إلى ملتهم فقال لهم شعيب – عليه السلام- متعجبا

مستنكرا: (أَوْلُو كُنَّا كَارِهِينَ) أي: (أتجبروننا على العودة إلى ملتكم حتى ولو كنا كارهين لها، لا اعتقادنا أنها باطلة وقيحة ومنافية للعقول السليمة والأخلاق المستقيمة لا لن نعود إليها بأي حال من الأحوال، فالهمزة لإنكار الوقوع ونفيه، والتعجيب من أحوالهم الغريبة حيث جهلوا أن الدخول في العقائد اختياري محض ولا ينفع فيه الإجبار أو الإكراه.) (1)

المطلب الثالث: أرهطي أعز عليكم من الله؟

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرْهَطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيْطٌ﴾ [هود: 92] لما دعا شعيب – عليه السلام – قومه، وأقام عليهم الحجة ورد شبهاتهم قالوا له: ﴿قَالُوا يَشْعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيْرًا مِّمَّا تَقُوْلُ وَإِنَّا لَنَرْنَكَ فِينَا ضَعِيْفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزِيْنٌ﴾ [هود: 91]، فالقوم يسمعون كلامه، ولكنهم لم يقبلوا قوله، بل وألحوا إلى إيذائه وقتله بقولهم: (وَإِنَّا لَنَرْنَكَ فِينَا ضَعِيْفًا)، وما يمنعهم من ذلك إلا رهطه، وكلامهم هذا يبين ما غلب على القوم من عناد ومكابرة وعدم قبول للحق بعد أن أقام عليهم نبيهم شعيب – عليه السلام – الحجة فقال لهم مستنكرا: (قَالَ يَقَوْمِ أَرْهَطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيْطٌ) [هود: 92]

فقوله: (يَقَوْمِ أَرْهَطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ) استفهام إنكاري، أي: (أنتركوني لأجل قومي، ولا تتركوني إعظاما لجنا ب الله أن تنالوا نبيه بمساءة، وقد اتخذتم جانب الله (وراءكم ظهريا) أي: نبذتموه خلفكم، لا تطيعونه ولا تعظمونه، (إن ربي بما تعملون محيط) أي: هو يعلم جميع أعمالكم وسيجزيكم بها.) (2)

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (5/326)

(2) تفسير ابن كثير (4/347)

المبحث الثاني/ الجدل

وقد استعمل نبي الله شعيب - عليه السلام- هذا الأسلوب الدعوي لإثبات صحة الحق الذي جاء به، ورد الشبهات التي قالها الملأ من قومه وبين القرآن الكريم ذلك في عدة مواضع يتعرض لها الباحث في ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: استنكار ما يأمرهم به من التوحيد، والأمانة وعدم الغش والتطيف.

المطلب الثاني: ادعائهم أن نبيهم من المسحرين وأنه بشر مثلهم.

المطلب الثالث: التمسك بملة الكفر والتهديد بالنفي.

المطلب الرابع: ادعائهم عدم فهم كلامه وأنه فيهم ضعيف.

المطلب الأول: استنكار ما يأمرهم به من التوحيد، والأمانة وعدم الغش والتطيف:

لما دعا شعيب - عليه السلام- قومه إلى عبادة الله وحده وترك ما هم عليه من فساد ببخس الناس أشياءهم وإنقاص المكيال والميزان؛ ما كان من القوم إلا أن قالوا متهكمين على نبيهم: ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: 87]

أمرهم شعيب - عليه السلام - بشيئين:

(بالتوحيد وترك البخس، فالقوم أنكروا عليه أمره بهذين النوعين من الطاعة، فقوله: ﴿أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾ إشارة إلى أنه أمرهم بالتوحيد وقوله: ﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ إشارة إلى أنه أمرهم بترك البخس.

أما الأول: فقد أشاروا فيه إلى التمسك بطريقة التقليد؛ لأنهم استبعدوا منه أن يأمرهم بترك عبادة ما كان يعبد آباؤهم، يعني الطريقة التي أخذناها من آباؤنا وأسلافنا كيف نتركها، وذلك تمسك بمحض التقليد.

ولفظ الصلاة المراد منه الدين والإيمان؛ لأن الصلاة أظهر شعار الدين، فجعلوا ذكر الصلاة كناية عن الدين، فقصدا بقولهم: (أصلاتك تأمرك) السخرية. (1)

(وجملة «إنك لأنك الحليم الرشيد» زيادة منهم في السخرية منه- عليه السلام- وفي التهكم عليه، فكأنهم- قبحهم الله- يقولون له: كيف تأمرنا بترك عبادة الأصنام، وبترك النقص في الكيل والميزان، مع علمك اليقيني بأن هذين الأمرين قد بنينا عليهما حياتنا، ومع زعمك لنا بأنك أنت الحليم الذي يتأني ويتروى في أحكامه، الرشيد الذي يرشد غيره إلى ما ينفعه؟ إن هذين الوصفين لا يليقان بك، ما دمت تأمرنا بذلك، وإنما اللائق بك أضدادهما، أي الجهالة والسفه والعجلة في الأحكام.) (2)

رد شعيب - عليه السلام - على هذه الشبهة:

وقد رد شعيب - عليه السلام - على قومه بقوله: ﴿قَالَ يَقَوْمٌ أَرَعَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُمُ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88]، يقول شعيب - عليه السلام - يا قوم أخبروني إن كنت على بيعة من ربي ماذا ينجيكم من عاقبة تكذبي، وهو تحذير لهم على فرض احتمال أن يكون صادقا، أي فالحزم أن تأخذوا بهذا الاحتمال، أو فالحزم أن تنظروا في كنه ما نهيتكم عنه لتعلموا أنه لصلاحكم، وما أريد مما نهيتكم عنه أن أمنعكم أفعالا وأنا أفعالها، أي لم أكن لأنهاكم عن شيء وأنا أفعله، ففي هذا إظهار أن ما نهاهم عنه ينهى أيضا نفسه عنه، وفي هذا تنبيه لهم على ما في النهي من المصلحة، وعلى أن شأنه ليس شأن الجبابرة الذين ينهون عن أعمال وهم يأتونها؛ لأن مثل ذلك ينبئ بعدم النصح فيما يأمرون وينهون، إذ لو كانوا يريدون النصح والخير في ذلك لاخثاروه لأنفسهم.

وجملة (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) المراد إثباته هو الإصلاح في جميع أوقات استطاعته بتحصيل الإصلاح، فالقصر قصر قلب.

(1) ينظر تفسير مفاتيح الغيب للرازي (18/386 وما بعدها)

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي (7/260)

ولما بين لهم حقيقة عمله وكان في بيانه ما يجز الثناء على نفسه أعقبه بإرجاع الفضل في ذلك إلى الله فقال ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ فسمى إرادته الإصلاح توفيقاً وجعله من الله لا يحصل في وقت إلا بالله، أي بإرادته وهديه. (1)

المطلب الثاني: ادعائهم أن نبيهم من المسحرين وأنه بشر مثلهم.

لما دعاهم شعيب إلى توحيد الله ونهاهم عن الإفساد في الأرض ببخس الناس أشياءهم قالوا: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نُّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: 185-187]، فلم يتأثروا بأي كلام وجهه لهم نبيهم، بل اتهموه في عقله وفي صدقه، فقالوا له بسفاهة وغرور: إنما أنت يا شعيب من الذين أصيبوا بسحر عظيم فجعلهم لا يعقلون ما يقولون، وما أنت إلا بشر مثلنا، ولا مزية لك برسالة أو نبوة علينا، وما نظنك إلا من الكاذبين فيما تدعيه، فإن كنت صادقاً في دعوى الرسالة فأسقط علينا قطعاً من العذاب الكائن من جهة السماء. (2)

وكون الرسول بشراً ليس عيباً فيه ولا شبهة، فقد أرسل الله رسوله بشراً ليكون قدوة يقتدون به في كل أحواله، ويطبق المنهج الذي جاءهم به، وهي نفس شبهة قوم نوح وعاد وثمود من قبل. (3)

فبماذا أجابهم شعيب- عليه السلام-؟ ﴿قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: 188]، أي: (أن الله أعلم بأعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب، فإن أراد أن يعاقبكم بإسقاط كسف من السماء فعل، وإن أراد عقاباً آخر فأليه الحكم والمشئبة) (4)

(1) ينظر تفسير التحرير والتنوير (12/143 وما بعدها)

(2) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (10/276)

(3) مر بنا تفنيد هذه الشبهة بما يغني عن الإعادة.

(4) تفسير الزمخشري (3/333)

المطلب الثالث: التمسك بملة الكفر والتهديد بالنفي:

وقد وردت هذه الشبهة في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: 88] لقد ينس القوم من شعيب بعد تهديده؛ ولذلك لجئوا إلى التهديد بالنفي والاستبعاد، فقالوا بكل وقاحة وكبر لنبيهم، اختر لنفسك يا شعيب إما النفي أنت والذين آمنوا معك، أو العودة إلى ديننا.

هل كان شعيب على ملة قومه؟

التعبير بقولهم: (أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا) يفهم منه أن شعيبا والذين آمنوا معه كانوا على ملة قومهم ثم خرجوا منها، وهذا مقبول في أتباع شعيب أما في حقه - عليه السلام- فهو محال، فإن الأنبياء معصومون- حتى قبل النبوة- عن ارتكاب الكبائر فضلا عن الشرك.

وقد أجيب عن ذلك (بأن المستكبرين قد قالوا ما قالوا من باب التغليب، فقالوا: (لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا) فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الإيمان منهم بعد كفرهم قالوا: لتعودن فغلب الجماعة على الواحد، فجعلوهم عاندين جميعا، إجراء للكلام على حكم التغليب، وعلى ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال: (إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها)، وهو يريد عود قومه، إلا أنه نظم نفسه في جملتهم) (1)

فرد شعيب عليهم قائلا: ﴿قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: 88-89]، وقوله - عليه السلام-: (أَوْلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ) أي: أتجبروننا على العودة إلى ملتكم حتى ولو كنا كارهين لها، لا اعتقادنا أنها باطلة وقبيحة ومنافية للعقول السليمة والأخلاق المستقيمة لا. لن نعود إليها بأي حال من الأحوال.

(1) تفسير الزمخشري (2/129)

ثم صارحهم برفضه التام لما يتوهمون من العودة إلى ملتهم فقال: (قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا) أي: قد اختلفنا على الله- تعالى- أشنع أنواع الكذب إن عدنا في ملتكم الباطلة بعد إذ نجانا الله بهدايتنا إلى الدين الحق وتنزيهنا عن الإشراف به- سبحانه- ، ولا يتأتى منا أن نعود في ملتكم الباطلة في حال من الأحوال أو في وقت من الأوقات إلا في حال أو في وقت مشيئة الله- المتصرف في جميع الشؤون- عودتنا إليها، فهو وحده القادر على ذلك ولا يقدر عليه غيره لا أنتم ولا نحن، لأننا موقنون بأن ملتكم باطلة وملتنا هي الحق والموقن لا يستطيع إزالة يقينه ولا تغييره وإنما ذلك بيد مقلب القلوب، الذي وسع علمه كل شيء.

وهذا اللون من الأدب العالي، حكاه القرآن عن الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- في مخاطبتهم، فأنت ترى أن شعيبا- عليه السلام- مع ثقته المطلقة في أنه لن يعود هو وأتباعه إلى ملة الكفر أبدا، مع ذلك هو يفوض الأمر إلى الله تأديبا معه، فلا يجزم بمشيئته هو، بل يترك الأمر لله، فقد يكون في علمه سبحانه ما يخفى على البشر، مما تقتضيه حكمته وإرادته.

ثم يترك شعيب- عليه السلام- قومه وتهديدهم ووعيدهم، ويتوجه إلى الله بالاعتماد والدعاء فيقول: (عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) أي: على الله وحده وكلنا أمرنا، فهو الذي يكفيننا أمر تهديدكم ووعيدكم، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، ربنا احكم بيننا وبين قومنا الذين ظلمونا بالحق وأنت خير الحاكمين، لخلو حكمك عن الجور والحيث، فقله: (عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا) إظهار للعجز من جانب شعيب، وأنه في مواجهته لأولئك المستكبرين لا يعتمد إلا على الله وحده، ولا يأوي إلا إلى ركنه المكين، وحصنه الحصين.

وقوله: (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا) إعراض عن مجادلتهم ومفاوضتهم بعد أن تبين له عنادهم وسفاههم، وإقبال على الله- تعالى- بالتضرع والدعاء.

والفتح: أصله إزالة الأغلاق عن الشيء، واستعمل في الحكم، لما فيه من إزالة الأشكال في الأمر.

والخلاصة: أنك إذا تأملت في رد شعيب- عليه السلام- على ما قاله المستكبرون من قومه، تراه يمثل أسمى ألوان الحكمة وحسن البيان، فهو يرد على ووعيدهم وتهديدهم بالرفض التام لما يبغون، والبغض السافر لما يريدونه منه، ثم يكل الأمور كلها إلى الله، مظهرا الاعتماد عليه وحده، ثم يتجه إليه- سبحانه-

بالدعاء متلمسا منه أن يفصل بينه وبين قومه بالحق الذي مضت به سنته في التنازع بين المرسلين والكافرين، وبين سائر المحقين والمبطلين. (1)

المطلب الرابع: ادعاهم عدم فهم كلامه وأنه فيهم ضعيف.

بعد أن دعاهم نبيهم شعيب - عليه السلام - وأقام عليهم الحجة وبان للقوم وضوح الحق انتقلوا إلى التهديد، فقالوا: -كما حكى الله عنهم- ﴿قَالُوا يَشْعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرْنَكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: 91] ، وليس المراد عدم فهم كلامه لأن شعيبا- عليه السلام- كان مقولا فصيحا؛ فالمعنى: إنك تقول ما لا نصدق به، وهذا مقدمة لإدانتته واستحقاقه الذم والعقاب عندهم في قولهم: (ولولا رهطك لرجمناك)، ولذلك عطفوا عليه (وإننا لنراك فينا ضعيفا) أي وإنك فينا لضعيف، أي غير ذي قوة ولا منعة، فالمراد الضعف عن المدافعة إذا راموا أذاه، وذلك مما يرى لأنه ترى دلائله وسماته، وعطفوا على هذا قولهم: (ولولا رهطك لرجمناك) وهو المقصود مما مهد إليه من المقدمات، أي لا يصدنا عن رجمك شيء إلا مكان رهطك فينا، لأنك أوجبت رجمك بطعنك في ديننا، والرجم: القتل بالحجارة رميا، وهو قتل حجارة وخزي. وفيه دلالة على أن حكم من يخلع دينه الرجم في عوائدهم.

وجملة: (وما أنت علينا بعزيز) مؤكدة لمضمون (ولولا رهطك لرجمناك) لأنه إذا انتفى كونه قويا في نفوسهم تعين أن كفهم عن رجمه مع استحقاقه إياه في اعتقادهم ما كان إلا لأجل إكرامهم رهطه لا للخوف منهم. (وما أنت علينا بعزيز) أي أنك لا يعجزنا قتلك ولا يشتد على نفوسنا، أي لأنك هين علينا ومحقر عندنا وليس لك من ينصرك منا. (2)

وقد رد عليهم بقوله: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَّ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [هود: 92]، والاستفهام إنكاري أي: الله أعز من رهطي، وهو كناية عن اعتزازه بالله لا برهطه فلا يريبه عدم عزة رهطه عليهم، وهذا تهديد لهم بأن الله ناصر له لأنه أرسله فعزته بعزة مرسله.

(1) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (5/326 وما بعدها)

(2) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (12/148 وما بعدها)

والظهري- بكسر الظاء- نسبة إلى الظهر على غير قياس، والمراد بالظهري الكناية عن النسيان، أو الاستعارة لأن الشيء الموضوع بالوراء ينسى لقلته مشاهدته، فهو يشبه الشيء المجعول خلف الظهر في ذلك، فوقع ظهريا حالا مؤكدة للظرف في قوله: وراءكم إغراقا في معنى النسيان لأنهم اشتغلوا بالأصنام عن معرفة الله أو عن ملاحظة صفاته.

وقوله: (إن ربي بما تعملون محيط) تعريض بالتهديد، وأن الله يوشك أن يعاقبهم على ما علمه من أعمالهم. (1)

ثم قال لهم مهتدا ومرهبا إياهم من عذاب الله: ﴿وَيَقَوْمٌ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَعِلُّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: 93]، أي: (اعملوا ما شئتم وأنا سأعمل ما شئتم فإنكم بعد ذلك سوف تعلمون من منا الذي ينزل به عذاب يخزيه ويفضحه ويهينه، ومن منا الذي هو كاذب في قوله وعمله، وارتقبوا عاقبة تكذيبكم للحق إني معكم رقيب أي: إني معكم منتظر ومراقب لما يفعله الله- تعالى- بكم.

وبذلك نرى شعيبا- عليه السلام- في هاتين الآيتين، قد استعمل مع قومه أسلوبا آخر في المخاطبة، يمتاز بالشدّة عليهم والتهديد لهم، لا غضبا لنفسه، وإنما لأجل حرّمات الله- تعالى-، والدفاع عن دينه.

ولم يطل انتظار شعيب- عليه السلام- ومراقبته لما يحدث لقومه، بل جاء عقاب الله- تعالى- لهم بسرعة وحسم، بعد أن لجوا في طغيانهم، وقد ذكر- سبحانه- ذلك فقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِمِينَ كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: 94-95] (2)

(1) ينظر المرجع السابق (12/152) وما بعدها

(2) ينظر المرجع السابق (7/264)

المبحث الثالث / الحوار

استعمل نبي الله شعيب- عليه السلام – أسلوب الحوار مع قومه، ليبين لهم مراد الله تعالى منهم، بعبادته وحده لا شريك له وترك ما هم عليه من غش وإفساد في الأرض، محذرا إياهم من غضب الله وعقابه.
ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أهم نقاط الحوار في دعوة شعيب – عليه السلام-

المطلب الثاني: التعقيب على الحوار.

المطلب الأول: أهم نقاط الحوار في دعوة شعيب – عليه السلام-

1-ابتدأ نبي الله شعيب – عليه السلام – حوار ه مع قومه بأن دعاهم إلى توحيد الله شأن جميع الرسل قبله، وقد عرف قومه بأصحاب الأيكة إشارة إلى معبودهم من دون الله عزوجل، فقال: ﴿يَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 85] وهذا ما يعرف في الحوار بالبده بالقضايا الكبرى قبل الصغرى- كما سبق بيانه-.

2- وبعد أن أمرهم بالتوحيد نهاهم عن الإفساد في المعاملات التجارية، فنهاهم عن التطفيف في الكيل والميزان الذي كان متفشيا فيهم فقال- كما حكى القرآن عنه: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: 84-85]

3- ثم أراد شعيب – عليه السلام – تحريك مشاعر الإيمان في قلوبهم فقال: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 85] فهو يشير إلى أن الإيمان بالله والإصلاح في الأرض يجلب لأهله خيري الدنيا والآخرة، وهذا ترقيق لقلوبهم وترغيب لهم في الاستجابة لأمر الله وطاعة رسوله.

4- ثم بين لهم أن الذي دعاه إلى أمرهم ونهيهم حرصه على هدايتهم ونجاتهم من عذاب الله، فقال: ﴿إِنِّي أَرْبُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود: 84]

5- فماذا كان رد قومه عليه؟ قالوا له متعجبين متهكمين: ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: 87]، وقولهم: «إنك لأنت الحليم الرشيد» زيادة منهم في السخرية منه- عليه السلام- وكأنهم يعرضون في الكلام بأن الوصف اللائق بك أضدادهما، أي السفه والعجلة في الأمور، وهذا من سوء أدبهم مع نبيهم.

6- فرد عليهم شعيب بأدب الأنبياء قائلا: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88] فأنا رسول من الله أنعم الله علي بنعمة النبوة وكلفني بمهمة البلاغ، ثم قال لهم بنبرة الصادق الأمين: أنا رسول الله إليكم يطابق قولي فعلى، وما أريد بما أنصحكم به إلا إصلاح ما أفسدتموه قبل البوار والخسران، ثم يفوض الأمور إلى الله- تعالى- فيقول: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88]، فرد شبهتهم وتهكمهم عليه ببيان الحق الذي جاءهم به، وتطمينهم أنه قدوة لهم لن يأمرهم بشيء ويفعله، وأنه معتمد على الله في كل أموره فهو خير معين.

7- ثم انتقل شعيب - عليه السلام - إلى نهيه عن الصد عن سبيل الله، وإرهاب من آمن به وتخويفه، فقال: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِءِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكَرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَذَّبْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 86]، أي: ولا تقعدوا بكل طريق تهددون من آمن بالله ورسوله بتخويفه بالأذى والخسران، وتلقون عليهم الشبه والتهم بادعائكم أني كذاب، أو أن اتباعكم لي سيكون طريقا للبوار والكساد في أموالكم، أي: إذا منعتم الخير عن أنفسكم فلا

تمنعوه عن غيركم بصدكم عن سبيل الله، وذكرهم بنعمة الله عليهم بأن يتذكروا عندما كانوا قليلي العدد فكثروا الله وكانوا في قلة من الأموال فرزقهم ووسع عليهم، فمن الواجب عليكم أن تشكروه على هذه النعمة، وأن تفردوه بالعبادة والطاعة.

8- ثم اتبع هذا التذكير بالنعمة بالترهيب من عواقب الإفساد فقال: وانظروا نظر تأمل واعتبار كيف كانت عاقبة المفسدين من الأمم الخالية، فقال: ﴿وَيَقَوْمٌ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِّنْكُمْ بَعِيدٍ﴾ [هود: 89]

9- وبعد الترهيب يأتي الترغيب فذكرهم برحمة الله الذي يتوب على من تاب فدعاهم إلى الاستغفار والتوبة قائلاً: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: 90]

10- وهكذا نجد شعيباً - عليه السلام- وهو خطيب الأنبياء- ينوع لقومه في أساليب النصح والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ولكن القوم كانوا مستعلين معاندين، فقد ردوا على هذه النصائح بقولهم: ﴿قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: 91]، والمقصد من كلامهم الاستهانة به وبدعوته - عليه السلام-، والصدود عنه، وتلويحهم بإيذائه بقولهم: (وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا) ، ولولا عشيرتك التي هي على ملتنا وشريعتنا لرجمناك بالحجارة حتى الموت، وما أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ بل أنت فينا مكروه ضعيف!!
لقد سيطر الكبر والعناد على عقلية هؤلاء القوم، وغلظة طباعهم دفعتهم لسوء الأدب مع نبيهم الكريم.

11- ولما رأى شعيب - عليه السلام- أن اللين لا يجدي مع هذه الغطرسة انتقل إلى الشدة، والإنكار عليهم بسبب مقاييسهم الزائفة وأوضاعهم المقلوبة فقال: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَّ إِنَّ رَبِّي بِمَا

تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ [هود: 92]، يا قوم أتقيمون لعشيرتي وزنا وتعملون لهم حسابا فلا تؤذوني ولا تخافون الله، الذي جعلتم أوامره ونواهيه وراء ظهوركم بسبب كفركم وطغيانكم؟ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ، وسيجازيكم عليها بما تستحقون من عذاب مهين.

12- وفي سورة الأعراف هددوا نبيه وأتباعه بالنفي أو العودة إلى ملة الكفر التي كانوا عليها فقالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنَ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: 88]، ووعيدهم هذا بدلا من مقابلة الكلمة بالكلمة والحجة بالحجة قابلوا قوة البيان من شعيب بالتهديد والوعيد فقالوا بغلظة واستعلاء: إما النفي لك ولا تباغك، وإما العودة إلى ملتنا!!! فقال لهم شعيب بعزة المؤمن الواثق بربه مستنكرا ووعيدهم: ﴿قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف: 88] أتجبروننا على العودة إلى ملتكم حتى ولو كنا كارهين لها، لا اعتقادنا ببطلانها، ثم قالها لهم بكل قوة وصراحة رافضا ووعيدهم: ﴿قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: 89]، فنحن موقنون بأن ملتكم باطلة وملتنا هي الحق والموقن بالحق لا يتزحزح عنه ولا يتغير موقفه، وأما ووعيدهم فلن يرهبننا لأننا على الله وحده متوكلون، فهو الذي يكفيننا شركم ووعيدهم، ربنا افتح بحكمك بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين.

وفي هذا بيان للمغرورين المستكبرين من قومه أن المعركة بينهم وبين الله، وإنما هو عبد لله يتوكل على مولاه وهو كافيه شرهم وكيدهم، وقوله هذا – عليه السلام- إعراض عن الحوار معهم ومجادلتهم بعد أن تبين له عنادهم وأن الحوار معهم صار عقيما لا يجدي نفعاً، وهذا من حكمته – عليه السلام- في مواجهته للملأ المستكبرين من قومه.

13- ثم زاد في توبيخهم وتهديدهم فقال ﴿وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود: 93] اعملوا كل ما في وسعكم وقدرتكم أن تعملوه معي عمله

معي، فإن ذلك لن يخيفني أو يرهبني، وسوف تعلمون من منا الذي ينزل به عذاب يخزيه ويهينه، ومن منا كاذب في قوله وعمله، وَارْتَقِبُوا عَاقِبَتَكُمْ إِنِّي مَعَكُمْ مَرَاقِبٌ لَمَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ- تعالى- بكم.

وبذلك نرى شعيبا- عليه السلام- قد استعمل مع قومه أسلوبا آخر في الحوار، وهو أسلوب الشدة عليهم والتهديد لهم، حيث لا يجدي اللين ولا الموعظة الهادئة شيئا.

14- وبعد هذه المحاورات والمجادلات التي دارت بين شعيب وقومه، جاءت الخاتمة التي حكاها القرآن في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي

دَارِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ [الأعراف: 91]

المطلب الثاني: التعقيب على الحوار:

نلاحظ في حوار نبي الله شعيب مع قومه عدة أمور:

1-موضوع الحوار: القضية الكبرى والأساسية التي أرسل بها جميع الأنبياء قبله: الدعوة إلى التوحيد، وترك الشرك.

2-كان قوم شعيب مفسدون في المعاملات التجارية بالغش والتطفيف في المكايل والموازين فنبههم شعيب عليه السلام على خطورة ما يفعلون وأن مآله خراب وكساد للاقتصاد والتجارة.

3-تميز حوار شعيب - عليه السلام- بالموضوعية وقوة الحجة والبيان.

4-تكرار شعيب - عليه السلام- النداء على قومه (يا قوم) رغبة في تهيئة قلوبهم لقبول ما يدعوهم إليه.

5-صبر شعيب - عليه السلام- وسعة صدره وحلمه في الرد على سفاهات قومه وتهكمهم عليه وانشغاله ببيان مهمته التي أرسل من أجلها وهذا درس مهم للدعاة في كل زمان ومكان.

6-دعاهم إلى الاعتبار بالأمم قبلهم، وهذا شيء حسي يعلمونه غير خاف عنهم.

7-رغبهم في الاستغفار والتوبة إلى الرب الرحيم الودود الذي يتوب على من تاب من عباده.

8-تميز الحوار أيضا بإبراز شعيب لقوة إيمان الداعية بربه وتوكله عليه وإبراز الحق وقوته بإظهار التحدي لهم ولقوتهم الموهومة بجانب قوة الله الذي لا يعجزه شيء.

9-التوقف عن المجادلة عندما يتحول الحوار إلى حوار عقيم، وفيه ما فيه من التهكم والازدراء.

10-عزة الداعية وثقته بربه حينما رد عليهم متوعدا إياهم بوقوع العذاب في مقابل تهديدهم إياه بالنفي تارة وبرجمه حتى الموت تارة.

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة

شعيب - عليه السلام -

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ البيئة التي جاء بها قومه.

المبحث الثاني/ القدوة العملية.

المبحث الثالث/ الاعتبار بالسابقين.

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة شعيب - عليه السلام -

وقد استخدم نبي الله شعيب - عليه السلام - هذا المنهج في الدعوة إلى الله مع قومه في عدة صور، يستعرضها الباحث من خلال ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ البينة التي جاء بها قومه.

المبحث الثاني/ القدوة العملية.

المبحث الثالث/ الاعتبار بالسابقين.

المبحث الأول/ البينة التي جاء بها قومه

قال نبي الله شعيب - عليه السلام - لقومه: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾

[الأعراف: 85]

فما هي هذه البينة؟

لعلماء التفسير قولان:

الأول: أنها معجزة قامت بها الحجة عليهم لم يذكرها القرآن الكريم، كما أنه لم يذكر معجزة هود ونوح عليهما السلام، ولأنه لا بدّ لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه، وإلا لم تصح دعواه. (1)

الثاني: أن المراد بالبينة حجة أقامها على بطلان ما هم عليه من الشرك وسوء الفعل، وعجزوا عن مجادلته فيها، فقامت عليهم الحجة مثل المجادلة التي حكيت في سورة هود فتكون البينة أطلقت على ما يبين صدق الدعوى، لا على خصوص خارق العادة، أو أن يكون أراد بالبينة ما أشار إليه بقوله: ﴿فَأَصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ [الأعراف: 87] أي يكون أنذرهم بعذاب يحل بهم إن لم يؤمنوا، كما قال في

(1) يراجع في هذا تفسير الزمخشري (2/127)، وتفسير الرازي مفاتيح الغيب (14/313)، وتفسير الألوسي روح المعاني (4/413) بتحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.

الآية الأخرى ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: 187] (1)

الترجيح:

يرى الباحث أن الراجح هو القول الأول، وهو أن لنبي الله شعيب -عليه السلام- معجزة لم يذكرها القرآن وإنما جاءت الإشارة إليها فقط، لعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) (2) وهذه صيغة عموم مقتضاها وجود معجزة لكل رسول وإن لم يذكرها القرآن الكريم، كما مر بنا في قصة هود-عليه السلام-

المبحث الثاني/ القدوة العملية

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف معنى القدوة.

المطلب الثاني: شعيب قدوة لقومه.

المطلب الأول: تعريف معنى القدوة:

القدوة لغة: من القدو وهو: أصل البناء الذي ينشعب منه تصريف الاقتداء، والقدوة أيضا: التقدم، ويقال فلان قدوة إذا كان يقتدى به، ويقال: فلان لا يقاديه أحد ولا يماديه ولا يباريه ولا يجاربه، وذلك إذا برز في الخلال كلها، وتقدت به دابته: لزمته سنان الطريق، وتقدى هو عليها. (3)

ومن هنا نخلص إلى أن القدوة تطلق ويراد بها الاقتداء، ويعبر عنه بالأصل، فهو أصل يُهتدى به، والشخص القدوة إمام يتقدم غيره ليقتدي به .

(1) يراجع في هذا القول تفسير التحرير والتنوير (8/241ب)

(2) سبق تخريجه ص (200)

(3) ينظر لسان العرب مادة قدا (5/3556) والمعجم الوسيط (720)

واصطلاحاً: القدوة هي: " الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره
إن حسناً وإن قبيحاً، وإن ساراً وإن ضاراً" (1)

المطلب الثاني: شعيب قدوة لقومه.

لما دعا شعيب - عليه السلام - قومه تهكموا عليه وأنكروا ما جاءهم به فرد
عليهم قائلاً: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا
وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا
تُوفِّقُنِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: 88]، فقله (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ
إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ) معناه أنه سيكون إمامهم و قدوتهم في كل ما جاءهم به، فيكون
أول من ينتهي عما نهاهم عنه، ولا يليق به وهو نبي مرسل أن يأمرهم بشيء ثم
يتركه أو ينهاهم عن شيء ثم يفعله، وهذا أمر حسي يشاهدون ويعاينونه بأبصارهم
من نبيهم شعيب ومعرفتهم بأحواله ومخالطتهم له، ولأنه بشر قد يعتريه ما يعترى
البشر ربط الأمر بالاستطاعة وتوفيق الله له، فهو متوكل عليه منيب إليه - سبحانه
وتعالى -

أهمية القدوة الحسنة للداعية:

إن نبي الله شعيب هنا يضرب المثل للدعاة جميعاً بأن الداعية يجب أن يكون
قدوة للناس جميعاً فهو محل أنظار الناس، فالقدوة (من الوسائل المهمة جداً في
تبليغ الدعوة إلى الله، وجذب الناس إلى الإسلام، وامتنال أو امره، واجتناب نواهيها،
القدوة الطيبة للداعي وأفعاله الحميدة وصفاته العالية وأخلاقه الزاكية مما يجعله
أسوة حسنة لغيره، يكون بها أنموذجاً يقرأ فيه الناس معاني الإسلام فيقبلون عليها
وينجذبون إليها، لأن التأثير بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثير بالكلام وحده.

إن الإسلام انتشر في كثير من بلاد الدنيا بالقدوة الطيبة للمسلمين؛ التي
كانت تبهر أنظار غير المسلمين، وتحملهم على اعتناق الإسلام، فالقدوة الحسنة
التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام يستدل بها
سليم الفطرة راجح العقل من غير المسلمين على أن الإسلام حق من عند الله. (2)

(1) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص (76)

(2) القدوة مبادئ ونماذج للدكتور صالح بن عبد الله بن حميد، ص (7) الناشر: الكتاب منشور
على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

المبحث الثالث/ الاعتبار بالسابقين

أراد نبي الله شعيب – عليه السلام- أن يذكر قومه بالأمم السابقة قبلهم قوم نوح، وعاد وthumb وقوم لوط، وأن يتبصروا بعاقبة من هلكوا وهذا أمر حسي يعرفونه جميعا وكانوا قريبي العهد والمكان بقوم لوط، قال تعالى: ﴿وَيَقَوْمَ لَا يُجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: 89]

والمعنى: لا تجر إليكم عداوتكم إياي إصابتكم بمثل ما أصاب قوم نوح إلى آخره، والمقصود نهيه عن أن يجعلوا الشقاق سببا للإعراض عن النظر في دعوته، فبوقعوا أنفسهم في أن يصيبهم عذاب مثل ما أصاب الأمم قبلهم فيحسبوا أنهم يمكرون به بإعراضهم وما يمكرون إلا بأنفسهم. (1)

فدعا قومه أن يفكروا تفكيرا عاقلا واعيا، ليدركوا سوء عاقبة إصرارهم على الكفر واستمرارهم في العناد مخالفة له وكراهية لما جاء به، وأن مآل هذا كله أن يكونوا كالأمم السابقة الذين أهلكهم الله وصاروا أثرا بعد عين.

(1) ينظر تفسير التحرير والتنوير (12/146 وما بعدها)

الباب السادس

المناهج الدعوية في رسالة

موسى - عليه السلام -

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول / المنهج العاطفي.

الفصل الثاني / المنهج العقلي.

الفصل الثالث / المنهج الحسي.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة

موسى - عليه السلام -

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني: الترغيب.

المبحث الثالث: الترهيب.

المبحث الرابع: التذكير بنعم الله.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة موسى - عليه السلام-

ذكر القرآن الكريم الكثير من المواقف الدعوية والتربوية في حياة نبي الله موسى - عليه السلام- سواء مع فرعون، أو مع بني إسرائيل، وسنركز في هذا المبحث على المنهج العاطفي الذي استخدمه موسى - عليه السلام- في عدة مواقف من دعوته من خلال أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الثاني: الترغيب.

المبحث الثالث: التهيب.

المبحث الرابع: التذكير بنعم الله.

المبحث الأول: الرفق وإظهار العاطفة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الرفق واللين مع فرعون الطاغية.

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم).

المطلب الأول: الرفق واللين مع فرعون الطاغية:

خاطب الله نبيه الكريمين موسى - عليه السلام- وهارون - عليهما السلام- حينما كلفهما بالذهاب إلى فرعون ليردّاه عن طغيانه فقال: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: 43-44]، والقول اللين:

الكلام الدال على معاني الترغيب والعرض واستدعاء الامتثال، بأن يظهر المتكلم للمخاطب أن له من سداد الرأي ما يتقبل به الحق ويميز به بين الحق والباطل مع تجنب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب أو تجهيله.

ومن اللين في دعوة موسى - عليه السلام- لفرعون قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النّازعات: 18-19]، وقوله: ﴿وَأَسَلْتُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ [طه: 47] إذ المقصود من دعوة الرسل حصول الاهتداء لا إظهار العظمة وغلظة القول بدون جدوى. (1)

وهذا التوجيه الرباني لنبييه الكريمين موسى وهارون - عليهما السلام- هو توجيه للدعاة بعدهما في كل زمان ومكان وخاصة مع الطغاة والمتكبرين (فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة، ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان، اذها إلى غير يائسين من هدايته، راجيين أن يتذكر ويخشى، فالداعية الذي يبأس من اهتداء أحد بدعوته لا يبلغها بحرارة، ولا يثبت عليها في وجه الجحود والإنكار.) (2)

المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم).

وقد تكرر نداء موسى - عليه السلام- على قومه بقوله: (يا قوم) عدة مرات منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مّلُوكًا وَءَاتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: 20]، وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ لِمَ تُؤذُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: 5]، وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ فَتُؤْبَأُ إِلَىٰ بَارِيكُمْ﴾ [البقرة: 54]

"وفي نداء موسى - عليه السلام- لهم بقوله: «يا قوم» تُلطف في الخطاب ليجذب قلوبهم إلى سماعه، وليحملهم على تلقي أوامره بحسن الطاعة، وليشعرهم بأنهم قومه فهو منهم وهم منه، والشأن فيمن كان كذلك ألا يكذب عليهم أو يخدعهم، وإنما يريد لهم الخير" (3)

(1) ينظر تفسير التحرير والتنوير (16/225)

(2) تفسير الظلال لسيد قطب (4/2336)

(3) التفسير الوسيط لطنطاوي (1/131)

وفي هذا النداء أيضا إظهار للرابطة القوية التي تصله بهم فهو ينصحهم نصيحة المحب الشفيق، الحريص على هداية قومه والأخذ بأيديهم إلى طريق الله الصحيح، وقد مر بنا مثل هذا في جميع إخوانه من الأنبياء الذين سبق ذكرهم.

المبحث الثاني/ الترغيب

كان لنبي الله موسى -عليه السلام- مواقف عدة مع فرعون ثم سحرته ومواقف مع قومه بني إسرائيل، سلك فيها أسلوب الترغيب.

وللوقوف على هذه المعنى يستعرض الباحث هذا الأسلوب من خلال

أربعة مطالب:

المطلب الأول: الترغيب في شكر نعم الله وأنه سبب المزيد.

المطلب الثاني: توبته إلى الله من القتل الخطأ.

المطلب الثالث: حث قومه على الاستعانة بالله والصبر على البلاء.

المطلب الرابع: حث قومه على الاستغفار والتوبة بعد عبادة العجل.

المطلب الأول: الترغيب في شكر نعم الله وأنه سبب المزيد

وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ^ط

وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7]، والشكر هو: (ظهور أثر نعمة الله

على لسان عبده ثناء واعترافا، وعلى قلبه شهودا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادا وطاعة، والشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، والثناء عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره؛ فهذه الخمسة هي أساس الشكر، وبنائوه عليها، فمتى عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة.)⁽¹⁾

(1) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، وآخرون. الناشر: دار عطاءات العلم بالرياض، ودار ابن حزم ببيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م

فرغب نبي الله موسى - عليه السلام - قومه بني إسرائيل في شكر الله على نعمه وأن ذلك سبب المزيد، والمعنى: (لئن شكرتم ربكم، بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم، (لأزيدنكم) في أيديه عندكم ونعمه عليكم، على ما قد أعطاكم من النجاة من آل فرعون والخلاص من عذابهم) (1)

فالشكر لله على نعمه هو إقرار له تبارك وتعالى بالخضوع والإجلال، ونسبة الفضل إليه وحده فهو المنعم على عباده تفضلاً، وتعظيم الله في قلوب الخلق بنسبة الفضل إليه وحده لا لغيره، واستعمال النعمة فيما لا معصية فيه هذا كله مؤذن بالمزيد من الله الكريم الوهاب.

المطلب الثاني: توبته إلى الله من القتل الخطأ:

في يوم من الأيام، دخل موسى - عليه السلام - المدينة التي يسكنها فرعون وقومه فوجد فيها رجلين يتنازعا في أمر هذا من بني إسرائيل، وهذا من عدوه أي: من القبط، فاستغاثه الإسرائيلي لينصره على الرجل القبطي، فوكره موسى فقتله، وهو لا يريد قتله، وإنما كان يريد دفعه ومنعه من ظلم الرجل الإسرائيلي، ولكن موسى - عليه السلام - بعد أن رأى القبطي جثة هامدة، استرجع وندم، وقال: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ قَالَ رَبِّ إِنَّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: 15-17]، أي: قال موسى - عليه السلام -: "هذا الذي فعلته وهو قتل القبطي، من عمل الشيطان ومن وسوسته. ومن تزيينه إنه أي: الشيطان عدو للإنسان مضل له عن طريق الحق مبين أي: ظاهر العداوة والإضلال، ثم أضاف إلى هذا الندم والاسترجاع، ندماً واستغفاراً آخر فقال: (رَبِّ إِنَّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي، فَغَفَرَ لَهُ)، أي: قال موسى بعد قتله القبطي بدون قصد - مكرراً الندم والاستغفار: يا رب إنني ظلمت نفسي، بتلك الضربة التي ترتب عليها الموت، فاغفر لي ذنبي، فَغَفَرَ اللَّهُ - تعالى - لَهُ ذَنْبَهُ، إِنَّهُ - سبحانه - هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، ثم أكد موسى للمرة الثالثة، توبته إلى ربه، وشكره إياه على نعمه، فقال: "رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ" (2)

(1) تفسير ابن جرير الطبري (16/526)

(2) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (10/388)

وإقرار موسى -عليه السلام- بخطئه واستغفاره من هذا الذنب وتعهده الله عز وجل ألا يكون معاوناً للمجرمين هو تعليم للدعاة إلى الله بعده، وأن الدعاة إلى الله أسرع الناس ندماً إذا بدر منهم خطأ وأحوجهم للاستغفار وتجديد التوبة إلى الله، وأن يبقى نصيراً للحق وليس ظهيراً للمجرمين.

المطلب الثالث: حث قومه على الاستعانة بالله والصبر على البلاء.

وقد ورد هذا في موضعين من القرآن الكريم :

الموضع الأول : عندما انخذل فرعون وآمن السحرة الذين جاء بهم لنصرته فأمنوا جميعاً ؛ قال الملائكة من قوم فرعون موسوسين له: أتترك موسى -عليه السلام- وقومه أحراراً آمنين ليفسدوا في الأرض تاركين عبادتك وعبادة آلِهتك؟، قال فرعون: ﴿ سَنُقْتِلُ أبنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ [الأعراف: 127]، وهنا فزع بنو إسرائيل أن يعاود فرعون قتل أبنائهم ، فطمأنهم موسى -عليه السلام- قائلاً: ﴿ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: 128]، وقد أراد نبي الله موسى -عليه السلام- طمأنة قومه، فرغبهم في الاستعانة بالله والصبر على هذا الأذى، والتقليل من وعيد فرعون وهيمنته "إنها رؤية «النبي» لحقيقة الألوهية وإشراقها في قلبه، ولحقيقة الواقع الكوني والقوى التي تعمل فيه، ولحقيقة السنة الإلهية وما يرجوه منها الصابرون.. إنه ليس لأصحاب الدعوة إلى رب العالمين إلا ملاذ واحد، وهو الملاذ الحصين الأمين، وإلا ولي واحد وهو الولي القوي المتين، وعليهم أن يصبروا حتى يأذن الولي بالنصرة في الوقت الذي يقدره بحكمته وعلمه، وألا يعجلوا، فهم لا يطلعون الغيب، ولا يعلمون الخير.. وإن الأرض لله، وما فرعون وقومه إلا نزلء فيها، والله يورثها من يشاء من عباده- وفق سنته وحكمته- . " (1)

وقوله: (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده) هو ترغيب لقومه أن تتعلق قلوبهم بالله وحده فهو مالك الملك يؤتية من يشاء ، وينزعه عن من يشاء، وفيه أيضاً: "كناية عن ترقب زوال استعباد فرعون إياهم، قصد منها صرف اليأس عن أنفسهم الناشئ عن مشاهدة قوة فرعون وسلطانه، بأن الله الذي خوله

(1) تفسير الظلال (3/1355)

ذلك السلطان قادر على نزع منه لأن ملك الأرض كلها لله فهو الذي يقدر لمن يشاء ملك شيء منها وهو الذي يقدر نزعها. "(1)

الموضع الثاني : في سورة يونس رغبهم موسى - عليه السلام - في أن يفوضوا أمرهم إلى الله فإن من تمام الإيمان بالله حسن التوكل عليه، والاستعانة به على فرعون وإيذائه لهم فقال لهم: ﴿يَقَوْمُ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 84]، ومعنى كلامه - عليه السلام - "إن كنتم آمنتم بالله وصدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فإليه أسندوا أمركم في العصمة من فرعون، ثم شرط في التوكل الإسلام، وهو أن يسلموا نفوسهم لله، أي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها، لأن التوكل لا يكون مع التخليط. " (2)

وقد استجاب القوم لدعوة نبيهم ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: 85-86]

وسارع بنو إسرائيل قائلين: على الله وحده اتكأنا وهو عمادنا، ثم دعوا الله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وهذا "الدعاء بالألا يجعلهم الله فتنة للقوم الظالمين مقصود به ألا يمكن القوم الظالمين منهم، فيظن القوم أن تمكنهم من المؤمنين بالله دليل على أن عقيدتهم هم أصح ولذلك انتصروا وهزم المؤمنون! ويكون هذا استدراجاً لهم من الله وفتنة ليلجوا في ضلالهم، فالمؤمنون يدعون الله أن يعصمهم من تسلط الظالمين عليهم ولو لاستدراج الظالمين.

والآية الثانية أصرح في النتيجة المطلوبة: ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، ودعأؤهم الله ألا يجعلهم فتنة للقوم الظالمين، وأن ينجيهم برحمته من القوم الكافرين، لا ينافي الاتكال على الله والتقوي به، بل هو أدل على التوجه بالاتكال والاعتماد إلى الله، والمؤمن لا يتمنى البلاء، ولكن يثبت عند اللقاء. "(3)

(1) تفسير التحرير والتنوير (9/60)

(2) تفسير الزمخشري (2/364)

(3) تفسير الظلال (3/1816)

المطلب الرابع: حث قومه على الاستغفار والتوبة بعد عبادة العجل:

عندما ذهب نبيُّ الله موسى -عليه السلام- إلى جبل الطور لميقات ربه، وفي أثناء ذلك زين السامريُّ لبني إسرائيل عبادة العجل من دون الله، وأطلع الله موسى -عليه السلام- بما فعل قومه فرجع غضبان أسفاً، وعمد إلى العجل الذي عبده فأحرقه بالنار ورمى رماده في البحر، ثم توجه نحو بني إسرائيل وأخبرهم أن الله تبارك وتعالى هو الإله الذي يستحق العبادة وحده الذي لا إله غيره فقال لهم: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: 98] ، ثم بين نبي الله موسى -عليه السلام- لقومه أن الله يأمرهم بقتل أنفسهم فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ أَنْفُسَكُمْ يَتَقَوْمٌ بِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 54]، والمعنى: أن موسى -عليه السلام- قال لقومه: يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم وهبطتم بها إلى الحضيض بعبادتكم غير الله- تعالى- فإذا أردتم التكفير عن خطاياكم فتوبوا إلى ربكم توبة صادقة نصوحاً، واقتلوا أنفسكم لتتالوا عفو ربكم، فذلكم خير لكم عند خالقكم من الإقامة على المعصية، ففعلتم ذلك فقبل الله توبتكم لأنه هو الذي يقبل التوبة عن عباده على كثرة ما يصدر عنهم من ذنوب لأنه هو الواسع الرحمة لمن ينيب إليه ويستقيم على صراطه الواضح.

وقوله تعالى: (فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) أمر من موسى -عليه السلام- لهم بقتلهم أنفسهم حتى تكون توبتهم مقبولة، وهذا الأمر بلغه موسى -عليه السلام- إياهم عن ربه، إذ مثل هذا الأمر لا يصدر إلا عن وحي لأنه تشريع من الله- تعالى-.

والمراد بقتلهم أنفسهم أن يقتل من لم يعبد العجل منهم عابديه، فيكون المعنى: ليقتل بعضهم بعضاً، وقد ورد أنهم فعلوا ذلك، وأن الله- تعالى- رفع عنهم القتل وعفا عن بقي منهم على قيد الحياة كرماً منه وفضلاً، وهذا هو معنى التوبة في قوله تعالى «فتاب عليكم»، ومعنى العفو في قوله تعالى: في الآية السابقة: (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (1)

(1) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (1/134)

ولكن ما الحكمة من هذه العقوبة القاسية على عابدي العجل؟

لقد وقع العصاة من بني إسرائيل في ذنب هو من أعظم الذنوب عند الله وهو الشرك بالله وعبادة العجل من دون الله، فكانت هذه العقوبة تطهيراً من الله لهم عما وقعوا فيه من إثم، وردعا عن العودة لمثلها أبداً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيئَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَعَٰمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[الأعراف: 152-153]

لقد كانت هذه العقوبة "تربوية لتلك الطبيعة المنهارة الخوارة، التي لا تتماسك عن شر، ولا تتناهى عن نكر. ولو تناهوا عن المنكر في غيبة نبيهم ما عبدوا العجل. وإذ لم يتناهوا بالكلام فليتناهوا بالحسام وليؤدوا الضريبة الفادحة الثقيلة التي تنفعهم وتربيهم! وهنا تدركهم رحمة الله بعد التطهير «فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» (1)

المبحث الثالث/ الترهيب

كان لنبي الله موسى -عليه السلام- مواقف عدة منها ما كان مع فرعون فحذره من عذاب الله ثم موقفه مع سحرة فرعون حذرهم من الافتراء على الله كذبا، ويتناولها الباحث من خلال مطلبين:

المطلب الأول/ الترهيب من عذاب الله لمن كذب وتولى.

المطلب الثاني/ الترهيب من الافتراء على الله كذبا.

المطلب الأول/ الترهيب من عذاب الله لمن كذب وتولى:

أراد نبي الله موسى -عليه السلام- أن يحذر فرعون من عاقبة تكذيبه فيما يدعو إليه فقال: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: 48] أي:

(1) تفسير الظلال (1/72)

"قد أخبرنا الله فيما أوحاه إلينا من الوحي المعصوم أن العذاب متمحض لمن كذب
بآيات الله وتولى عن طاعته." (1)

وفي هذا ترهيب لفرعون من أن يكذب بالحق ويتولى عنه أن العقاب هي
الوقوع في عذاب الله.

المطلب الثاني/ الترهيب من الافتراء على الله كذبا:

لما حصلت المواجهة بين نبي الله موسى -عليه السلام- وسحرة فرعون قال لهم:
﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَن
أَفْتَرَى﴾ [طه: 61]، أي: قال موسى للسحرة عند اجتماعهم: الويل والهلاك لكم،
"لا تخيلوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لا حقائق لها، وأنها مخلوقة، وليست
مخلوقة، فتكونون قد كذبتهم على الله، {فيسحتكم بعذاب} أي: يهلككم بعقوبة هلاك
لا بقية له." (2)

وقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن أَفْتَرَى﴾ أي: وقد خاب وخسر كل من قال على الله-
تعالى- قولا باطلا لا حقيقة له، وفرعون أول المبطلين المفترين الخاسرين،
فاحذروا أن تسيروا في ركابه، أو أن تطيعوا له أمرا، ويبدو أن هذه النصيحة
الصادقة المخلصة كان لها أثرها الطيب في نفوس بعض السحرة، بدليل قوله-
تعالى- بعد ذلك ﴿فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ [طه: 62] (3)

فمن باب الترهيب والتحذير مما هم مقبلين عليه من تأييد للباطل استعمل
موسى -عليه السلام- ألفاظا قاسية مثل: (ويلكم، فيسحتكم بعذاب، وقد خاب من
افتري)، وهذه الألفاظ توافق المقام لإيقاظ قلوبهم الغافلة، ولردعهم عما هم مقبلين
عليه من تأييد الباطل، فالمعركة ليست مع موسى -عليه السلام- إنما مع الله رب
العالمين.

(1) تفسير ابن كثير (5/297)

(2) المرجع السابق (5/301)

(3) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (9/121)

المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله

تضمنت قصة موسى -عليه السلام- في القرآن التذكير بنعم الله عز وجل وعظم منته على عباده يتناولها الباحث من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تذكير الله -عز وجل- عبده موسى بنعمه عليه.

المطلب الثاني: تذكير موسى لفرعون وقومه نعم الله عليهم.

المطلب الثالث: تذكير موسى لبني إسرائيل بنعم الله عليهم.

وسوف يستعرض الباحث مواضعها من كتاب الله عز وجل على النحو التالي:

المطلب الأول: تذكير الله -عز وجل- عبده موسى بنعمه عليه.

1- حفظ الله لموسى من الذبح على يد فرعون وجنوده:

هاجر يعقوب -عليه السلام- وبنيه إلى مصر بدعوة من ابنه يوسف -عليه السلام- الذي كان وزيراً للخزانة أبان حكم الهكسوس آنذاك، واستقروا فيها وأقاموا بها خير مقام ، وبعد طرد الهكسوس من مصر، وتولى الفراعنة حكمها رأى فرعون أن بني إسرائيل كثروا وتمددوا ، فأحس الطاغية أن هناك خطراً على عرشه وملكه من وجود هذه الطائفة في مصر ولم يكن يستطيع أن يطردهم منها وهم جماعة كبيرة أصبحت تعد بمئات الألوف حتى لا يجتمعوا مع أعدائه ضده ، وكانوا - من وجهة نظره - عوناً للنظام البائد ، وكان لهم عقيدة غير عقيدته الوثنية هو وقومه ، فبدأ باضطهادهم وإذلالهم بتسخيرهم في الشاق الخطر من الأعمال، وكانوا يعاملون من الأقباط أهل مصر معاملة قاسية مع السخرة والإذلال ، وإمعاناً منه في الإذلال أراد تقليل نسلهم فكان يذبح أولادهم الذكور، ويبقى الإناث ، كي لا يتكاثر عدد الرجال فيهم، وبذلك يضعف قوتهم بنقص عدد الذكور وزيادة عدد الإناث، فوق ما يصبه عليهم من نكال وعذاب.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً

مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 4]

ثم إن بطانة فرعون خافوا على انقراض نسل بني إسرائيل؛ وهم القائمين بالخدمة وأعمال السخرة؛ فأشاروا على فرعون بأن يذبحوا الأطفال الذكور عاما ويتركونهم عاما، وقد ولد هارون في العام الذي ليس فيه ذبح، أما موسى -عليه السلام- فقد ولد في العام الذي فيه ذبح. (1)

وفي ظل هذه الظروف التاريخية القاسية كانت ولادة رسول الله وكليمه موسى -عليه السلام- وقد امتن الله على نبيه موسى -عليه السلام- بحفظه له ورعايته عند ولادته قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 7]، وكان لفرعون أناس موكلون بذلك، (الإشارة هنا للذبح) وقوابل يدرن على النساء، فمن رأينها قد حملت أحصوا اسمها، فإذا كان وقت ولادتها لا يقبلها إلا نساء القبط، فإذا ولدت المرأة جارية تركنها وذهبن، وإن ولدت غلاما دخل أولئك الذباحون، بأيديهم الشفار المرهفة (2)، فقتلوه ومضوا قبحهم الله.

فلما حملت أم موسى به، لم يظهر عليها مخايل الحمل كغيرها، ولم تفتن لها الدايات، ولكن لما وضعت ذكرا ضاقت به ذرعا، وخافت عليه خوفا شديدا وأحبتة حبا زائدا، وكان موسى -عليه السلام- لا يراه أحد إلا أحبه، فالسعيد من أحبه طبعاً وشرعاً، قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ [طه: 39] فلما ضاقت ذرعا به ألهمت في سرها، وألقي في خلدها، ونفت في روعها، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 7] وذلك أنه كانت دارها على حافة النيل، فاتخذت تابوتا، ومهدت فيه مهداً، وجعلت ترضع ولدها، فإذا دخل عليها أحد ممن تخاف جعلته في ذلك التابوت، وسيرته في البحر، وربطته بحبل

(1) ينظر في هذا تفسير ابن كثير (6/221 وما بعدها)، وتفسير الظلال (5/2677)، والعبرة من قصة موسى -عليه السلام- للباحث محمد خيرى عدوي ص (241) وما بعدها، وهو في الأصل رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الملك عبد العزيز كلية الشريعة والدراسات الإسلامية سنة 1979، 1980م، وكتاب دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند للدكتور محمد ضياء الأعظمي ص (71) وما بعدها، ط مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الثانية 2003م

(2) الشفار جمع شفرة، وهي: ما عرض وحدد من الحديد كحد السيف والسكين. ينظر القاموس المحيط مادة "شفر" ص (418)، ومرهفة: من رهف السيف أي رققه. ينظر القاموس المحيط مادة "رهف" ص (815)، وعلى هذا يكون معنى الشفار المرهفة: السيوف الحادة القاطعة.

عندها، فلما كان ذات يوم دخل عليها من تخافه، فذهبت فوضعتة في ذلك التابوت، وأرسلته في البحر وذهلت عن أن تربطه، فذهب مع الماء واحتمله، حتى مر به على دار فرعون، فالتقطه الجوارى فاحتملنه، فذهبن به إلى امرأة فرعون، ولا يدرين ما فيه، وخشين أن يفتتنن عليها في فتحه دونها، فلما كشفت عنه إذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمله وأحلاه وأبهاه، فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت إليه، وذلك لسعادتها وما أراد الله من كرامتها وشقاوة بعلها؛ ولهذا قال ﴿فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: 8] (1)

2- رد الله موسى لأمه بعد أن حرم عليه المراضع:

لما التقط آل فرعون موسى الطفل الرضيع، وفرحت به امرأة فرعون، قالت لزوجها: ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 9] والتمسوا له المراضع فلم يقبل موسى على أي منهن، كما قال تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: 12-13] ، وقد قدر الله - سبحانه - ذلك ليكون سببا إلى رجوعه إلى أمه، لترضعه وهي آمنة، بعدما كانت خائفة، فلما رأتهم أخته حائرين فيمن يرضعه قالت: (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون) فلما قالت لهم ذلك (ذهبوا معها إلى منزلهم، فدخلوا به على أمه، فأعطته ثديها فالتقمه، ففرحوا بذلك فرحا شديدا، وذهب البشير إلى امرأة الملك، فاستدعت أم موسى ، وأحسنّت إليها، وأعطتها عطاء جزيلا وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة، ولكن لكونه وافق ثديها، ثم سألتها آسية أن تقيم عندها فترضعه، فأبت عليها وقالت: إن لي بعلا وأولادا، ولا أقدر على المقام عندك، ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت، فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك، وأجرت عليها النفقة والصلوات والكساوي والإحسان الجزيل، فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية، قد أبدلها الله من بعد خوفها أمنا، في عز وجه ورزق دار.) (2)

(1) تفسير ابن كثير (6/221 وما بعدها)

(2) المرجع السابق (6/224)

وهكذا عظمت منة الله وفضله على عبده موسى - عليه السلام - فحفظه في الصغر وأعادته إلى أمه لم يمسه سوءا من فرعون وجنده، وقد ذكر الله نبيه موسى - عليه السلام - بمنتته عليه بعد أن كلفه بالرسالة فقال له: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ اقْذِيبِي فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِيبِي فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ [طه: 37-41]

المطلب الثاني: تذكير موسى لفرعون وقومه نعم الله عليهم:

لما دخل موسى وهارون - عليهما السلام - على فرعون لدعوته لعبادة الله الواحد الأحد، وإرسال بني إسرائيل توجه فرعون إليهما بسؤال: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾ [طه: 49]، من ربكما الذي أرسلكما فإني لا أعرفه؟

فقال له موسى - عليه السلام -: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: 50] أي أعطى خليفته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به، أو أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به، فذكره بنعمة الله الذي خلق الخلق من العدم وهياهم لما خلقوا إليه وهدى فطرتهم ثم هداه إلى منكحه، ومطعمه، ومشربه، ومسكنه.

قال فرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ [طه: 51]، فقال موسى: ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: 52] لما سأل فرعون موسى عن أعمال القرون الأولى فأعلمه أنها محصاة عند الله تعالى، ومحفوظة عنده في كتاب، أي هي مكتوبة فسيجازيهم غدا بها وعليها، وعنى بالكتاب اللوح المحفوظ، ومعنى (لا يضل ربي ولا ينسى) لا يضل عنه علم شيء من الأشياء ولا معرفتها، ولا ينسى ما علمه منها، ثم ذكر موسى فرعون وملاه ببعض نعم الله عليهم فقال:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [طه: 53-54]

- النعمة الأولى: نعمة جعل الأرض مهذا أي فراشا وقرارا تستقرون عليها.
- النعمة الثانية: (وسلك لكم فيها سبلا) أي طرقا.
- النعمة الثالثة: (وأنزل من السماء ماء)، وهذا آخر كلام موسى -عليه السلام- ثم قال الله تعالى: " فأخرجنا به"، وقيل: كله من كلام موسى - عليه السلام- والمعنى (فأخرجنا به) أي بالحرث والمعالجة، لأن الماء المنزل سبب خروج النبات، ومعنى (أزواجا) أي أصنافا من النبات المختلفة الأزواج والألوان. (1)

فهنا يبين نبي الله موسى -عليه السلام- لفرعون وملئه بعض نعم الله تعالى فالله جعل الأرض ممهدة سهلة لسالكها، وجعل فيها طرقا يجتازها الناس في ذهابهم وإيابهم، وهو سبحانه الذي يسوق المطر فيخرج بقدرته أصنافا متنوعة مما يأكل الناس وأنعامهم، (إن في ذلك لآيات لأولي النهى) إن فيما ذكر من نعم الله - تعالى- آيات كونية واضحة لأصحاب العقول الرشيدة التي تستطيع أن تدرك أن للكون خالقا عظيما ومدبرا حكيما.

المطلب الثالث: تذكير موسى لبني إسرائيل بنعم الله عليهم:

1- نعمة نجات بني إسرائيل وإهلاك فرعون وجنوده:

أمر الله نبيه موسى -عليه السلام- أن يسري بقومه وينتقل بهم من هذه القرية الظالم أهلها فرارا بدينهم إلى مكان يستطيعون فيه أن يعبدوا ربهم ويظهروا دينهم ويؤدوا شعائرهم، فخرج بهم ليلا متوجها إلى الأرض المقدسة، فلما بلغ فرعون خروجهم أبى أن يتركهم ومنعه غروره بقوته وجبروته أن يتركهم حتى يفروا، وأبى إلا أن يقضي عليهم ويبيدهم قائلا: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ

(1) ينظر تفسير القرطبي (11/205 وما بعدها)

قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لِعَايِطُونَ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿الشعراء: 54-56﴾ ، فاتبع القوم بجنوده وأدركوهم بالفعل عند شاطئ البحر، وبلغ الخوف بقوم موسى مداه، فلم يعد أمامهم أمل في النجاة، فالبحر أمامهم، وفرعون وجنوده من ورائهم، فأيقنوا بالهلاك ﴿فَلَمَّا تَرَأَ الْجُمَعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: 61]، فقال موسى -عليه السلام- وهو الواثق بربه ونصرته وتأيبده: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: 62] ، وجاء الجواب عاجلا: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: 63] ، وأمر موسى -عليه السلام- بنى إسرائيل أن يعبروا فعبروا بين فرقى الماء دون أن يمسه أذى، واقتفى فرعون وجنوده أثرهم طمعا في إدراكهم وعند ما عبر بنو إسرائيل البحر ولم يبق منهم أحد بين المياه المنحسرة، كان فرعون وجنده ما زالوا بين فرقى البحر، فأطبق عليهم وعاد كما كان أولا، فغرقوا جميعا، وبنو إسرائيل ينظرون إليهم في دهشة وسرور، وأسند- سبحانه- فرق البحر إلى ذاته الكريمة، ليدل على أن القوم عبروه وقطعوه وهم بعنايته، وقوله تعالى: (فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ) بيان للمنة العظمى التي امتن بها عليهم، والتي ترتبت على فرق البحر، لأن فرق البحر لهم ترتب عليه أمران: أولهما: نجاتهم، وثانيهما: إهلاك عدوهم وكلاهما نعمة عظيمة، ليعلم بنو إسرائيل أن الله ناصر عباده ومنجيهم، وليس للعبد إلا الأخذ بالسبب، فضرب البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم.. وأنجى الله موسى -عليه السلام- وقومه وأغرق فرعون وجنده. (1)

ومن تمام منة الله على بني إسرائيل أن يريهم جثة فرعون بعد هلاكه تطفو فوق سطح الماء قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: 92] ، وقد امتن الله على بني إسرائيل بهذه النعمة في مواضع عدة من القرآن منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦١﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: 49-50]، وفائدة قوله

(1) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (1/125)

تعالى: (وأنتم تنظرون) أي: "وأغرقناهم وأنتم تنظرون؛ ليكون ذلك أشقى لصدوركم، وأبلغ في إهانة عدوكم." (1)

فرؤية بني إسرائيل لفرعون عدو الله وعدوهم ينظرون إليه هالكا بالغرق هو وجنوده قد تضمنت نعماً كثيرة على بني إسرائيل في الدين والدنيا:

(أما نعم الدنيا فمن وجوه: أحدها: أنهم لما وقعوا في ذلك المضيق الذي من ورائهم فرعون وجنوده وقدامهم البحر، فإن توقفوا أدركهم العدو وأهلكهم بأشد العذاب وإن ساروا غرقوا فلا خوف أعظم من ذلك، ثم إن الله نجاهم بفلق البحر فلا فرج أشد من ذلك.

وثانيها: أن الله تعالى خصهم بهذه النعمة العظيمة والمعجزة الباهرة، وذلك سبب لظهور كرامتهم على الله تعالى.

وثالثها: أنهم شاهدوا أن الله تعالى أهلك أعداءهم ومعلوم أن الخلاص من مثل هذا البلاء من أعظم النعم، فكيف إذا حصل معه ذلك الإكرام العظيم وإهلاك العدو.

أما نعم الدين فمن وجوه:

أحدها: أن قوم موسى لما شاهدوا تلك المعجزة الباهرة زالت عن قلوبهم الشكوك والشبهات، فإن دلالة مثل هذا المعجز على وجود الصانع الحكيم وعلى صدق موسى تقرب من العلم الضروري، فكأنه تعالى رفع عنهم تحمل النظر الدقيق والاستدلال الشاق.

وثانيها: أنهم لما عاينوا ذلك صار داعياً لهم إلى الثبات على تصديق موسى - عليه السلام- والانقياد له وصار ذلك داعياً لقوم فرعون إلى ترك تكذيب موسى - عليه السلام- والإقدام على تكذيب فرعون.

وثالثها: أنهم عرفوا أن الأمور بيد الله فإنه لا عز في الدنيا أكمل مما كان لفرعون ولا شدة أشد مما كانت ببني إسرائيل، ثم إن الله تعالى في لحظة واحدة جعل العزيز ذليلاً والذليل عزيزاً، وذلك يوجب انقطاع القلب عن علائق الدنيا والإقبال بالكلية على خدمة الخالق والتوكل عليه في كل الأمور. (2)

(1) تفسير ابن كثير (1/259)

(2) تفسير الرازي (3/508 وما بعدها) باختصار يسير

فكانت نعمة إهلاك الله عز وجل لفرعون وجنوده من أعظم النعم على بني إسرائيل، ذكرهم بها موسى -عليه السلام-، ليداوموا على شكر الله، ويثنوا عليه بما هو أهله - سبحانه وتعالى - وذكر الله بها أحفادهم في القرآن أيضا ليتبعوا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم مؤمنين به مناصرين لدعوته.

2- نعم الله على بني إسرائيل عندما أقاموا بسيناء:

بعد نجاة بني إسرائيل من فرعون وجنوده وعبورهم البحر بسلام أقاموا بسيناء فأنعم الله عليهم بالكثير من النعم، وقد ورد ذكر ذلك في عدة مواضع من القرآن الكريم على النحو التالي:

أ- تفضيلهم على العالمين في زمانهم:

قال تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 47]، وهذا نداء من الله -تبارك وتعالى- على أحفاد بني إسرائيل من اليهود الذين كانوا يعيشون مع النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، "وقد ذكر الله -تعالى- بني إسرائيل المعاصرين للعهد النبوي بهذه النعم مع أنها كانت لأبائهم، كما يدل عليه سياق الآيات لأن النعم على الآباء نعم على الأبناء لكونهم منهم، ولأن شرف الأصول يسرى إلى الفروع، فكان التذكير بتلك النعم فيه شرف لهم، وحسن سمعة تعود عليهم، وتغريهم بالإيمان والطاعة- لو كانوا يعقلون-، ومن مظاهر، تفضيل الله لبني إسرائيل على عالمي زمانهم، جمعه لهم من المحامد قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم. ما لم يجمع لغيرهم، فقد حياهم بكثير من النعم:

- بعث فيهم عددا كبيرا من الأنبياء.
- ونجاهم من عدوهم.
- ولم يعجل العقوبة عليهم رغم عصيانهم واعتدائهم، واقترافهم شتى ألوان المنكرات عن تعمد وإصرار، ولم ينزل بهم قارعة تستأصلهم بذنوبهم كما استأصل غيرهم كقوم عاد وثمود." (1)

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (1/116)

8- نعمة إنزال التوراة على موسى:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 53]، والمراد بالكتاب التوراة التي أوتيتها موسى -عليه السلام- باتفاق المفسرين، أما الفرقان ففيه عدة أقوال أشهرها:

- الفرقان: هو التوراة، ويكون المراد بالعطف التفسير.
- الفرقان: مأخوذ من الفرق وهو الفصل، استعير لتمييز الحق من الباطل.
- الفرقان: انفراق البحر له حتى صار فرقا فعبروا.
- الفرقان الفرق بينهم وبين قوم فرعون أنجى هؤلاء وأغرق أولئك. (1)

والمعنى: واذكروا يا بني إسرائيل نعمة التوراة، التي آتاها الله موسى -عليه السلام- وفيها منهج الله لكم وبيان الشرائع والأحكام، لكي تهتدوا بها إلى طريق الحق في الدنيا، والسعادة في الآخرة.

ج- تظليل الغمام وإنزال المن والسلوى:

قال تعالى: ﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوٰى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: 57]، ومن نعم الله تعالى على بني إسرائيل أنهم وهم في الصحراء أراهم الله آياته من تظليل الغمام لهم وما ساقه لهم من الطعام الطيب.

"وتذكر الروايات أن الله ساق لهم الغمام يظللهم من الهاجرة، والصحراء بغير مطر ولا سحب، جحيم يفور بالنار، ويقذف بالشواظ، وهي بالمطر والسحاب رخية ندية تصح فيها الأجسام والأرواح.. وتذكر الروايات كذلك أن الله سخر لهم «الْمَنَّ» يجدونه على الأشجار حلواً كالعسل، وسخر لهم «السَّلْوٰى» وهو طائر السماني يجدونه بوفرة قريب المنال، وبهذا توافر لهم الطعام الجيد، والمقام المريح، وأحلت لهم هذه الطيبات. (2)

(1) ينظر تفسير القرطبي (1/399 وما بعدها)

(2) تفسير الظلال (1/72)

د- انفجار اثنتا عشرة عين ماء:

قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: 60]، فامتن الله على بني إسرائيل بقوله لهم: "واذكروا نعمتي عليكم في إجابتي لنبيكم موسى حين استسقاني لكم، وتيسيري لكم الماء، وإخراجه لكم من حجر يحمل معكم، وتفجيرني الماء لكم منه من اثنتي عشرة عينا لكل سبط من أسباطكم عين قد عرفوها، فكلوا من المن والسلوى، واشربوا من هذا الماء الذي أنبعته لكم بلا سعي منكم ولا كد، واعبدوا الذي سخر لكم ذلك، {ولا تعثوا في الأرض مفسدين} ولا تقابلوا النعم بالعصيان فتسلبوها." (1)

وهذه النعمة كانت رحمة من الله بهم، ولولا ذلك لهلكوا من العطش في الصحراء، وأيضا هي من دلائل قدرة الله ومعجزة أجزاها على يد نبيه موسى - عليه السلام.

هـ - نعمة كثرة الأنبياء في بني إسرائيل وجعلهم ملوكا:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَعَاقَبَكُم مَّا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: 20]

أراد نبي الله موسى - عليه السلام - أن يقدم بين يدي إخباره لبني إسرائيل بأمر الله لهم أن يدخلوا الأرض المقدسة فقال: يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم ثم ذكر لهم ثلاث نعم أسبغها الله عليهم:

النعمة الأولى: جعل الله فيهم أنبياء:

فقد اختار الله عددا من الأنبياء من بني إسرائيل؛ كموسى وهارون، واسحق، ويعقوب، ويوسف، - عليهم السلام -، وقد أرسل الله - تعالى - هؤلاء الأنبياء وغيرهم في بني إسرائيل، لكي يخرجوهم من ظلمات الكفر والفسوق والعصيان، إلى نور الهداية والطاعة والإيمان، والتنكير في قوله أنبياء للتكثير والتعظيم، أي: تذكروا يا بني إسرائيل نعم الله عليكم، وأحسنوا شكرها، حيث جعل فيكم أنبياء كثيرين يهدونكم إلى الرشد.

(1) تفسير ابن كثير (1/278)

النعمة الثانية: جعلهم الله ملوكا:

أي: جعلكم أحرارا تملكون أمر أنفسكم بعد أن كنتم مملوكين لفرعون وقومه، الذين كانوا يسومونكم سوء العذاب، فجعلكم تملكون المساكن وتستعملون الخدم، بعد أن كنتم لا تملكون شيئا من ذلك وأنتم تحت سيطرة فرعون وقومه، وهذه النعمة- أي: نعمة الحرية بعد الذل، والسعة بعد الضيق- من النعم العظمى التي لا يقدرها ويحافظ عليها إلا أصحاب النفوس الكبيرة، التي تعاف الظلم، وتأبى الضيم، وتحسن الشكر لله- تعالى-.

النعمة الثالثة: آتاهم الله ما لم يؤت أحدا من العالمين:

فقد آتاهم الله - سبحانه- من ألوان الإكرام والمنن ما لم يؤت أحدا من عالمي زمانهم، فقد فلق لهم البحر فساروا في طريق يابس حتى نجوا وغرق عدوهم، وأنزل عليهم المن والسلوى، ليأكلوا من الطيبات، وفجر لهم من الحجر اثنتي عشرة عينا حتى يعلم كل أناس مشربهم.. إلى غير ذلك من ألوان النعم التي حباهاهم الله- تعالى- بها، والتي كانت تستلزم منهم المبادرة إلى امتثال أوامره، واجتناب نواهيه. (1)

وهكذا نجد أن الله أنعم على بني إسرائيل نعما كثيرة وذكرهم بها رب العزة، وأيضا نبيهم موسى -عليه السلام- من باب التذكير بمنتته وفضله عليهم، ليقرروا الله بالفضل والمنة، ويثنوا عليه بما هو أهله، ويزدادوا إيمانا بالله ورسوله، ويهون عليهم تكليف الله لهم بدخول الأرض المقدسة.

(1) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (4/104 وما بعدها)

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة

موسى - عليه السلام -

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول / الاستفهام.

المبحث الثاني / الجدل.

المبحث الثالث / الحوار.

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة موسى - عليه السلام -

وقد استخدم نبي الله موسى - عليه السلام - المنهج العقلي في دعوته لفرعون وكذلك مع قومه بني إسرائيل بالعديد من فنون القول، يستعرضها الباحث في ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ الاستفهام.

المبحث الثاني/ الجدل.

المبحث الثالث/ الحوار.

المبحث الأول/ الاستفهام

وقد استعمل نبي الله موسى - عليه السلام - أسلوب الاستفهام الاستنكاري في عدة مواضع في دعوته يتناولها الباحث من خلال ستة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: الاستفهام للتشويق في خطابه لفرعون.

المطلب الثاني: إنكاره على قومه لطلبهم طعاما غير المن والسلوى.

المطلب الثالث: إنكاره على قومه في طلبهم تقليد عبدة العجل.

المطلب الرابع: إنكاره على قومه عبادة العجل.

المطلب الخامس: إنكاره على أخيه هارون أنه لم يمنع عبادتهم العجل.

المطلب السادس: إنكاره على السامري إيقاع قومه في الشرك.

المطلب الأول: الاستفهام للتشويق في خطابه لفرعون:

في قوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَّكَّى وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: 18-19]، وهذا القول من موسى - عليه السلام - في دعوته لفرعون قد أمره الله أن يلين القول له فقال مستقهما ومرغبا له لسماع كلامه: (هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَّكَّى)، والهدف من الاستفهام هنا -كما نفهم من السياق- تشويق فرعون إلى الخبر، وإثارة انتباهه، وجعله مترقبا لما سيقوله موسى.

المطلب الثاني: الاستفهام الإنكاري على قومه لطلبهم طعاما غير المن والسلوى:

في قوله تعالى حكاية عن قول موسى لقومه: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: 61]، مربنا أن بني إسرائيل لما كانوا بسيناء ظلل الله عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى فطلبوا طلبا عجيبا من موسى - عليه السلام- فقالوا له: ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا﴾ [البقرة: 61]، فتعجب موسى - عليه السلام- من طلبهم وقال مستفهما استفهما استنكاريا: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: 61] ، لقد كان طلب بني إسرائيل غريبا مستنكرا فهم بسيناء بأطيب عيش وأطيب ماء وطعام، ثم إذا بهم يطلبون ما اعتادوا عليه بمصر، وصدروا كلامهم بما يفيد كراهيتهم لما أنعم الله عليهم به من المن والسلوى بقولهم: (لن نصبر) والصبر حبس النفس على مكروه، والتعبير بـ (لن) المفيدة لتأبيد النفي في اللغة العربية لأداء معنى كلامهم المحكي هنا في شدة الضجر وبلوغ الكراهية منهم حدها الذي لا طاقة عنده.

وقول موسى - عليه السلام-: (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) توبيخ شديد لأنه جرده عن المقنعات وعن الزجر، واقتصر على الاستفهام المقصود منه التعجب فالتوبيخ، وفي الاستبدال للخير بالأدنى النداء بنهاية حماقتهم وسوء اختيارهم، ولذلك قال بعدها: (اهبطوا مصرا) فالأمر في قوله: اهبطوا للإباحة المشوبة بالتوبيخ أي إن كان هذا همكم فاهبطوا بقرينة قوله: (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير)، فالمعنى اهبطوا مصرا من الأمصار، وفيه إعراض عن طلبهم إذ ليس حولهم يومئذ بلد قريب يستطيعون وصوله.

وقيل: أراد اهبطوا مصر أي بلد مصر بلد القبط أي ارجعوا إلى مصر التي خرجتم منها، والأمر لمجرد التوبيخ إذ لا يمكنهم الرجوع إلى مصر. (1)

(1) ينظر تفسير التحرير والتنوير (1/520 وما بعدها)، وقال الطاهر ابن عاشور في تفصيل القول الثاني: واعلم أن مصر على هذا المعنى يجوز منعه من الصرف على تأويله بالبقعة فيكون فيه العلمية والتأنيث، ويجوز صرفه على تأويله بالمكان أو لأنه مؤنث ثلاثي ساكن الوسط مثل هند فهو في قراءة ابن مسعود بدون تنوين وأنه في مصحف أبي بن كعب بدون ألف وأنه ثبت بدون ألف في بعض مصاحف عثمان قاله ابن عطية. التحرير والتنوير (1/524)

المطلب الثالث: الاستفهام الإنكاري على قومه في طلبهم تقليد عبدة العجل:

في قوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ

فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 140]، لما أهلك الله فرعون وجنوده وأنجى بني إسرائيل، مر بنو إسرائيل بقوم يعكفون على أصنام لهم يعبدونها من دون الله فقالوا: ﴿يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: 138]، وهذا يدل على أن بني إسرائيل قد انخلعوا في مدة إقامتهم بمصر عن عقيدة التوحيد، لأنهم لما كانوا في حال ذل واستعباد ذهب علمهم وتاريخ مجدهم واندمجوا في ديانة الغالبين لهم فلم تبق لهم ميزة تميزهم إلا أنهم خدمة وعبيد، وكفى بالأمة خسة عقول أن تعد القبيح حسنا، وأن تتخذ المظاهر المزينة قدوة لها، وأن تنخلع عن كمالها في اتباع نقائص غيرها.

هنا غضب نبيهم موسى -عليه السلام- من كلامهم، وكان جوابه بعنف وغلظة، لأن ذلك هو المناسب لحالهم فقال: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [١٣٨] إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ [الأعراف: 138-140]، والاستفهام بقوله: (أغير الله أبغيتكم إلها) للإنكار والتعجب من طلبهم أن يجعل لهم إلها غير الله. (1)

المطلب الرابع: إنكاره على قومه عبادة العجل:

في قوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ [طه: 86]، بعد أن أهلك الله -تعالى- فرعون وجنوده، سار بيني إسرائيل متجها ناحية جبل الطور، ثم تركهم واستخلف عليهم أخاه هارون، وذهب لمناجاة ربه فأخبره - سبحانه - بما أحدثه بنو إسرائيل في غيبته عنهم، قال الله - تعالى - لموسى: ﴿وَمَا أَغْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ [٨٦] قَالَ هُمْ أَوْلَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَاجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٧﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٨﴾ [طه: 85-83]، لقد تفاجأ موسى -عليه السلام- بالأمر وفضاعته وأصابه الغضب الشديد بعد أن علم بضلال قومه، وعبادتهم العجل كما ذكر القرآن الكريم: ﴿فَرَجَعَ

(1) ينظر المرجع السابق (9/81 وما بعدها)

موسى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَنَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ [طه: 86] والاستفهام في قوله: (يا قوم أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا) وكذا قوله: (أطفال عليكم العهد) استفهام إنكاري، أي: "قال لهم على سبيل الزجر والتوبيخ: (يا قوم أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا) لا سبيل لكم إلى إنكاره، ومن هذا الوعد الحسن: إنزال التوراة لهدايتكم وسعادتكم، وإهلاك عدوكم أمام أعينكم. فلماذا أعرضتكم عن عبادته وطاعته مع أنكم تعيشون في خيرته ورزقه؟ ثم زاد في تأنيبهم وفي الإنكار عليهم فقال: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ [طه: 86] ، فالاستفهام في قوله أطفال.. للنفي والإنكار وأم منقطعة بمعنى، بل.

والمعنى: "أطفال عليكم الزمان الذي فارقتكم فيه؟ لا إنه لم يطل حتى تنسوا ما أمرتكم به، بل إنكم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم، فأخلفتم مواعيدي الذي وعدتموني إياه وهو أن تثبتوا على إخلاص العبادة لله- تعالى.-" (1)

المطلب الخامس: إنكاره على أخيه هارون أنه لم يمنع عبادتهم العجل:

في قوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾﴾ [طه: 92-93]، والاستفهام هنا استنكاري ينكر على أخيه أنه لم يخبره أول وقوع الأمر وقد استخلفه على بني إسرائيل؟

المطلب السادس: إنكاره على السامري إيقاع قومه في الشرك:

في قوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِي﴾ [طه: 95] ، وبعد انتهاء موسى من سماع هارون، اتجه للتحقيق والمساءلة للسامري فقال له مستنكرا وموبخا: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِي﴾ [طه: 95] ، فالاستفهام هنا

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (9/138)

للاستنكار والتوبيخ، أي: "ما حملك على ما صنعت؟ وما الذي عرض لك حتى فعلت ما فعلت؟" (1)

المبحث الثاني/ الجدل

استعمل نبي الله موسى -عليه السلام- هذا الأسلوب الدعوي في تبليغه الرسالة لفرعون، ثم كان له مجادلة مع سحرة فرعون لردهم عن مناصرة الباطل بالباطل، ثم مع قومه بني إسرائيل، لبيان الرسالة التي أرسله الله بها، ورد الشبهات التي كان قومه يثيرونها بين الحين والآخر، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك في عدة مواضع يتناولها الباحث من خلال مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: مجادلة موسى -عليه السلام- مع فرعون.

المطلب الثاني: مجادلة موسى -عليه السلام- مع السحرة.

المطلب الثالث: مجادلة موسى -عليه السلام- مع قومه بني إسرائيل.

المطلب الرابع: مجادلة موسى -عليه السلام- لقومه في عبادة العجل.

المطلب الخامس: مجادلة موسى لأخيه هارون.

المطلب السادس: مجادلة موسى -عليه السلام- للسامري.

المطلب الأول: مجادلة موسى -عليه السلام- مع فرعون:

توجه موسى ومعه أخاه هارون - عليهما السلام- إلى فرعون وملئه لدعوتهم إلى الحق بعبادة الله وحده ورفع العذاب عن بني إسرائيل وقد جاءت الآيات مبينة هذا الحوار في قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ

(1) تفسير ابن كثير (5/313)

عُمْرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا
وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ
الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُّنْهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ [الشعراء: 16-22] ،
ويفهم من السياق أن هناك اختصار في الأحداث من ناحية دخول موسى - عليه
السلام- وهارون على فرعون وقولهما إنا رسول رب العالمين، فبماذا أجاب
فرعون؟ توجه فرعون بالخطاب لموسى فقط لأنه فهم أن المتكلم هو موسى وأن
هارون تبع له، وقد أراد فرعون إبطال ما قاله موسى فقال:

1- ألم نربك فينا وليدا أي: ألم يسبق لك أنك عشت في منزلنا، ورعيناك وأنت
طفل صغير، ولبثت فينا من عمرك سنين عددا.

2- ثم ذكره بحادثة قتل القبطي فقال متهمكما مستهزئا: (وفعلت فعلتك التي
فعلت) بعد هذا قابلت ذلك الإحسان بتلك الفعلة، وهي قتلك لرجل من
شييعتي، وقوله هذا تهويل مراد به التفضيع وأنها مشتهرة معلومة مع تحقيق
إلصاق تبعتها به حتى لا يجد تنصلا منها.

3- (وأنت من الكافرين) أي: وأنت من الجاحدين بعد ذلك لنعمتي التي أنعمتها
عليك، بتربيتك ورعايتك، فهل هذا جزاء إحساني إليك؟ فجعل فرعون
انتصار موسى لرجل من عشيرته كفرانا لنعمة فرعون لأنه يرى واجب
موسى أن يعد نفسه من قوم فرعون فلا ينتصر لإسرائيل!!

وهكذا جمع فرعون كل ما حسبه ردا قاتلا لا يملك موسى معه جوابا، ولا
يستطيع مقاومة، وبخاصة حكاية القتل، وما يمكن أن يعقبها من قصاص، يتهدده
به من وراء الكلمات!

فماذا كان رد موسى؟

قال موسى: أنا لا أنكر أنني قد فعلت هذه الفعلة التي تذكرني بها، ولكني فعلتها
وأنا في ذلك الوقت من الضالين، قبل أن يشرفني الله بوحيه، ويكلفني بحمل
رسالته، وفضلا عن ذلك فأنا كنت أجهل أن هذه الوكزة تؤدي إلى قتل ذلك
الرجل من شييعتك، لأنني ما قصدت قتله، وإنما قصدت تأديبه، ومنعه من الظلم
لغيره.

ثم أضاف موسى إلى هذا الرد الملزم لفرعون ردا آخر أشد إلزاما
وتوبيخا؛ حيث بين أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد بني إسرائيل، لأن تعبيدهم

وقصدهم بالذبح لأبنائهم هو السبب في وجوده عنده وتربيته، فكأنه امتن عليه بتعبيد قومه، وتذليلهم واتخاذهم خدماً له، فهل هذا هو ما تمنه علي، وهل هذا هو فضلك العظيم؟!

ونلاحظ في هذه المجادلة عدة أمور:

1- ابتداء فرعون رده على موسى بمحاولة تصغير شأنه للتقليل مما جاء به بذكر تربيته في قصر فرعون وليداً، ثم لَوْح بمعاقبته عن جريمته التي فعلها وهي قتل القبطي، ورماء بجحود النعمة والإحسان.

2- رد موسى -عليه السلام- في ثبات ورباطة جأش معترفاً بالفعل، فابتدأ بالإقرار بفعلته ليعلم فرعون أنه لم يجد لكلامه مدخل تأثير في نفس موسى -عليه السلام-، وذكر ما نشأ عنها من خير له، ليدل على أنه حمد أثرها وإن كان قد اقتربها غير مقدر ما جرت به إليه من خير.

3- ابتداء موسى -عليه السلام- بالجواب عن الأهم من كلام فرعون وهو: (وفعلت فعلتك) [الشعراء: 19] ليظهر لفرعون أنه لا يخشى مطالبتهم إياه بثأر ذلك القتل ثقة بأن الله ينجيه من عدوانهم.

4- وبهذا يظهر وجه الاسترسال في الجواب بقوله: (فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين)، أي فكان فراري قد عقبه أن الله أنعم علي فأصلح حالي و علمني وهداني واصطفاني رسولاً، وبهذا الجواب التوبيخي أفحم موسى -عليه السلام- فرعون، وجعله يحول الحديث عن هذه المسألة التي تتعلق بتربيته لموسى إلى الحديث عن رب العالمين، وقد حكى القرآن ذلك في قوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ٢٤ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ٢٥ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ٢٧ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ٢٨ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ٢٩ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ٣٠ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٣١ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ٣٣﴾ [الشعراء: 23-33]، إذن المجادلة أخذت

مسار السؤال والجواب، فكان فرعون يسأل، وموسى -عليه السلام- يجيب ثم يعقب فرعون على الجواب على النحو التالي:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 23]، وهذا السؤال يدل على طغيان

فرعون- قبحه الله- وتجاوزه كل حد في الفجور، فإن هذا السؤال يحمل في طياته استنكار أن يكون هناك إله سواه، كما حكى عنه القرآن في قوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: 38]، فهو ينكر رسالة موسى -عليه السلام- من أساسها. (1)

وهنا يرد موسى بقوله: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ

مُوقِنِينَ﴾ [الشعراء: 24]

وهنا يلتفت فرعون إلى من حوله ليشاركوه التعجب مما قاله موسى وليصرفهم عن التأثير بما سمعوه منه: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء:

25]، وقد أراد فرعون من عجبه أن يصرفهم عن التأثير به، على طريقة الجبارين الذين يخشون تسرب كلمات الحق البسيطة الصريحة إلى القلوب.

ولكن موسى -عليه السلام- لم يمهلهم حتى يردوا على فرعون، بل أكد لهم وحدانية الله- تعالى- وهيمنته على هذا الكون فقال: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: 26]، فكيف تتركون عبادته، وتعبدون عبدا من عباده ومخلوقا من مخلوقاته هو فرعون؟

(1) يقول العلامة الطاهر بن عاشور: (فقد كانت عقائد القبط تثبت آلهة متفرقة قد اقتسمت التصرف في عناصر هذا العالم وأجناس الموجودات، وتلك العناصر هي العالمون ولا يدينون بإله واحد، فإن تعدد الآلهة المتصرفة ينافي وحدانية التصرف، فلما سمع فرعون من كلام موسى -عليه السلام- إثبات رب العالمين قرع سمعه بما لم يألفه من قبل لاقتضائه إثبات إله واحد وانتفاء الإلهية عن الآلهة المعروفة عندهم، على أنهم كانوا يزعمون أن فرعون هو المجتبي من الآلهة ليكون ملك مصر. فهو مظهر الآلهة الأخرى في تدبير المملكة (قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي) [الزخرف: 51]، وبهذا الانتساب إلى الآلهة وتمثيله إرادتهم في الأرض كان فرعون يدعى إلهًا). أ. هـ من تفسير التحرير والتنوير (19/116)

وهنا لم يملك فرعون إلا الرد الدال على إفلاسه وعجزه، فقال ملتفتا على سبيل السخرية بموسى مخاطبا أشراف قومه: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: 27]، وسماه رسولا على سبيل الاستهزاء، وجعل رسالته إليهم لا إليه، لأنه- في زعم نفسه- أكبر من أن يرسل إليه رسول.

ولكن هذا التهكم وهذا القذف لا يفت في عضد موسى -عليه السلام- فيمضي في طريقه يصدع بكلمة الحق التي تزلزل الطغاة والمتجبرين: فقال: ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: 28]، ربنا رب المشرق والمغرب، وخصهما بالذكر لأنهما من أوضح الأدلة على وحدانية الله- تعالى- وقدرته ولأن فرعون أو غيره من الطغاة لا يجراً ولا يملك ادعاء تصريفهما، أو التحكم فيهما على تلك الصورة البديعة المطردة، والتي لا اختلال فيها ولا اضطراب، وجملة إن كنتم تعقلون حض لهم على التعقل والتدبر، وتحذير لهم من التمادي في الجحود والعناد.

ولكن فرعون- وقد شعر بأن حجة موسى قد ألقته حجرا انتقل من أسلوب المحاوراة في شأن رسالة موسى إلى التهديد والوعيد- شأن الطغاة عند ما يعجزون عن دفع الحجة بالحجة، فقال لموسى: ﴿قَالَ لَئِن أُتِّخِذتْ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: 29]، فهذا شأنى مع كل من يتمرّد على عبادتي، ويخالف أمري.

ولكن موسى -عليه السلام- لم يخفه هذا التهديد والوعيد، بل رد عليه ردا حكيما فقال له: ﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: 30]، يدل دلالة واضحة على صدقي في رسالتي، وعلى أنى رسول من رب العالمين؟ وعبر عن المعجزة التي أيده الله بها بأنها شيء مبين للتهويل من شأنها، والتفخيم من أمرها.

وهنا وجد فرعون نفسه مضطرا أن يقول لموسى: ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: 31]

وهنا كشف موسى -عليه السلام- عما أيده الله- تعالى- به من معجزات حسية خارقة ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ

لِلنَّاطِرِينَ ﴿٣٣﴾ [الشعراء: 32-33]، فألقى موسى عصاه على الأرض أمام فرعون وقومه فإذا هي ثعبان مبین، ونزع يده أي: من جيبه فإذا هي بيضاء للناظرين بياضا يخالف لون جسمه- عليه السلام-، من غير سوء ولا مرض.

وهنا أحس فرعون بالرعب يسرى في أوصاله، وبأن ألوهيته المزعومة قد أوشكت على الانكشاف، وبأن معجزة موسى -عليه السلام- توشك أن تجعل الناس يؤمنون به، فالتفت إليهم وكأنه يحاول جذبهم إليه، واستطلاع رأيهم فيما شاهدوه، ويحكي القرآن ذلك بأسلوبه البليغ فيقول: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا

لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالَوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا تُوتُوكِ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ [الشعراء:

34-37]، فروج عليهم فرعون أن هذا من قبيل السحر لا من قبيل المعجزة، ثم هيجهم وحرضهم على مخالفته، والكفر به، فقال {يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون}؟ أي: أراد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا، فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه ويغلبكم على دولتكم، فيأخذ البلاد منكم، فأشيروا على فيه ماذا أصنع به؟ {قالوا أرجه وأخاه وأبعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم} أي: أخره وأخاه حتى تجمع له من مدائن مملكتك وأقاليم دولتك كل سحار عليم يقابلونه، ويأتون بنظير ما جاء به، فتغلبه أنت وتكون لك النصره والتأييد، فأجابهم إلى ذلك، وكان هذا من تسخير الله تعالى لهم في ذلك؛ ليجتمع الناس في صعيد واحد، ولتظهر آيات الله وحججه وبراهينه على الناس في النهار جهرة.

ونلاحظ من هذه المجادلة عدة أمور:

1- تميز حوار موسى مع فرعون بالوضوح في الدعوة وبيان الاعتقاد الصحيح في الله عز وجل، وبطلان ما كان يعتقد فرعون وقومه من عبادة غير الله وتأليه فرعون، وأيضا في ردوده على شبهات فرعون نلاحظ قوة في الحجة والبيان وعدم مجاملة أو مواربة.

2- سؤال فرعون عن رب العالمين سؤال المتنكر للقول من أساسه، المتهمك على القول والقائل، المستغرب للمسألة كلها حتى ليراها غير ممكنة التصور، غير قابلة لأن تكون موضوع حديث!

- 3- جواب موسى -عليه السلام- يكافئ ذلك التجاهل ويغطيه: إنه رب هذا الكون الهائل الذي لا يبلغ إليه سلطانك- يا فرعون- ولا علمك، وقصارى ما ادعاه فرعون أنه إله هذا الشعب وهذا الجزء من وادي النيل، وهو ملك صغير ضئيل، كالذرة أو الهباءة في ملكوت السماوات والأرض وما بينهما.
- 4- قول فرعون للملأ حوله (ألا تستمعون؟) نزلهم منزلة من لم يستمع تهييجا لنفوسهم كي لا تتمكن منهم حجة موسى -عليه السلام-.
- 5- أراد نبي الله موسى أن يطرق سمع فرعون بأن رب العالمين هو ربه، فما هو إلا واحد من عبيده، لا إله كما يدعي بين قومه! وهو رب قومه، فليس فرعون ربهم كما يزعم عليهم! وهو رب آبائهم الأولين، فالوراثة التي تقوم عليها ألوهية فرعون دعوى باطلة، فما كان من قبل إلا الله ربا للعالمين!
- 6- احتد فرعون ووصف موسى بالجنون، فهو يريد أن يتهمك على مسألة الرسالة في ذاتها، فيبعد القلوب عن تصديقها بهذا التهمك، لا أنه يريد الإقرار بها والاعتراف بإمكانها.
- 7- وهكذا نلاحظ انتقال موسى -عليه السلام- بهم من دليل إلى دليل على وحدانية الله وقدرته، ومن حجة إلى حجة، ومن أسلوب إلى أسلوب لكيلا يترك مجالا في عقولهم للتردد في قبول دعوته.
- 8- واستدلال موسى -عليه السلام- بالمشرق والمغرب هو استدلال بمشاهدين لا يجرؤ فرعون ولا غيره من المتجبرين أن يدعي تصريفهما، فمن يصرفهما إذن ومن ينشئهما بهذا الاطراد الذي لا يتخلف مرة ولا يبطن عن أجله المرسوم؟
- 9- أيضا دعاهم موسى -عليه السلام- للاستدلال العقلي لعدة أغراض: يدعوهم إلى التدبر والتفكير ليعاودوا النظر فيدركوا وجه الاستدلال، أي إن كنتم تعملون عقولكم، وقوله هذا كناية عن كون جميع الأرض ملكا لله، وهذا استدلال عرفي إذ لم يكونوا يعرفون يومئذ ملكا يملك ما بين المشرق والمغرب، وما كان ملك فرعون المؤله عندهم إلا لبلاد مصر والسودان، ومن اللطائف جعل ذلك مقابل قول فرعون: (إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون) [الشعراء: 27]، لأن الجنون يقابله العقل، فقال: إن كنتم تعقلون أي إن كنتم أنتم العقلاء، أي فلا تكونوا أنتم المجانين.

10- تهديد فرعون لموسى - عليه السلام- بالسجن دليل العجز، وعلامة الشعور بضعف الباطل أمام الحق الدافع.

11- قول موسى - عليه السلام- لفرعون: ﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:

30] فيه إشارة أن التهديد لم يهزه، أو يغير موقفه، وأيضا فيه إخراج لفرعون أمام الملأ الذين استمعوا لما سبق من قول موسى - عليه السلام- ولو رفض الإصغاء إلى برهانه المبين لدل على خوفه من حجته، وهو يدعي أنه مجنون..

ومن ثم وجد نفسه مضطرا أن يطلب منه الدليل: ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: 31]، فهو ما يزال يشكك في موسى خيفة أن تترك حجته في نفوس القوم شيئا.

12- ظهور معجزة اليد والعصا في مقابل التهديد بالسجن إرهاب لفرعون وإظهار لضعفه أمام الملأ، وتعزية له أمامهم وكشف لحقيقته وهي أنه بشر وليس إله ولا نصف إله.

13- إظهار موسى - عليه السلام- لهاتين الخارقتين جعل فرعون يحس بضخامة المعجزة وقوتها فأسرع يقاومها ويدفعها وهو يحس ضعف موقفه، ويكاد يتملق القوم من حوله ويهيج مخاوفهم من موسى وقومه، ليغطي على وقع المعجزة المنزللة: ﴿قَالَ لِلْمَلَآئِكَةِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ

أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الشعراء: 34-35]

14- وفي قولة فرعون هذه يبدو إقراره بعظمة المعجزة وإن كان يسميها سحرا فهو يصف صاحبها بأنه ساحر «عليم». ويبدو ذعره من تأثير القوم بها فهو يخبرهم به: «يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ» ويبدو تضعفه وتهاويه وتواضعه للقوم الذين يجعل نفسه لهم إله، فيطلب أمرهم ومشورتهم: «فماذا تأمرون؟» ومتى كان فرعون يطلب أمر أتباعه وهم له يسجدون! (1)

وهكذا نجح موسى - عليه السلام- في مواجهته الأولى مع فرعون وملئه أن يقيم عليهم الحجة، ويستدل عليها، ويبطل حجتهن الباهتة، وينتقل من المواجهة

(1) ينظر تفسير ابن كثير (6/137 وما بعدها) وتفسير الظلال (5/2590 وما بعدها) وتفسير التحرير والتنوير (19/110 وما بعدها) والتفسير الوسيط لطنطاوي (10/238)

المحدودة بقصر فرعون إلى المواجهة العلنية مع السحرة أمام الناس جميعا وقت الضحى يوم عيدهم.

المطلب الثاني: مجادلة موسى - عليه السلام- مع السحرة:

لما أظهر الله معجزتي اليد والعصا على يد موسى -عليه السلام- أراد فرعون أن يظهر للملأ أن ما جاء به موسى إنما هو سحر، ونحن عندنا من السحرة الكثير ونستطيع إبطال سحرك يا موسى بسحر مثله، قال تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾ [طه: 57-58] ، ونلاحظ من نبرة فرعون في الكلام أنه يتكلم وكأنه متيقن من غلبة سحرته لسحر موسى كما زعم- بل وفوضه لاختيار الزمان والمكان، وطلب منه ألا يخلف الموعد، وقبل موسى التحدي فقال: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: 59] والمراد بيوم الزينة: " يوم عيدهم ونيروزهم وتفرغهم من أعمالهم واجتماعهم جميعهم؛ ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء، ومعجزات الأنبياء، وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية، ولهذا قال: {وأن يحشر الناس} أي: جميعهم {ضحى} أي: ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح، وهكذا شأن الأنبياء، كل أمرهم واضح، بين، ليس فيه خفاء ولا ترويح؛ ولهذا لم يقل "ليلا" ولكن نهارا ضحى "(1)

إن اختار موسى -عليه السلام- هذا الموعد لعدة أهداف:

- يوم العيد لأنه سيضمن بذلك حضور أكبر عدد من الناس لأنه يوم إجازة، وعادة الناس الخروج يوم العيد.
- جمع الناس وقت الضحى ليكون كل شيء واضح وبيّن.
- إظهار الحق برؤية الناس جميعا لمعجزة موسى -عليه السلام-.
- خزي فرعون وملئه على رؤوس الأشهاد.
- أن يتحدث من حضروا عما رأوا بأعينهم، وهذا سيكون أكبر دعاية لدعوة موسى -عليه السلام- فيشيع أمره ذلك بين الجميع.

(1) تفسير ابن كثير (5/300)

وجمع فرعون أمهر السحرة، ونفهم هذا من قول الملائم من قوم فرعون ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 37] فصيغة المبالغة تدل على اختيار من له براعة في السحر وكذلك وصفه بأنه عليم يدل على خبرته الطويلة في هذا الشأن، فجمع كبار سحرته من أطراف مملكته ثم أتى بهم في الموعد المحدد، ليتحدى موسى، وحشر الناس مجتمعين، كما ذكر القرآن ذلك مفصلاً في عدة مواضع منه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ ٦٥ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ٦٦ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ٦٧ قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى ٦٨ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ٦٩ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى ٧٠ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ٧١ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ٧٢ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ٧٣ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ٧٤ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ٧٥ ﴿طه: 70-60

وبدأت المناظرة بتوجيه موسى تحذيراً مباشراً وقويا للسحرة قائلاً: ﴿قَالَ

لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ [طه: 61] ويلكم جنتم لإثبات باطل فرعون بالسحر، وتوافقونه في القول بأن ما جننت به سحراء، وليس معجزة أجراها الله على يدي؟

"فلا تخيلوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لا حقائق لها، وأنها مخلوقة، وليست مخلوقة، فتكونون قد كذبتهم على الله " (1)

(1) تفسير ابن كثير (5/301)

فإنكم بفعلكم هذا تستحقون الإهلاك من الله، فلا تخيبوا خيبة فرعون بموافقته على افترائه وطاعة أمره.

وفي هذه النصيحة قبل المناظرة عدة فوائد:

- توجيه الدعوة إلى السحرة بعدم مجاراة فرعون في باطله.
- إظهار قوة موسى - عليه السلام - وصلابته في الحق.
- أن الحق لا يعرف بالكثرة فلم يكن إلا موسى وأخاه هارون - عليهما السلام - أمام فرعون وملئه وعشرات السحرة، والآلاف من الناس.
- زعزت هذه النصيحة الثقة في قلوب بعض السحرة وحدث نزاع بينهم هل موسى - عليه السلام - ساحر أم نبي حقا؟ وهل هو صراع على الملك والسلطة، فجاء موسى - عليه السلام - ينازع فرعون في سلطانه ويريد أن يجعل المكانة والسلطة لبني إسرائيل، ويخرجنا من أرضنا، ويغير علينا ديننا؟ قال تعالى حكاية عنهم: ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ [طه: 62-64]

- فهاتان الآيتان تشيران إلى خوف السحرة من نصيحة موسى - عليه السلام - وإلى أنهم قاموا بالتناجي بينهم سرا بحيث لا يسمعون أحد، وتواصلوا بجمع كلمتهم والاجتهاد في إحكام سحرهم، وعدم الالتفات لكلام موسى - عليه السلام - حتى لا يخسروا المواجهة، ويكون فوزهم سببا للحظوة والمكانة عند فرعون، والشهرة الواسعة بين الناس.

وابتدأت المنازلة فقال السحرة لموسى: ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ [طه: 65] وقولهم هذا علامة على ثقتهم بأنفسهم وشعورهم بالزهو والقوة والتحدي لموسى - عليه السلام -.

فقال لهم موسى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ [طه: 66] فجعل البدء لهم ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ [طه: 66] فإذا حبالهم وعصيهم التي طرحوها،

جعلت موسى - عليه السلام- لشدة اهتزازها واضطرابها- يخيل إليه من شدة سحرهم، أن هذه الحبال والعصى حيات تسعى.

" وذلك أنهم أودعوها من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميد، بحيث يخيل للناظر أنها تسعى باختيارها، وإنما كانت حيلة، وكانوا جمًّا غفيرا، وجمعا كبيرا فألقى كل منهم عصا وحبالا حتى صار الوادي ملآن حيات، يركب بعضها بعضا. " (1)

وامتلأت أرض المبارزة بالحيات لدرجة أن موسى - عليه السلام- أضمر الخوف في نفسه بمقتضى الطبيعة البشرية، أو " خاف على الناس أن يفتنوا بسحرهم ويغترون بهم قبل أن يلقي ما في يمينه " (2)

فثبتته الله- تعالى- وأوحى إليه بقوله: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ وَآتَىٰ

مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: 68-69] ، إنه مشهد جليل مهيب يلقي موسى - عليه السلام- عصاه فإذا هي تنقلب حية حقيقية وليست سحرا لأعين الناس كما فعل السحرة، بل وهذه الحية تلقف ما صنعوا، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا

صَٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: 117-119] ، فأقام الله حجته وظهر برهان صدق رسوله، ثم كانت بعد ذلك المفاجأة العظيمة، فقد آمن السحرة وسجدوا لله رب العالمين حين رأوا بأعينهم برهان صدق موسى - عليه السلام-، وهم أعرف الحاضرين بأن ما أتوا به هو سحر لأعين الناس، وأن ما جاؤوا به باطل وأن ما جاء به موسى هو الحق، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: 120-122] " سبحان الله ما أعجب أمرهم! قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما

(1) تفسير ابن كثير (5/302)

(2) المرجع السابق (5/302)

أعظم الفرق بين الإلقاءين! " (1)

وقد جعل الله تعالى ما حدث برهانا واضحا لكل ذي عينين دالا على صدق نبيه موسى -عليه السلام- ، وعلوه بالمعجزة التي أجراها على يديه، وخذلان فرعون وخيبتته يومئذ بإيمان السحرة الذين جاء بهم فرعون لإبطال معجزة موسى -عليه السلام- ، فانقلب الأمر عليه، وأمن السحرة أجمعين فتوعدهم قائلا: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَبُتَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَئِينَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: 71] فلم يردهم ذلك أبدا عن يقينهم وإيمانهم بالله ورسوله فقالوا: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (٧٣) إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (٧٤) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ (٧٥) جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ (٧٦) ﴿[طه: 72-76] سبحان الله! " كانوا أول النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء بررة" (2)

وهكذا انتهت المناظرة بخسارة فرعون وخذلانه، وسقوط هيئته أمام جموع الناس، بل وإيمان السحرة الذين استعان بهم على موسى -عليه السلام- - عليه السلام-، وظهور أمر موسى -عليه السلام- وصدقه، وإيدان برفع الظلم عن قومه.

(1) تفسير الكشاف للزمخشري (3/75)

(2) تفسير ابن كثير (5/303)

المطلب الثالث: مجادلة موسى - عليه السلام- مع قومه بني إسرائيل:

1- طلبهم من نبيهم أن يجعل لهم أصناما آلهة:

لما أهلك الله فرعون وجنوده بقدرته، وأنجى موسى - عليه السلام- وبني إسرائيل برحمته، أتى بنو إسرائيل على قوم يعبدون أصناما لهم، فطلبوا من نبيهم أن يجعل لهم إلهة كآلهتهم!! قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ [الأعراف: 138] ، لقد أراهم الله آية عظيمة، وأنعم عليهم بالنجاة، وأراهم غرق فرعون وجنوده، وكان المتوقع منهم استنكار أن يكون هناك من يعبد إلهة غير الله، ويحمدوا الله ويعظموه ويوحدوه، والعجب أنهم يطلبون من نبيهم هذا الطلب، أن يصنع لهم هو بنفسه هذا الصنم.

"وهذا يدل على أن بني إسرائيل قد انخلعوا في مدة إقامتهم بمصر عن عقيدة التوحيد وحنيفية إبراهيم ويعقوب التي وصى بها في قوله: (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) [البقرة: 132] لأنهم لما كانوا في حال ذل واستعباد ذهب علمهم وتاريخ مجدهم واندمجوا في ديانة الغالبين لهم فلم تبق لهم ميزة تميزهم إلا أنهم خدمة وعبيد." (1)

فغضب موسى - عليه السلام- من كلامهم غضبا شديدا، ووصفهم بأنهم قوم يجهلون لا يفرقون بين التوحيد والشرك، أو بين الحق والضلال: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبِاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ [الأعراف: 138-141]، وبين لهم فساد ما عليه هؤلاء القوم الذين يريدون تقليدهم بأن ما هم عليه باطل وتالف، ولن تعود عبادته عليهم بنفع أو ضرر، ثم ذكرهم بما أنعم الله عليهم من نعم جزيلة، يجب عليهم شكرها، وهي أنه أنعم عليهم بأن فضلهم على العالمين في

(1) تفسير التحرير والتنوير (9/81)

زمانهم فهو وحده -تبارك وتعالى- المستحق للعبادة، قال: (أغير الله أبغىكم إليها وهو فضلكم على العالمين) ثم ذكرهم بنعمة إنجائهم من فرعون وجنوده الذين استعبدوهم واستذلوهم، وعاملوهم أسوأ معاملة، وكان من البلاء العظيم أنهم كانوا يقتلون أبناءهم ويستحيون نساءهم ليكن في خدمتهم ورهن إشارتهم، وهذا من أعظم الذل والمهانة، فالذكور تقتل والبنات تعد ليكن خادمات.

فتضمن رد موسى -عليه السلام- عدة أمور:

- التهكم على ما قالوا، واثبات جهلهم بريهم.
- التأكيد على فساد ما طلبوه وأنه باطل لا ينفع في الدنيا ولا في الآخرة.
- الغضب الشديد والاستنكار.
- الله وحده هو المستحق للعبادة.
- التذكير بنعم الله العظيمة عليهم يقصد منه التوبيخ لمقابلتهم الإحسان من الله بالجحود وطلب عبادة غيره.

2- عدم صبرهم على أكل المن والسلوى:

لما أقام بنو إسرائيل في سيناء بعد نجاتهم من فرعون وجنوده أنعم الله عليهم، بنعم كثيرة فظلل عليهم الغمام وأنزل المن والسلوى، وتفجرت لهم اثنتا عشرة عينا، فبدر منهم طلبا غريبا من نبيهم وكأنهم ملوا من النعمة، واشتاقوا لعيشهم الخشن قبل ذلك بمصر وقد كانوا يأكلون البقل والقثاء والثوم والعدس والبصل، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ

فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا

وَبَصَلِهَا ۗ﴾ [البقرة: 61]، والتعبير بقولهم: (لن نصبر) يوحي بکراهة النعمة التي

أنعم الله بها عليهم إذ عبروا عن تناولها بالصبر- والصبر هو حمل النفس على الأمر المكروه، فهو تعبير يشعر بشدة ضجرهم، وبلوغ الكراهية لهذا الطعام منهم منتهاها؛ مع ما في صيغة طلبهم من الجفاء وقلة الأدب مع الرسول ومع المنعم إذ قالوا: لن نصبر فعبروا عن تناول المن والسلوى بالصبر المستلزم الكراهية وأتوا بما دل عليه (لن) فإن (لن) تدل على استغراق النفي لأزمة فعل نصبر من أولها إلى آخرها وهو معنى التأييد، وقولهم: فادع لنا ربك ولم يقولوا

ربنا، لعدم رسوخ الإيمان في قلوبهم، ولأنه سبحانه- قد اختصه بما لم يعط مثله من مناجاته وتكليمه وإيتائه التوراة. (1)

فوبخهم موسى - عليه السلام- بقوله: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: 61] أي: "أختارون الذي هو أقل فائدة وأدنى لذة، وتتركون المن والسلوى وهو خير مما تطلبون لذة وفائدة؟ انزلوا إلى مصر من الأمصار فإنكم تجدون به ما طلبتموه من البقول وأشباهها." (2)

والجملة الكريمة: أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير من مقول موسى - عليه السلام- لهم، وفيها توبيخ شديد لهم على سوء اختيارهم، وضعف عقولهم، لإيثارهم الأدنى وهو البقل وما عطف عليه، على ما هو خير منه وهو المن والسلوى، ثم أضاف موسى - عليه السلام- إلى توبيخهم السابق على بطرهم وجحودهم توبيخا آخر فقال لهم: اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم أي إذا كان هذا هو مرغوبكم، فاتركوا هذا المكان، وانزلوا إلى مصر من الأمصار، لكي تجدوا ما سألتموني إياه من البقل والثوم وأشباههما، لأن ما اخترتموه لا يوجد في المكان الذي حللتم به، وإنما يوجد في الأمصار والقرى.

فالأمر في قوله: اهبطوا للإباحة المشوبة بالتوبيخ أي إن كان هذا همكم فاهبطوا بقرينة قوله: أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير فالمعنى اهبطوا مصرا من الأمصار يعني وفيه إعراض عن طلبهم إذ ليس حولهم يومئذ بلد قريب يستطيعون وصوله. (3)

- فتضمن رد موسى - عليه السلام- على قومه عدة أمور:
- التوبيخ الشديد على سوء اختيارهم وضعف عقولهم.
 - أن الإنسان يسعد إذا ارتقى لما هو أعلى وليس إلى ما هو أدنى.
 - أن مقابلة النعمة بالجحود والنكران سببا للحرمان.

(1) ينظر التحرير والتنوير (1/521) والتفسير الوسيط لطنطاوي (1/148)

(2) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (1/147 وما بعدها)

(3) المرجع السابق (1/149)

- أن بعض الأنفس لا ترضى إلا بالدون من العيش.

3- الأمر بدخول الأرض المقدسة:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ [المائدة: 20-21]

تعرض لنا هذه الآيات مشهدا من مشاهد المجادلة بين موسى - عليه السلام - وبني إسرائيل، لما أمرهم بدخول الأرض المقدسة "بيت المقدس" وبدأ الحديث معهم بتذكيرهم بنعم الله عليهم، وهذا تلميح لهم في الخطاب، وفتح للقلوب لشكر النعمة ولاستقبال التكليف الإلهي لهم بدخول الأرض المقدسة، فقال: (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) أن تدخلوها ووعدكم إياها.

وقوله: (كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) فيه فائدة عظيمة:

"وهي أن القوم كانوا جبارين إلا أن الله - تعالى - لما وعد هؤلاء الضعفاء بأن تلك الأرض لهم، فإن كانوا مؤمنين مقرين بصدق موسى - عليه السلام - علموا قطعاً أن الله ينصرهم عليهم ويسلطهم عليهم فلا بد وأن يقدموا على قتالهم من غير جبن ولا خوف ولا هلع، فهذه هي الفائدة من هذه الكلمة." (1)

ثم قال: (ولا تترتدوا على أدباركم) بعدم الاستجابة لأمر الله فتتصرفوا خائبين، ولكن القوم جادلوا نبيهم كعادتهم وقالوا له في جبن وخور: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنُ نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: 22] أي: "قال بنو إسرائيل لنبيهم موسى - عليه السلام - إن الأرض التي وعدتنا بدخولها فيها قوم متغلبون على من يقاتلهم، ولا قدرة لنا على لقائهم وإنا لن ندخل هذه الأرض المقدسة التي أمرتنا بدخولها مادام هؤلاء

(1) تفسير مفاتيح الغيب (11/332 وما بعدها)

الجبارون فيها، فإن يخرجوا منها لأي سبب من الأسباب التي لا شأن لنا بها، فنحن على استعداد لدخولها في راحة ويسر، وبلا أدنى تعب أو جهد." (1)

وطريقة كلامهم مع نبيهم تخبر عن قوم استولى عليهم الجبن والضعف، إنهم يريدون أن ينالوا النصر بالخوارق والمعجزات كما حدث لهم عندما عبروا البحر وكان فرعون وجنوده وراءهم، يريدون نصرا مريحا لا تعب فيه ولا قتال، وقولهم: (لن ندخلها) إصرار على عدم القتال والمواجهة، وأن دخولهم للأرض المقدسة مرهون بخروج الجبارين منها، وخروج الجبارين بدون قتال أمر مستبعد، لكن هكذا قال القوم لنبيهم في سلبية متناهية.

وهنا ألهم الله رجلين مؤمنين استنكرا هذه السلبية والإعراض من قومهما فقالا لهم يستحثونهم على طاعة نبيهم: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23]، وقد وصف الله- تعالى- هذين الرجلين بوصفين:

الأول أنهما من الذين يخافون الله وحده ولا يخافون ما سواه والثاني: أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا بِالْإِيمَانِ وَالثقة بوعده الله.

"هنا تبرز قيمة الإيمان بالله، والخوف منه.. فهذان رجلان من الذين يخافون الله، ينشئ لهما الخوف من الله استهانة بالجبارين! ويرزقهما شجاعة في وجه الخطر الموهوم! وهذان هما يشهدان بقولتهما هذه بقيمة الإيمان في ساعة الشدة وقيمة الخوف من الله في مواطن الخوف من الناس، فالله سبحانه لا يجمع في قلب واحد بين مخافتين: مخافته- جل جلاله- ومخافة الناس.. والذي يخاف الله لا يخاف أحداً بعده ولا يخاف شيئاً سواه." (2)

إذن فقد طلبوا من القوم أمرين:

الأول: الأخذ بالأسباب (ادخلوا عليهم الباب)

الثاني: تعلق القلوب بالله (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فهو وحده الذي بيده النصر، وقد وعدكم الله بذلك على لسان نبيه.

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (4/107)

(2) تفسير الظلال (2/870)

فماذا أجاب القوم الذين أقعدهم الجبن وأصم أسماعهم؟

لقد قالوا في جرأة وسوء أدب مع نبيهم معلنين الإصرار على العصيان والمخالفة: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنُ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]، فجمع القوم في ردهم على نبيهم بين الجبن وسوء الأدب مع الله - عز وجل -، ورسوله موسى - عليه السلام -.

"والجبن والتوقح ليسا متناقضين ولا متباعيين، بل إنهما لصنوان في كثير من الأحيان. يدفع الجبان إلى الواجب فيجب، فيخرج بأنه ناكل عن الواجب، فيسب هذا الواجب ويتوقح على دعوته التي تكلفه ما لا يريد! (فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا. إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)، هكذا في وقاحة العاجز، الذي لا تكلفه وقاحة اللسان إلا مد اللسان! أما النهوض بالواجب فيكلفه وخز السنان! (فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ)! فليس بربهم إذا كانت ربوبيته ستكلفهم القتال! (إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ).. لا نريد ملكاً، ولا نريد عزاً، ولا نريد أرض الميعاد.. ودونها لقاء الجبارين!" (1)

بل "وأكدوا امتناعهم عن دخول هذه الأرض في هذه المرة بثلاثة مؤكدات، هي: إن، ولن، وكلمة أبداً، أي: لن ندخلها بأي حال من الأحوال مادام الجبارون على قيد الحياة ويسكنون فيها." (2)

وهنا توجه موسى - عليه السلام - بالشكوى إلى ربه بعد أن رأى ما رأى من عناد القوم وجبنهم وعدم ثقتهم في موعود الله بأنه سبحانه وتعالى قد كتب لهم النصر والظفر على هؤلاء الجبارين، فشكا لربه قائلاً: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا

أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: 25]

لكن لماذا ذكر موسى في دعائه أخاه هارون فقط؟ ولم يذكر الرجلين؟

والجواب على ذلك أن موسى - عليه السلام - لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن إلى ثباتهما، لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من أحوال قومه وتلونهم وقسوة قلوبهم، فلم يذكر إلا النبي المعصوم الذي لا شبهة في أمره.

(1) المرجع السابق (2/870)

(2) المرجع السابق (4/110)

ويجوز أن يقول ذلك لفرط ضجره عند ما سمع منهم تقليلاً لمن يوافقهم. ويجوز أن يريد: ومن يؤاخيـني على ديني فأفرق فافصل بيـننا وبينهم بأن تحكم لنا بما نستحق، وتحكم عليهم بما يستحقون، وهو في معنى الدعاء عليهم." (1)

وقد استجاب الله- تبارك وتعالى- دعاءه فيهم، فقال: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ

عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: 26]، لقد حرّمها الله على هؤلاء الجبناء العصاة مدة أربعين سنة، يسـيرون خلالها في الصحراء تائهين حيارى.

لماذا هذه العقوبة بالتحديد؟

لقد عاقبهم الله بأن حرّمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض "والأرجح أنه حرّمها على هذا الجيل منهم حتى تنبت نابتة جديدة وحتى ينشأ جيل غير هذا الجيل. جيل يعتبر بالدرس، وينشأ في خشونة الصحراء وحرّيتها صلب العود.. جيل غير هذا الجيل الذي أفسده الذل والاستعباد والطغيان في مصر، فلم يعد يصلح لهذا الأمر الجليل! والذل والاستعباد والطغيان يفسد فطرة الأفراد كما يفسد فطرة الشعوب." (2)

فحكمة ذلك التيه أربعين سنة مقصودة، وهي فناء الجيل الذين كانوا بمصر وعاشوا في قبضة فرعون وجنوده وذاقوا الذل والقهر وفسدت فطرتهم، فينشأ جيل آخر يتربى على يد رسولين كريمين من رسل الله موسى وهارون- عليهما السلام- وينمو على العزة وينعم بالحرية، فلا يجبن إذا دعاه داعي الجهاد في سبيل الله.

ونلاحظ في هذه المجادلة بين موسى -عليه السلام- وبني إسرائيل عدة أمور:

1- أسلوب موسى -عليه السلام- في الدعوة إلى الله- تعالى- مع قومه أسلوب حكيم يتعلم منه الدعاة إلى الله، فقد بدأ بتذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم، ليفتح قلوبهم لسماعه، ويستحثهم على شكر نعم الله تعالى التي أسبغها عليهم بالاستجابة لأمره.

(1) تفسير الزمخشري (1/622)

(2) تفسير الظلال (2/871)

2- بيان الكثير من صفات بني إسرائيل السيئة فهم لا يستجيبون لأمر الله مباشرة، بل لا بد من الجدل والعناد والعصيان، وهذه طبيعة فيهم برزت في أكثر من موطن.

3- ضعف إيمانهم بالله ورسوله وتناقلهم الشديد لتلقي أي تكاليف إلهية لهم، بل ولا يجدون غضاضة في إعلان العصيان والاشتراط على الله ورسوله.

4- ويبرز بعد تلك المجادلة شؤم المعصية وأنها سبب الخسران والعقوبة من الله كما عاقب بنو إسرائيل بالتية أربعين سنة.

5- أن الموقف الأمثل للمجادل بالحق حينما يرى عناد ومكابرة من يجادله أن يتوقف عن المجادلة لأنها لن تجدي نفعا، كما فعل موسى -عليه السلام- عندما توقف عن مجادلة قومه.

6- في القصة درس للدعاة إلى الله في سعة الصدر والحلم واللجوء إلى الله إذا أعبته الحيلة.

المطلب الرابع: مجادلة موسى -عليه السلام- لقومه في عبادة العجل:

ترك موسى -عليه السلام- قومه وراءه مستخلفا عليهم أخاه هارون، وذهب لمناجاة ربه فأخبره- سبحانه- بما أحدثه قومه في غيبته عنهم وهو عبادتهم العجل من دون الله، قال تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه: 83-85] فرجع موسى -عليه السلام- إلى قومه- بعد مناجاته لربه وقد اشتد غضبه وحزنه من موقف قومه العجيب وسقوطهم في أول اختبار لهم، فخاطبهم قائلا: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ [طه: 86]

بدأ موسى -عليه السلام- كلامه باستفهام يقصد منه الاستنكار والتوبيخ: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾، أي: "ألم يعدكم ربكم أنه غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى؟" ويعدكم جانب الطور الأيمن، وينزل

عليكم المن والسلوى، فذلك وعد الله الحسن بنى إسرائيل الذي قال لهم موسى - عليه السلام:- ألم يعدكموه ربكم" (1)

وقد قدم بهذه المقدمة بين يدي الكلام لأن هذه الوعود التي وعدهم الله إياها قد تحققت ورأوها بأعينهم وليست شيئاً بعيداً لم يتحقق، ثم زاد في توبيخه وزجره لهم قائلاً: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ [طه: 86]، والمعنى: "أفطال عليكم الزمان الذي فارقتكم فيه؟ لا إنه لم يطل حتى تنسوا ما أمرتكم به، بل إنكم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم، فأخلفتكم مواعيدي الذي وعدتكموني إياه وهو أن تثبتوا على إخلاص العبادة لله- تعالى- ومعنى إرادتهم حلول الغضب عليهم، أنهم فعلوا ما يستوجب ذلك وهو طاعتهم للسامري في عبادتهم للعجل." (2)

فماذا كان رد بنى إسرائيل على نبيهم؟

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أُوزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ [طه: 87-88]، لقد اعتذر القوم عن عبادتهم العجل مبررين فعلتهم بأنهم ما أخلفوا مواعدهم بقدرتهم واختيارهم وإنما كان عندهم سببين: الأول: "تورعهم عما كان بأيديهم من حلي القبط الذي كانوا قد استعاروه منهم، حين خرجوا من مصر، {فقدفناها} أي: ألقيناها عنا." (3)

الثاني: وهذه الحلي قدفناها في النار بتوجيه من السامري، فكما ألقينا ما معنا ألقى السامري ما معه من تلك الزينة.

"وحاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة أنهم تورعوا عن زينة القبط، فألقوها عنهم، وعبدوا العجل. فتورعوا عن الحقير وفعلوا الأمر الكبير" (4)

(1) تفسير ابن جرير الطبري (16/132)

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي (9/138)

(3) تفسير ابن كثير (5/310)

(4) المرجع السابق (5/311)

قام السامري بعمل عجل لهم من سبائك الذهب الذي ألقوه، وجعل فيه منافذ إذا دخلت فيها الريح أخرجت منه صوتا كصوت خوار البقر، فقال بنو إسرائيل عند ما رأوا العجل الذي صنعه لهم السامري: هذا إلهكم وإله موسى فاعبدوه، لأن موسى نسى إلهه هنا، وذهب ليبحث عنه في مكان آخر أو أن السامري هو الذي قال لهم ذلك فكرروا قوله، والضمير في قوله فَنَسِيَ يعود لموسى -عليه السلام-. (1)

وقولهم هذا يدل على ضعف عقولهم، وضعف إيمانهم، لدرجة أنهم من فرط سذاجتهم لم يكتفوا بعبادة العجل، بل زعموا أو صدقوا زعم السامري أن نبيهم الداعي لهم إلى توحيد الله، قد كان يعبد العجل وأنه قد نسى مكانه فذهب يبحث عنه، ومن هنا جاء التعقيب من الله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: 89]، أعميت بصائرهم فلا يدركون أن هذا العجل الذي اتخذوه إلهًا، إذا دعوه فلن يجيبهم، وإذا سألوه فلن يعطيهم لأنه جماد لا يملك لهم ضرا ولا نفعا؟

"والمقصود أنه حتى لم يكن عجلا حيا يسمع قولهم ويستجيب له على عادة العجول البقرية! فهو في درجة أقل من درجة الحيوانية، وهو بطبيعة الحال لا يملك لهم ضرا ولا نفعا في أبسط صورة، فهو لا ينطح، ولا يرفس ولا يدير طاحونة ولا ساقية!" (2)

المطلب الخامس: مجادلة موسى لأخيه هارون:

كان هارون - عليه السلام - مشفقا على قومه من وقوعهم في الفتنة، وعبادتهم عجلا من دون الرَّحْمَن -جل جلاله- فهو المستحق للعبادة، ولكن هذه النصيحة لم تجد أذنا صاغية، بل قابلوها بالتشكيك فيما قال، إذ لو كانوا قد صدقوا هارون فيما نصحهم به لأقلعوا عما هم فيه من شرك، ثم إنهم أخبروه أنهم سيظلون هكذا مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع إليهم موسى -عليه السلام-، قال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ

(1) ينظر تفسير ابن جرير الطبري (16/139 وما بعدها)

(2) تفسير الظلال (4/2348)

رَبِّكُمْ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ
إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ [طه: 90-91]

وبعد أن تكلم موسى -عليه السلام- مع قومه ووبخهم واستنكر ما فعلوا توجه باللوم والعتاب لأخيه هارون وقد بلغ الغضب منه مبلغا فقد جر أخاه من رأسه ولحيته قائلا: ﴿قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: 92-93] فسأله ما الذي حال دون منعك إياهم من الوقوع في الشرك بعبادة العجل؟ أفعصيت أمري لما قلت لك: ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142] ففسر موسى -عليه السلام- ما حدث على أنه تهاون من أخيه هارون وكان الأجدر به اتخاذ موقف فيه حزم وشدة.

وهنا يرد هارون على أخيه موسى بهدوء تام واستعطاف ليهدئ من غضبه، ويسمع لوجهة نظره في عدم أخذ الأمور بالشدّة والحزم فقال: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: 94] يا ابن أُمي لا تمسك بلحيتي ولا برأسي على سبيل التأنيب لي، فإنني لست عاصيا لأمرك، ولا معرضا عن اتباعك.

وقد " خص الأم بالإضافة استعطافا وترقيقا لقلبه، لا لما قيل من أنه كان أخاه لأمه، فإن الجمهور على أنهما كانا شقيقين." (1)

فراعى هارون غضبة أخيه للحق وتفهم أنه شدته هذه هي لله، فخاطبه بما فيه تهدئة له، والتمس أن يسمعه وأن يعرف عذره.

"وهكذا نجد هارون أهدأ أعصابا وأملك لانفعاله من موسى، فهو يلمس في مشاعره نقطة حساسة، ويجيء له من ناحية الرحم وهي أشد حساسية، ويعرض له وجهة نظره في صورة الطاعة لأمره حسب تقديره وأنه خشي إن هو عالج الأمر بالعنف أن يتفرق بنو إسرائيل شيعا، بعضها مع العجل، وبعضها

(1) تفسير الألوسي (8/561)

مع نصيحة هارون، وقد أمره بأن يحافظ على بني إسرائيل ولا يحدث فيهم أمرا، فهي كذلك طاعة الأمر من ناحية أخرى." (1)

المطلب السادس: مجادلة موسى - عليه السلام - للسامري:

وبعد انتهاء موسى من سماع أخيه هارون، اتجه إلى السامري، ورغم أنه رأس الفتنة ومدبرها، إلا أن موسى " لم يتوجه إليه منذ البدء، لأن القوم هم المسؤولون ألا يتبعوا كل ناعق، وهارون هو المسؤول أن يحول بينهم وبين اتباعه إذا هموا بذلك وهو قائدهم المؤتمن عليهم. فأما السامري فذنبه يجيء متأخرا لأنه لم يفتنهم بالقوة، ولم يضرب على عقولهم، إنما أغواهم فغوا، وكانوا يملكون أن يثبتوا على هدى نبيهم الأول ونصح نبيهم الثاني، فالتبعة عليهم أولا وعلى راعيهم بعد ذلك، ثم على صاحب الفتنة والغواية أخيرا." (2)

وقد ذكر الحق - سبحانه - ذلك في قوله: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ (١٥)

قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿١٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿١٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٨﴾ [طه: 95-98]

من هو الرسول الذي قصده السامري؟

كان رد السامري أنه قال: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه: 96]، فمن هو الرسول الذي قصده السامري؟ لأنه بناء على الإجابة سيكون فهمنا لمعنى رده على موسى - عليه السلام -

هناك قولان للمفسرين:

الأول: أن الرسول هو موسى - عليه السلام -:

(1) تفسير الظلال (4/2348)

(2) المرجع السابق (4/2348)

ويكون المراد بآثره: سنته ورسمه الذي أمر به، فيكون المعنى على لسان السامري: عرفت أن الذي أنتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت قبضة من أترك أيها الرسول أي شيئاً من سنتك ودينك فقذفته أي طرحته، فعند ذلك أعلمه موسى -عليه السلام- بما له من العذاب في الدنيا والآخرة.

وأدلة هذا القول كما يلي:

- 1- : أن جبريل -عليه السلام- ليس بمشهور باسم الرسول ولم يجر له فيما تقدم ذكر حتى تجعل لام التعريف إشارة إليه.
- 2- الرسول هو المبلّغ لشرع الله المباشر للمبلّغ، أما جبريل فهو رسول للرسول، ولم يرّه أحد فأطلقت الرسول على حامل المنهج إلى المتكلم به. (يقصد موسى - عليه السلام-)
- 3- أنه لا بد فيه من الإضمار وهو قبضة من أثر حافر فرس الرسول والإضمار خلاف الأصل.
- 4- أنه لا بد من التعسف في بيان أن السامري كيف اختص من بين جميع الناس برؤية جبريل -عليه السلام- ومعرفة ثم كيف عرف أن لتراب حافر فرسه هذا الأثر والذي ذكره من أن جبريل -عليه السلام- هو الذي رباه فبعيد. (1)

القول الثاني: أن الرسول هو جبريل:

ويكون المراد بآثره: التراب الذي أخذه من موضع حافر فرسه، لأن السامري رأى جبريل، فألقى في روعه أنك إن أخذت من أثر هذا الفرس قبضة فألقيتها في شيء، فقلت له: كن فكان عجلاً له حوار.

وأدلة هذا القول كما يلي:

- 1- عهد في القرآن الكريم إطلاق الرسول على جبريل، كما في قوله -تعالى-:
: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: 19] وعدم جريان ذكره فيما تقدم لا يمنع أن يكون معهوداً، ويجوز أن يكون إطلاق الرسول عليه كان شائعاً في بني إسرائيل، لا سيما إن قلنا بصحة ما روي أنه عليه السلام كان يغذي من يلقى من أطفالهم في الغار في زمان قتل فرعون لهم.

(1) ينظر تفسير مفاتيح الغيب للرازي (22/96) وتفسير الشعراوي (15/9368)

2- تقدير المضاف في الكلام أكثر من أن يحصى، وقد عهد ذلك في كتاب الله غير مرة.

3- رؤية السامري دون غيره لجبريل، كان ابتلاء من الله- تعالى- ليقضى الله أمرا كان مفعولا، ومعرفة تأثير ذلك الأثر دون غيره كانت بسبب ما ألقى في روعه من أنه لا يلقى عليه شيء فيقول له كن كذا إلا كان، ويحتمل أن يكون سمع ذلك من موسى -عليه السلام-. (1)

الراجح: يرى الباحث قوة أدلة الرأي الأول لأن مبنى ما استدل به أصحاب الرأي الثاني مبني على الإسرائيليات وليس فيها سند صحيح إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

عقوبة السامري:

هنا أصدر موسى -عليه السلام- الحكم على السامري الضال المضل بعد أن اعترف بجريمته النكراء وإغرائه لبني إسرائيل بالوقوع في الشرك، فقال - عليه السلام-: ﴿قَالَ فَأَذْهَبُ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [طه: 97] لقد كانت العقوبة هي الحكم عليه بالنفي فيكون منبوذا، لبعده عن الناس وبعد الناس عنه. (2)

" والسر في عقوبته على جنايته بما ذكر أنه ضد ما قصده من إظهار ذلك ليجتمع عليه الناس ويعززوه، فكان ما فعله سببا لبعدهم عنه وتحقيره، وقيل: عوقب بذلك ليكون الجزاء من جنس العمل، حيث نبذ فنبد، فإن ذلك التحامي أشبه شيء بالنبذ. (3)

ثم بين- سبحانه- عقوبة السامري في الآخرة، بعد بيان عقوبته في الدنيا فقال: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ [طه: 97] وإن لك موعدا في الآخرة لن يخلفك

(1) ينظر تفسير ابن جرير الطبري (16/149 وما بعدها) وتفسير القرطبي (11/239)، وتفسير ابن كثير (5/313) وتفسير الألوسي روح المعاني (8/564)

(2) تفسير القرطبي (11/241)

(3) ينظر تفسير الألوسي (8/566)

الله- تعالى- إياه. بل سينجزه لك، فيعاقبك يومئذ العقاب الأليم الذي تستحقه بسبب ضلالك وإضلالك، كما عاقبك في الدنيا بعقوبة الطرد والنفور من الناس.

ثم حرق موسى -عليه السلام- العجل أمام أعينهم، ثم ذراه في البحر فلم يبق له أثر لتنتهي فتنة عبادة العجل في بني إسرائيل.

ويتوجه موسى إلى بني إسرائيل بخطاب واضح يختتم به هذا المشهد

قائلاً: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: 98]

ونلاحظ في هذه المجادلة عدة أمور:

- 1- أن الأنبياء لا يعلمون الغيب إلا إذا أطلعهم الله - عز وجل.
- 2- توبيخ موسى -عليه السلام- الشديد لقومه وإنكاره عليهم ما وقع منهم.
- 3- ألزمهم الحجة التي لا مفر منها ألا وهي أنكم بعبادتكم العجل عرضتم أنفسكم لحلول غضب الله عليكم.
- 4- كان عذر بني إسرائيل غريباً مرفوضاً من أي عاقل؛ فهم أرادوا أن يتخلصوا من الحلبي التي أخذوها من القبط عند خروجهم من مصر، فأعطوها للسامري ليصنع بها عجلاً يعبدونه من دون الله، فورعهم باهت وباطل، وموافقتهم للسامري لصنع عجل وعبادته باطل، والعجيب أنهم قالوا لموسى -عليه السلام- أنهم أجبروا على فعل ذلك فلا قدرة لهم ولا اختيار فيما فعلوه، ورائحة الكذب تفوح من كلامهم فلم يكن هناك مكره لهم، ولم يكن السامري إلا شيطان زين لهم الشرك بالله.
- 5- أيضاً يتبين من المجادلة ضعف عقولهم وإيمانهم لدرجة أنهم من فرط سذاجتهم لم يكتفوا بعبادة العجل، بل صدقوا زعم السامري أن نبيهم كان يعبد العجل وأنه قد نسي مكانه فذهب يبحث عنه.
- 6- أن هارون رأى أن حسم الأمر لن يكون إلا بمواجهة حتمية مع قومه وستؤدي إلى الاقتتال والتنازع بين بني إسرائيل، فرأى أن يكتفي بالنصيحة والإقناع أن هذا العجل ليس هو الإله كما زعم لهم السامري.
- 7- أن عبدة العجل لما دعاهم هارون لم تكن عقولهم تصغي أبداً لصوت الحكمة والرجوع للحق، وهو التوحيد، بل هموا بقتله ﴿قَالَ ابْنُ أُمَّمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ

الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿ [الأعراف: 150] ، وفي هذا درس للدعاة إلى الله بأن يوازنوا بين المصالح والمفاسد في دعوتهم بفعل أهون الشرين وأخف الضررين.

8- كان هارون على يقين أن شدة أخيه موسى عليه هي غضبة لله ولذلك استعطفه مسترحما بقوله له ﴿أَبْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي﴾ [الأعراف: 150]، ولما تبين لموسى -عليه السلام- الحق في كلام أخيه دعا له قائلاً: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [الأعراف: 151] وهذا درس للدعاة إلى الله بالتأني والتبين وعدم العجلة في الأمور.

9- أن السامري كان شيطانا من شياطين الإنس هياً وزين وجمل لبني إسرائيل وصنع لهم العجل وكذب قائلاً: هذا هو إلهكم وإله موسى وانطلت دعوته على السذج من بني إسرائيل وصدقوه، وعبدوا العجل معه من دون الله.

10- حكم على السامري بالنفي والوحدة والتوعد بالعذاب الأليم في الآخرة بيان أن للعفو موضعه وللعقوبة موضعها وأن استعمال الشدة في مكانها وسياقها الصحيح هو من الحكمة في الدعوة إلى الله.

11- حرق العجل وتذريته في البحر برهان عملي لبني إسرائيل على أنه لو كان هذا إلهاً كما زعمتم لدافع عن نفسه فثبت لكم بالدليل العملي أنه ليس إله، وفيه تسفيه وإغاظه للسامري وهو يرى احتراق العجل ونهايته أمام عينه لتزداد حسرته وألمه.

11- ختام المشهد بعد حرق العجل ونفي السامري رأس الفتنة بتقرير التوحيد لله الذي لا إله غيره ولا رب سواه فقال موسى -عليه السلام- ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ

اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: 98]

المبحث الثالث/ الحوار

الحوار من أساليب المنهج العقلي وقد تعددت صور الحوار في قصة موسى -عليه السلام- على النحو التالي:

أولاً/ حوار موسى مع رب العزة.

ثانياً/ حوار ه مع فرعون.

ثالثاً/ حوار ه مع السحرة.

رابعاً/ حوار ه مع قومه.

وقد تناول الباحث فيما سبق ما جرى من حوار ومجادلة بين موسى -عليه السلام- وفرعون، وسحرة فرعون، ثم ما جرى بينه وبين قومه، بقي الحوار الذي كان بينه وبين رب العالمين جل جلاله.

حوار موسى مع رب العزة

موسى -عليه السلام- كلّم الله ونبي بني إسرائيل شرفه الله بتكليمه وكانت المرة الأولى عندما كلفه بالرسالة بالوادي المقدس طوى، والمرة الثانية عندما واعده بالمناجاة.

إذن حوار موسى مع رب العالمين فيه مطلبان:

المطلب الأول: حوار موسى مع الله جل جلاله بالوادي المقدس.

المطلب الثاني: حوار موسى مع الله- تبارك وتعالى- بجبل الطور.

المطلب الأول: حوار موسى مع الله جل جلاله بالوادي المقدس:

بعدما قضى موسى -عليه السلام- الأجل الذي كان بينه وبين صهره الرجل الصالح في رعاية الغنم سار بأهله قاصداً مصر بعد فراره منها منذ عشر سنين، فضلّ الطريق وكانت ليلة باردة مظلمة فأنس ناراً، فقال لأهله امكثوا لقد وجدت ناراً، فلما أتاها كان التشريف والتكليف من الله بالرسالة، قال تعالى:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي

أَتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾﴾ [طه: 9-10]

وذهب موسى - عليه السلام- إلى النار فلما اقترب منها نُودِيَ من قبل الله-

عز وجل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ

إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾﴾ [طه: 11-13]، هذا

الحوار بين رب العزة ذي الجلال وموسى - عليه السلام- يفيض جلالاً ويرتجف

القلب وهو يتصور هذه اللحظة التي وقع فيها النداء على قلب موسى (إِنِّي أَنَا

رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) إنه التكليف والتشريف العظيم

لموسى فيا للكرام ويا للعظمة أن يخبره الله تعالى (وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا

يُوحَى)، اصطفاه الله وشرفه لحمل رسالته وتبليغ منهجه وتوضيح مراده من

الخلق، فاستمع لما يوحى إليك سماع من ينفذ الأمر ويقوم به، قال تعالى: ﴿إِنِّي

أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا

لِجُزَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ

فَتَرَدَى ﴿١٦﴾﴾ [طه: 14-16]

ونلاحظ من خلال هذا الحوار أنه تشريف وتكليف وتحذير:

أما التشريف فهو اختيار الله له رسولا لبني إسرائيل.

وأما التكليف فهو تكليف بثلاثة أمور:

1- الاعتقاد بوحداية الله - عز وجل-.

2- قصده وحده بالعبادة وخص الصلاة بالذكر لشرفها.

3- والإيمان بوقوع الساعة، لتجزى كل نفس بسعيها وعملها في الدنيا.

وأما التحذير فقد حذره ممن يكذبون بها ويشككون في وقوعها اتباعا

لأهوائهم فتهلك، إن أنت أطعتهم.

ثم قال تعالى لموسى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: 17]، والله- تعالى- عالم بما في يمين موسى، فالمقصود من السؤال الإيناس والتقرير لأن موسى سيرى العصا التي بيمينه تنقلب حية تسعى.

فأجاب موسى بقوله- كما حكى القرآن عنه: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [طه: 18]، وواضح من الجواب أن

موسى -عليه السلام- قد زالت عنه الوحشة وبدأ يشعر بالإيناس وكان يكفيه أن يقول: هذه عصاي لكنه أضاف إلى ذلك (أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي) فذكر مهمة العصا، وكأنه أراد أن يطيل الحديث مع رب العالمين فقال: (ولي فيها مآرب أخرى) ليسأله الله عز وجل وماهي هذه المآرب، لكن السؤال كان تمهيدا للآية التي سيراه، والتي لم تكن لتخطر بباله ولذلك قال له الله مباشرة:

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾ [١٩] فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ [٢٠] قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [٢١] وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ [٢٢] لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ [٢٣] [طه: 19-23]

لقد ألقى موسى -عليه السلام- العصا فانقلبت حية، وغلبتة فطرته البشرية فولى مدبرا كما ذكر الله تعالى: ﴿وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [النمل: 10] ولكن الله- تعالى- ثبت فؤاده، وطمانه قائلا: ﴿يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: 10]، وأمره أن يمسك الحية وأن الله سبحانه سيعيدها إلى هيئتها الأولى إلى عصا كما كانت من قبل.

ثم أراد الله- سبحانه- أن يري عبده موسى آية أخرى فقال: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ [٢٣] لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ [طه: 22-23] أي: اجعل يا موسى يدك تحت إبطك ثم أخرجها فإنها تخرج بيضاء من غير سوء أو مرض، وقد أراك الله هاتين الآيتين: معجزة العصا ومعجزة اليد، لنريك من آياتنا الكبرى، الدالة على قدرتنا.

ثم يبين الله لموسى -عليه السلام- التكليف الإلهي له بالذهاب إلى فرعون فقال: ﴿أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: 24] اذهب إلى فرعون فقد تجاوز الحد

في العصيان، وزعم للناس أنه ربهم الأعلى، فادعه إلى عبادتي، ومره فليحسن إلى بني إسرائيل ولا يعذبهم.

وهنا التمس موسى -عليه السلام- العون من خالقه، لكي يتسنى له أداء ما كلفه به فقال: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاخْلُ عُنُقَهُ مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه: 25-28]، وبعد أن سأل الله لنفسه أن يشرح صدره ويطلق لسانه تشفع لأخيه هارون ليكون ظهيرا له في تبليغ الرسالة للطاغية فرعون فقال: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [طه: 29-35]، وبهذه الدعوات تلقى موسى -عليه السلام- التكليف من الله ليعينه ويسدده فيما هو مقبل عليه، وقد أخبر الله أنه أجاب دعاءه فقال: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: 36]، ثم ذكره الله تعالى بمنته عليه ورعايته له وهو طفل في المهد ونجاته من فرعون وجنوده الذين كانوا يذبحون الأبناء الذكور من بني إسرائيل، فقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴿٤٠﴾ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ [طه: 37-41]

وكل هذه منن عظيمة من الله تبين رعاية الله لنبيه موسى -عليه السلام- وهو في المهد صغيرا ترعاه عناية الله، ثم اصطفاه الله وكلفه بالرسالة، فقال تعالى: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَآتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ

وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ

وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ [طه: 42-48]

هذا بيان من الله لنبيه الكريمن بما سيسيران عليه عند ذهابهما لدعوة فرعون، وأنهما لا يتراخيا في ذكر الله وطمانهما أنه سبحانه معهما يسمع ويرى، وأمرهما أن يدعوا فرعون إلى ترك ما هو فيه من كفر وطغيان، وأن يخاطباه بالقول اللين، وهذا القول اللين الذي أمرهما الله- تعالى- به هنا قد جاء ما يفسره في آيات أخرى، وهي قوله- تعالى-: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾

وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ [النزعات: 18-19]، ثم أمرهما رب العالمين بأن يخبراه أنهما رسولان من عند الله، وأن يطلبنا منه أن يرسل معهما بني إسرائيل وأن يدع عذابهم.

ونلاحظ من هذا الحوار النقاط التالية:

- 1- هذا حوار بين رب العزة وكليمه موسى -عليه السلام-، ذهب موسى يلتمس قبسا من نار فرجع مكلفا من الله بالرسالة، وهو حوار شريف بين رب العزة ذي الجلال، وعبد اصطفاه الله، واختاره لينتقى أمانة التكليف بالرسالة.
- 2- بين الله لموسى -عليه السلام- بوضوح الاعتقاد الذي ينبغي أن يكون عليه، والمنهج الذي أرسله به، فأمره بالصلاة والإيمان باليوم الآخر، وكل هذا بيان لركائز الدعوة التي سينطلق بها موسى -عليه السلام- لدعوة فرعون وقومه بني إسرائيل.
- 3- مع جلال الحوار ورهبة الحديث بين الله عزوجل وموسى -عليه السلام- إلا أن موسى -عليه السلام- زالت عنه الرهبة واستشعر الأُنس بالله.
- 4- في الحوار كرامة عظيمة لموسى -عليه السلام- فوق تكليفه بالرسالة، وهي: أن الله اصطفاه واختصه بكلامه بدون حجاب.
- 5- كان في الحوار تدريب عملي على استعمال العصا، وإلقائها وانقلابها حية بعد أن كان موسى -عليه السلام- قد فر منها أول مرة عند إلقائها.

6- علم موسى -عليه السلام- من التكليف الإلهي بالرسالة ثقل الأمر وتبعاته فسأل الله انشراح الصدر وتيسير الأمر وإطلاق اللسان ليتهياً لهذه المهمة التي كلف بها وسأل الله أيضاً أن يردف معه أخاه هارون فاستجاب الله له.

7- وفي هذا الحوار نادى الله جل جلاله موسى -عليه السلام- باسمه خمس مرات وهذا فيه تكريم وإيناس وأي تكريم أكبر من أن يذكر الكبير المتعال اسم عبد من العباد؟ ولكن فضل الله لا خازن له، ورحمة الله لا ممسك لها، فهو يغمر عبده بمزيد من فضله وفيض من رضاه، ليزيده اطمئناناً وأنساً. (1)

8- في هذا الحوار تذكير لموسى -عليه السلام- كيف أنه سبحانه حفظه صغيراً من فرعون وجنده، وتربى موسى -عليه السلام- في قصره، وأنه هو سبحانه الذي سيحفظه كبيراً ليبلغ رسالة الله فلا يخاف طغيان فرعون فعناية الله ترافقه.

9- وفي الحوار وصية الله لنبيه الكريمين بألا يفترأ عن ذكره (وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي) [طه: 42] فزاد القلوب هو الذكر، فالله يقول لموسى وهارون: أكثرا من الذكر، فإنكما ستمران بمواقف صعبة، وتكاليف ضخمة، لا تستطيعان خوض غمارها إلا بأن تكونا دائماً في ذكر وثناء وافتقار لجلالي، وهذا درس عظيم للدعاة بأن يطلب الداعية العون والمدد من الله دائماً.

10- في الحوار درس كبير للدعاة وهو أن الحوار مع المخالف يكون باللين والرفق، "فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة، ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان، اذهباً إليه غير يائسين من هدايته، راجين أن يتذكر ويخشى، فالداعية الذي يبأس من اهتداء أحد بدعوته لا يبلغها بحرارة، ولا يثبت عليها في وجه الجحود والإنكار." (2)

المطلب الثاني: حوار موسى مع الله- تبارك وتعالى- بجبل الطور:

لما أنجى الله موسى وبني إسرائيل من عدوهم أراد الله أن ينعم عليهم بإنزال الشريعة التي ستكون منهجاً لهم، فواعد كلمه موسى ثلاثين ليلة، وأتمها بعشر، فصارت أربعين ليلة، ليتهياً موسى للقاء ربه، واستخلف موسى أخاه

(1) ينظر تفسير الزلال (4/2334)

(2) المرجع السابق (4/2336)

هارون على قومه وتوجه لمناجاة الله كما ذكر ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى:
﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ
وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ
دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ
يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ
الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ [الأعراف: 143-144]

طلب موسى - عليه السلام- من الله أن يراه (قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ
لَنْ تَرَانِي) لن تقدر الآن على رؤيتي؛ فإن الله تبارك وتعالى لم يخلق في بني آدم
القدرة على تحمل رؤيته جل جلاله، وأراد الله أن يبين لموسى من خلال برهان
عملي أن الجبل لو استقر مكانه فسوف تراني قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى
الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ
موسى صعقا) [الأعراف: 143]، أي: انهال الجبل مثل الرمل، ومن هول صوت
اندكاك الجبل خَرَّ موسى صَعِقًا فتبين له حينئذ أنه إذا لم يثبت الجبل لرؤية الله،
فهو أولى ألا يثبت لذلك، وهنا أدرك موسى ضعفه فاستغفر ربه لما صدر منه
(فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) فعوضه الله باصطفائه
على الناس بالرسالة وتكليمه الله بدون حجاب (قَالَ يَمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى
النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) خذ ما آتيتك
بانسراح صدر، وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ لله على ما خصك وفضلك.

ولهذا الحوار تنمة وردت بسورة طه في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن
قَوْمِكَ يَمُوسَى قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَتْرَى وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا
قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه: 83-85] سأل الله تبارك وتعالى موسى -
عليه السلام- وهو سبحانه أعلم- سألته عن قومه وسبب عجلته بقدمه وحده
دونهم فقال إنهم قريبي مني، والذي عجلني إليك يا رب طلبا لرضاك، وشوقا

إليك، فبين له الله أن قومه فتنوا من بعده بعبادتهم للعجل، وأن رأس الفتنة الذي زين لهم ذلك هو السامري.

ونلاحظ من هذا الحوار النقاط التالية:

- 1- جاء لقاء موسى -عليه السلام- بربه جل وعلا على شوق ومحبة لتكليمه سبحانه وتعالى.
- 2- الاستدلال على قياس الأولى في عدم ثبات الجبل لما تجلى الله له فمن باب أولى ألا يستطيع موسى -عليه السلام- ذلك، وبناء عليه فإن رؤية البشر لله غير ممكنة لعدم قدرتهم في الدنيا على ذلك، ولكنها ممكنة للمؤمنين في الجنة كما صحت بذلك الأدلة.
- 1- أدب موسى -عليه السلام- في الحوار مع الله واستغفاره بعد صعقته من اندك الجبل وقراره لله بالعظمة وأنه أول المؤمنين بالله من بني إسرائيل، وكل هذا يبين رقة قلوب الأنبياء وقوة إيمانهم بالله وتعظيمهم وإجلالهم له سبحانه.
- 2- في الحوار بيان لمكانة موسى -عليه السلام- عند الله وإكرام الله له واصطفائه بالرسالة والتكليم بدون حجاب، وأعطاه الألواح المشتملة على التوراة، وقيل: الألواح أعطيها موسى -عليه السلام- قبل التوراة، فالله أعلم. وعلى كل تقدير كانت كالتعويض له عما سأل من الرؤية ومنع منه، والله أعلم (1)
- 3- إخبار الله لموسى -عليه السلام- أن قومه عبدوا العجل بيان أن الأنبياء لا يعلمون الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه.

(1) ينظر تفسير ابن كثير (3/474)

الفصل الثالث

المنهج الحسبي في دعوة

موسى - عليه السلام -

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ الآيات والمعجزات الحسية.

المبحث الثاني/ تغيير المنكر باليد (حرق

العجل)

المبحث الثالث/ الاعتبار بمصارع الظالمين.

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة موسى - عليه السلام -

وقد استخدم نبي الله موسى - عليه السلام - هذا المنهج في الدعوة إلى الله مع قومه في عدة صور، يستعرضها الباحث في ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ الآيات والمعجزات الحسية.

المبحث الثاني/ تغيير المنكر باليد (حرق العجل)

المبحث الثالث/ الاعتبار بمصارع الظالمين.

المبحث الأول/ الآيات والمعجزات الحسية

أرسل الله الرسل ليقيم الحجة على خلقه، ويرشدهم إلى عبادته وحده لا شريك له، وأيد هؤلاء الرسل بالمعجزات، دليلاً على صدقهم وصحة ما يخبرون به عن الله تبارك وتعالى، وهذه الآيات التي أجراها الله على يد كليمه موسى - عليه السلام - منها ما حدث مع فرعون وقومه، ومنها ما حدث مع بني إسرائيل، وسيتم تناولها من خلال مطلبين:

المطلب الأول: ما حدث مع فرعون وقومه.

المطلب الثاني: ما حدث مع بني إسرائيل.

المطلب الأول: ما حدث مع فرعون وقومه:

بعث الله سبحانه وتعالى موسى - عليه السلام - إلى فرعون الذي طغى وعلا في الأرض وأفسد فيها، وإقامة للحجة عليه فقد أرسل الله إليه موسى وأيده بالآيات الكثيرة، والمعجزات الباهرة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الإسراء: 101]، وهذه الآيات التسع هي: اليد، والعصا، والسنين، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وقد تعددت أقوال

المفسرين في عدها وبعضهم يعد السنين ونقص الثمرات آية واحدة ويجعل الآية التاسعة معجزة انفلاق البحر (1)

ونبدأ في عرض هذه الآيات في أربع مسائل على النحو التالي:

المسألة الأولى: عصا موسى - عليه السلام.

المسألة الثانية: اليد البيضاء.

المسألة الثالثة: السنين ونقص الثمرات.

المسألة الرابعة: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

المسألة الأولى: عصا موسى - عليه السلام:

كانت العصا هي أول الآيات، حيث كانت تتحول إلى حية عظيمة عندما يلقيها على الأرض، وحينما دعا موسى - عليه السلام - فرعون طلب منه فرعون دليلاً وبرهاناً على صدق نبوته، ﴿قَالَ إِنَّ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ

الصَادِقِينَ ﴿١٠٨﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ

لِلنَّاطِرِينَ ﴿١٠٨﴾ [الأعراف: 106-108]، وقد عجز السحرة عن إبطال تلك المعجزة،

وعرفوا أنها ليست من جنس السحر الذي يقومون به؛ لأنهم عندما ألقوا حبالهم وعصيهم وسحروا أعين الناس فألقى موسى - عليه السلام - عصاه، فابتلعت كل ما ألقوه من الحبال والعصي؛ فعند ذلك آمنوا به وصدقوه، بينما أصر فرعون وجنوده على الكفر.

المسألة الثانية: اليد البيضاء:

وهي المعجزة الثانية التي أيد الله تعالى بها موسى - عليه السلام - لما ذهب

إلى فرعون، قل تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ﴾ [الأعراف: 108]

(1) لمزيد من التفصيل يراجع تفسير ابن جرير الطبري (564/17 وما بعدها)

أي: " أخرجها من درعه بعد ما أدخلها فيه فخرجت بيضاء تتلأأ من غير برص ولا مرض." (1)

المسألة الثالثة: السنين ونقص الثمرات:

بعد المناظرة التي تمت بين موسى -عليه السلام- وسحرة فرعون وانتهت بإيمان السحرة بالله رب العالمين توعد فرعون بني إسرائيل بأن يعاود قتل أبنائهم واستحياء نسائهم، فأوصى موسى -عليه السلام- بني إسرائيل أن يستعينوا بالله وأن يصبروا، وسلط الله على أهل مصر الجذب ونقص الثمرات قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 130] السنين: جمع سنة بمعنى الجذب لا بمعنى الزمن المقدر من الدهر، فالسنة في كلام العرب إذا عرفت باللام يراد بها سنة الجذب، والقحط، فابتلاهم الله بالقحط والجذب، وابتلاهم بذهاب ثمارهم وغلاتهم إلا القليل عظة لهم وتذكيراً لهم، لينزجروا عن ضلالتهم، ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة. (2)

والله سبحانه يبتلي عباده بالشدائد ليرغبوا إلى الله بالضراعة ويقروا بخطئهم ويثوبوا إلى رشدهم، ويرى الجميع بأنفسهم ضعف فرعون المتجبر عليهم، وعجزه أمام قدرة الله الذي بأمره يمطر السماء وينبت النبات وبأمره يمنع ذلك عنهم.

ولكن القوم لم يعتبروا بهذا القحط والنقص في الثمرات ؛ فقد فسدت فطرتهم فلم يقروا بوحدانية الله وصدق رسوله موسى -عليه السلام-، إنما كانوا إذا أصابهم المطر وما ينتج عنه من الخصب والرخاء، قالوا: ما جاء هذا الخير إلا بكدنا واجتهادنا غافلين عن شكر الله جل وعلا ، وإن تصبهم سيئة كجذب أو قحط ، تشاءموا بموسى -عليه السلام- ومن معه من المؤمنين، قال تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبَّهُمْ سَيِّئَةٌ يَّطِيرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 131]، بل لقد تمادى القوم في العناد والكبر فقالوا لكليم الله موسى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ

(1) تفسير ابن كثير (3/455)

(2) ينظر ابن جرير الطبري (13/45) وتفسير التحرير والتنوير (9/63)

لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿ [الأعراف: 132]، فمهما جئتنا بأي آية، لتصرفنا عن عقيدتنا رددناها فلا نقبلها منك، ولا نؤمن بك ولا بما جئت به. (1)

وكلامهم هذا يدل على أن القوم قد بلغوا مبلغا من الكبر والعناد، وأن القوم مصرون على التكذيب مهما جاءهم نبيهم موسى -عليه السلام- بالمعجزات الدالة على صدقه فهنا ابتلاهم الله بالآيات التالية: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدمَّ ءآيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف:

[133

المسألة الرابعة: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

● **الطوفان:** كثرة الأمطار المغرقة المتلفة للزروع والثمار، سبحان الله ابتلاهم الله في الآية السابقة بالجذب والقحط والآن يسلط عليهم كثرة الماء، سبحانه يفعل ما يشاء!!

● **الجراد:** وهو مهلك للزرع والشجر.

● **القمل:** السوس الذي يخرج من الحنطة، وقيل البراغيث.

● **الضفادع:** فملات البيوت والأطعمة والآنية، فلا يكشف أحد ثوبا ولا طعاما إلا وجد فيه الضفادع، قد غلبت عليه.

● **الدم:** فصارت مياه آل فرعون دما، لا يستقون من بئر ولا نهر، ولا يغترفون من إناء، إلا عاد دما عبيطا. (2)

وقد سمى الله هذه آيات لأنها دالة على قدرة الله عز وجل، وصدق كلمه موسى، وفي المقابل فإنها دالة على ضعف فرعون وعجزه عن أن يرفع عنهم هذا البلاء، وقد كانوا في كل مرة يلجأون لموسى -عليه السلام- أن يدع ربه لرفع هذا البلاء عنهم كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف: 134]، وكان موسى -عليه السلام- يدعو الله في كل آية فيكشف

(1) ينظر تفسير ابن كثير (3/461)

(2) ينظر تفسير ابن كثير (3/461، وما بعدها)

عنهم الضر، ولكنهم كانوا ينكثون العهد الذي قطعوه على أنفسهم، قال تعالى:
﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجَزَ إِلَىٰ أَجَلٍ لَّهُمْ بِالْعَوَةِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ
فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأعراف: 135-136]

المطلب الثاني: الآيات التي حصلت مع بني إسرائيل:
وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: انفلاق البحر.

المسألة الثانية: تظليل الغمام وإنزال المن والسلوى.

المسألة الثالثة: تفجر الماء من الحجر.

المسألة الرابعة: معجزة البقرة.

المسألة الأولى: انفلاق البحر:

وقد حدثت هذه الآية حينما خرج موسى - عليه السلام - مع بني إسرائيل
بأمر الله متوجهين إلى بيت المقدس، فلحقهم فرعون بجنوده، ولما وصلوا إلى
ساحل البحر وأصبح كل جمع يرى الآخر خاف بنو إسرائيل من فرعون
وجنوده، كما ذكر الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا
لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ
الْبَحْرَ فَاِنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء: 61-63]

إذن فالآية هنا عندما رأى بنو إسرائيل جيشاً لا طاقة لهم به وأصابهم
كرب عظيم أمر الله - سبحانه وتعالى - موسى - عليه السلام - أن يضرب البحر
بعصاه لتحدث النجاة بأمر الله.

"وذلك أنه - عز وجل - أراد أن تكون الآية متصلة بموسى - عليه السلام -
ومتعلقة بفعل يفعله تثبيتاً لإيمان من آمن من قومه، وقضاءً على الشك عند من
شك منهم، وإلا فضرب العصا ليس بفالق للبحر ولا معين على ذلك بذاته إلا بما

اقترن به من قدرة الله - عز وجل - ولما انفلق عقب الضرب مباشرة صار فيه اثنا عشر طريقا على عدد أسباط بني إسرائيل، ووقف الماء بينهما كالجبل العظيم، فلما خرج أصحاب موسى - عليه السلام - وتكامل آخر أصحاب فرعون داخله انصب عليهم الماء وغرق فرعون، فقال بعض أصحاب موسى - عليه السلام - : ما غرق فرعون، فنبذ على ساحل البحر حتى نظروا إليه." (1)

المسألة الثانية: تظليل الغمام وإنزال المن والسلوى:

لما أنجى الله بني إسرائيل من فرعون وجنده ونزلوا بسيناء أجرى الله لهم آية وهي تظليل الغمام لهم ليقبهم حر الشمس، وأنزل عليهم المن والسلوى، قال تعالى: ﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ [البقرة: 57]

- والغمام: جمع غمامة، وهو السحاب الأبيض، ظللوا به في التيه ليقبهم حر الشمس.
- والمن: شراب كان ينزل عليهم مثل العسل، فيمزجونه بالماء ثم يشربونه.
- والسلوى: طائر شبيه بالسمانى، كانوا يأكلون منه. (2)

المسألة الثالثة: تفجر الماء من الحجر.

ومع إنعام الله على بني إسرائيل بتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى أنعم الله عليهم بنعمة الماء فأمر الله تعالى موسى - عليه السلام - أن يضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، لكل سبط من أسباط بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: 60]، والمعنى: اذكروا يا بني إسرائيل "نعمتي عليكم في إجابتي لنبيكم موسى حين استسقاني لكم، وتيسيري لكم الماء، وإخراجه لكم من حجر يحمل معكم، وتفجيرى الماء لكم منه من اثنتي عشرة عينا لكل سبط من أسباطكم عين قد عرفوها، فكلوا من المن والسلوى، واشربوا من هذا الماء الذي أنبعته لكم بلا سعي منكم ولا كد، واعبدوا الذي

(1) التفسير الوسيط مجمع البحوث (7/1581 وما بعدها)

(2) ذكر هذه الأقوال في تفسير هذه الآيات الحافظ ابن كثير في تفسيره (1/266 وما بعدها)

سخر لكم ذلك. {ولا تعثوا في الأرض مفسدين} ولا تقابلوا النعم بالعصيان فتسلبوها. (1)

وقد يقال: "إن الله قادر على أن يمنحهم الماء بدون ضرب الحجر بالعصا، فلماذا لم يفعل؟"

والجواب: أن الله تعالى، أراد أن يبين لهم كرامة نبيهم موسى -عليه السلام- على الله تعالى، ويؤكد لهم نبوته: بإجراء تلك المعجزة على يديه، بمجرد ضربه الحجر بعصاه، حتى يقوى إيمانهم بنبوته، التي يتشكون فيها من أن لآخر، وقد مرّ قريبا أنهم قالوا له: (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً) كما أن فيها تثبيت إيمانهم بالله، لأنه إيمان يتزلزل من أن لآخر. (2)

المسألة الرابعة: معجزة البقرة.

سميت أطول سورة في القرآن الكريم سورة البقرة؛ وذلك أن الله سبحانه ذكر في هذه السورة أحداث تلك القصة، وحاصل هذه القصة تبينه الآيات التالية: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٧٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْئَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقْع لَوْئَهَا تَسْرُ النَّاطِرِينَ ﴿٧٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٨٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٨٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوه بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٨٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ

(1) المرجع السابق (1/278)

(2) التفسير الوسيط مجمع البحوث (1/114)

وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٥﴾ [البقرة: 67-74]

هذه أحداث القصة كما ذكرها القرآن ، وقد روى المفسرون عدة روايات خلاصتها : أنه كان في بني إسرائيل رجل غنى، وله ابن أخ محتاج لا وارث له سواه، فلما طال عليه موته قتله ليرثه، وحمله إلى قرية أخرى فألقاه فيها، ثم أصبح يطلب تأره ، فإذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه، فأخذهم وقال: قتلتم عمي، فأدوا إلي ديتي ، فرفعهم إلى موسى -عليه السلام-، ففضى عليهم بالدية، فقالوا له: يا رسول الله، ادع الله لنا حتى يبين لنا من صاحبه، فيؤخذ صاحب الجريمة فوالله إن ديتي علينا لهينة، ولكننا نستحيي أن نعيير به ، فذلك حين يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: 72]

(1) [72]

وهنا أخبر موسى -عليه السلام- قومه بأمر الله عز وجل فقال لهم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: 67]

"وقد أمرهم الله- تعالى- بذبح بقرة دون غيرها من الحيوانات لأنها من جنس ما عبده وهو العجل، وفي أمرهم بذلك تهوين لشأن هذا الحيوان الذي عظموه وعبده وأحبوه فكأنه- سبحانه- يقول لهم: إن هذا البقر الذي يضرب به المثل في البلادة، لا يصلح أن يكون معبودا من دون الله، وإنما يصلح للحرث، والسقي، والعمل، والذبح." (2)

ولو عمدوا فذبحوا أي بقرة تنفيذا لأمر ربهم لكفاهم ذلك، ولكن طبيعة بني إسرائيل من التناقل في تنفيذ أوامر الله غلبت عليهم فقالوا: ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا

(1) ينظر تفسير ابن جرير الطبري (2/183 وما بعدها)، وابن كثير (1/294 وما بعدها) وهناك روايات أخرى عن القصة ذكرها ابن جرير وغيره لا تختلف عن هذا السياق إلا في بعض التفاصيل.

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي (1/164)

مَا تَوْمَرُونَ ﴿البقرة: 68﴾، فهي بقرة لا مسنة ولا صغيرة، وسط بين ذلك، فافعلوا ما يأمركم الله به، ومع ذلك أبى القوم إلا كثرة السؤال فقالوا: ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النُّظْرِينَ﴾ [البقرة: 69] إذن فقد اتضح لكم الآن سننها ولونها، فهلا أجبتكم أمر الله؟ كلا فقد عاد القوم فسألوا نبيهم قائلين: ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْكَيْنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: 70-71]

لقد زعموا أن البقر الموصوف بالأوصاف السابقة كثير، فاشتبه علينا أي واحدة منها نذبح، وإنا إن شاء الله لمهتدون إليها، فأجابهم موسى -عليه السلام- بقوله: إنها بقرة لا ذلول أي سائمة ليست مذلة بالعمل في الحراثة ولا في السقي، وهي سليمة من كل عيب، ليس فيها لون يخالف لونها (الصفرة الفاقعة)، فلما وجدوها بعد بحث وعناء قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون لكثرة أسئلتهم وترددهم.

ثم أظهر الله -تعالى- لهم الحكمة من أمره لهم بذبح بقرة وعلاقة ذلك بالقتيل فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَكُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 72-73] ، فأظهر الله ما كنتم من أمر القاتل، فقال على لسان رسوله موسى -عليه السلام-: اضربوا القاتل بأي جزء من البقرة، فلما ضربوه عادت الحياة -بإذن الله- إلى القاتل وأخبر عن قاتله، وهذا المشهد الذي رأيتموه هو أيضا بيان لقدرة الله على إحياء الموتى، وفيه دلالة على أنه سبحانه على كل شيء قدير.

ما الحكمة أن القصة لم تقص على ترتيبها، بذكر خبر القتل أولا ثم الأمر بذبح البقرة ثانيا؟

والجواب عن ذلك السؤال هو أن " كل ما قص من قصص بني إسرائيل إنما قص تعديداً لما وجد منهم من الجنايات، وتقريعا لهم عليها، ولما جدد فيهم من الآيات العظام، وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وإن كانتا متصلتين متحدثين، فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك.

والثانية للتقريع على قتل النفس المحرّمة وما يتبعه من الآية العظيمة. وإنما قدّمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتل لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة، ولذهب الغرض في تثنية التقريع، ولقد روعيت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها أن وصلت بالأولى، دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله: (اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا) حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع وتثنيته بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها، وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة" (1)

لماذا أسند القتل إلى جميعهم في الآيات رغم أن القاتل واحد؟ ولماذا أسند القتل- أيضا- إلى اليهود المعاصرين للعهد النبوي؟

والجواب أن هذا " للإشعار بأن الأمة في مجموعها وتكافلها كالشخص الواحد، وأسند القتل- أيضا- إلى اليهود المعاصرين للعهد النبوي، لأنهم من سلالات أولئك الذين حدث فيهم القتل، وكثيرا ما يستعمل القرآن الكريم هذا الأسلوب للتنبيه على أن الخلف قد سار على طريقة السلف في الانحراف والضلال." (2)

ما الحكمة من تعلق إرادة الله بكشف حال من قتل هذا القتيل- مع أنه، ليس أول قتيل في أمة من الأمم؟

إنما أراد الله بحكمته ذلك " إكراما لموسى -عليه السلام- أن يضيع دم في قومه وهو بين أظهرهم، وبمرأى ومسمع منه، لا سيما وقد قصد القاتلون استغفاله ودبروا المكيدة في إظهار المطالبة بدمه، فلو لم يظهر الله- تعالى- هذا الدم ويبين سافكه- لضعف يقين القوم برسولهم موسى - عليه السلام- ولكان ذلك مما يزيد شكهم في صدقه فينقلبوا كافرين، فكان إظهار القاتل الحقيقي إكراما من الله تعالى- لموسى -عليه السلام- ورحمة بالقوم لئلا يضلوا" (3)

وتبرز هنا عدة دلالات في استعمال المنهج الحسي في منهج نبي الله موسى مع قومه كالتالي:

1- أن الأنبياء لا يعلمون الغيب إلا ما علمهم الله إياه وأطلعهم عليه؛ فموسى - عليه السلام- لم يعرف من هو القاتل عندما تنازعوا في الأمر أمامه.

(1) تفسير الكشاف للزمخشري (1/154)

(2) التفسير الوسيط لطنطاوي (1/170)

(3) تفسير التحرير والتنوير (1/561)

2- صبر نبي الله موسى -عليه السلام- على فظاظة قومه و غلظتهم في التعامل معه.

3- التزام نبي الله موسى -عليه السلام- بما يوحىه الله إليه (إن الله يأمركم) و(قال إنه يقول) وهكذا فهو يخبرهم بما أوحى الله إليه.

4- رأى القوم بأعينهم دليلا ماديا محسوسا على قدرة الله على إحياء الموتى من خلال هذه المعجزة وهي إحياء القتيل بجزء من بقرة مذبوحة، وتسميته اسم قاتله.

5- ومن الدلالات الحسية على صدق نبي الله موسى -عليه السلام- وليزداد بنو إسرائيل يقينا أنه رسول الله حقا: أن القوم ذبحوا البقرة بأيديهم فصارت ميتة بعد حياة وضربوا القتيل ببعضها فرد الله عليه روحه فنطق بأمر الله، باشر القوم ذلك بأيديهم ورأوه بأعينهم، والذي أمرهم بذلك نبيهم موسى -عليه السلام- بوحى من الله -تبارك وتعالى-

6- وكما أنها تدل على صدق نبوة موسى -عليه السلام- وأنه رسول من رب العالمين، فإن ذكرها في القرآن فيه دلالة على صدق النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- فيما يبلغه عن ربه، فقد أخبر في هذه القصة الواقعية التي لم يشهد حوادثها بما أوحاه الله إليه وهذا الإخبار من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم.

7- والقصة فيها درس لجميع المؤمنين وهو التسليم لأمر الله، وإدراك العبد أن خفاء الحكمة عليه في أمر من أوامر الله لا يعني عدمها، إنما يعني أن عقولنا لم تدرك حكمة الله في هذا الأمر، فتسلم طاعة لأمر الله، فلو سلم بنو إسرائيل لأمر الله فعمدوا إلى ذبح أي بقرة لكفاهم ذلك، ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، وقد أدى بهم هذا الجدل إلى تضيق دائرة اختيارهم للبقرة المطلوبة، فكانت عقوبة من الله على مماطلتهم وعدم تسليمهم لأمر الله.

المبحث الثاني/ تغير المنكر باليد (حرق العجل)

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف معنى المنكر.

المطلب الثاني: نبي الله موسى يحرق العجل.

المطلب الأول: تعريف معنى المنكر:

المنكر لغةً: ضد المعروف، من نكر الشيء إذا جهله، والجمع مناكير، والنُّكْر: الأمر الشديد، واستنكر الأمر استقبحه، وكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر (1)

واصطلاحاً هو: "كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول، فتحكم بقبحه الشريعة" (2)

وبناء على ذلك فإن معنى تغيير المنكر باليد إزالته وإنهاؤه لأن به ينعدم هذا المنكر ويزول.

المطلب الثاني: نبي الله موسى يحرق العجل.

سبق الحديث أن السامري أضل بني إسرائيل وصنع لهم عجلاً، وزين لهم عبادته، وأطلع الله موسى -عليه السلام- على ما وقع لقومه، وبعد أن واجه موسى قومه ووبخهم على فعلتهم، وعاتب أخاه هارون، ثم توجه للسامري بالسؤال: ما حملك على ما صنعت؟ فلما تبين له أنه رأس الفتنة وأسها حكم عليه أن يعيش منبوذاً طريداً كالأجرب الذي يفر منه الناس.

ثم أراد موسى -عليه السلام- أن يبين للسامري ولقومه أن الإله المزعوم الذي عبدتموه من دون الله ها هو أمام أعينكم يحرق فلا يملك لنفسه نفعا ولا

(1) ينظر لسان العرب مادة "نكر" (6/4539)، والمعجم الوسيط (952)

(2) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (823)

ضرا فضلا عن أن ينفعمكم أو يضركم، قال تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: 97]

"فجعل الاستدلال بالنظر إشارة إلى أنه دليل بين لا يحتاج المستدل به إلى أكثر من المشاهدة فإن دلالة المحسوسات أوضح من دلالة المعقولات، وأضاف الإله إلى ضمير السامري تهكما بالسامري وتحقيرا له، ووصف ذلك الإله المزعوم بطريق الموصولية لما تدل عليه الصلة من التنبيه على الضلال والخطأ، أي الذي لا يستحق أن يعكف عليه"(1)

فكان حرقه أمامهم جميعا دليلا حسيا على بطلان كونه إلهًا، وليكون حسرة وندامة على من صنعه، وكذلك من افنتن به وعبده من دون الله من ضعاف العقول من بني إسرائيل ثم قال لهم مؤكدا على توحيد الله: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: 98]

المبحث الثالث/ الاعتبار بمصارع الظالمين:

أمر الله موسى أن يخرج ببني إسرائيل ليلا تجاه البحر ولما تراءى الجمعان حدثت معجزة انفلاق البحر وأنجى الله موسى -عليه السلام- وبني إسرائيل، وأغرق فرعون وجنوده، ومن باب أخذ العظة والاعتبار ذكر الله عباده بمصارع الظالمين وما خلفوه وراءهم من أموال وكنوز فلم تغن عنهم من الله شيئا، قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا هُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأُورَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الشعراء: 57-59] أي: "فخرجوا من هذا النعيم إلى الجحيم، وتركوا تلك المنازل العالية والبساتين والأنهار والأموال والأرزاق والملك والجاه الوافر في الدنيا." (2)

وأيضا الآيات في قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٦٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٦٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِنِينَ ﴿٦٧﴾ كَذَلِكَ وَأُورَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [الدخان: 25-29] لقد كان القوم

(1) تفسير التحرير والتنوير (16/299)

(2) تفسير ابن كثير (6/143)

يعيشون في نعم عظيمة من الله سبحانه وتعالى فلما كفروا بأنعمه، وباركوا ظلم فرعون وسفكه للدماء، وأيدوه في ادعائه الألوهية من دون الله نزل بهم بأس الله الذي لا يرد عن القوم المجرمين، فهلك فرعون وجنوده تاركين وراءهم جنات وعيون وقصور ونعم كثيرة كانوا منغمسين فيها.

" ثم ذهب هؤلاء الطغاة الذين كانوا ملء الأعين والنفوس في هذه الأرض: ذهبوا فلم يأس على ذهابهم أحد، ولم تشعر بهم سماء ولا أرض ولم ينظروا أو يؤجلوا عند ما حل الميعاد: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا

كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: 29]، وهو تعبير يلقي ظلال الهوان، كما يلقي ظلال

الجفاء.. فهؤلاء الطغاة المتعالون لم يشعر بهم أحد في أرض ولا سماء، ولم يأسف عليهم أحد في أرض ولا سماء، وذهبوا ذهاب النمل، وهم كانوا جبارين في الأرض يطأون الناس بالنعال! وذهبوا غير مأسوف عليهم فهذا الكون يمقتهم لانفصالهم عنه، وهو مؤمن بربه، وهم به كافرون! وهم أرواح خبيثة شريرة منبوذة من هذا الوجود وهي تعيش فيه!" (1)

(1) تفسير الظلال (5/3214)

الباب السابع

المنهج الدعوية

في رسالة خاتم الأنبياء

والمرسلين محمد

- صلى الله عليه وسلم -

وفيه ثلاثة فصول:

المبحث الأول / المنهج العاطفي.

المبحث الثاني / المنهج العقلي.

المبحث الثالث / المنهج الحسي.

الفصل الأول

المنهج العاطفي في دعوة

خاتم الأنبياء والمرسلين محمد -صلى الله
عليه وسلم-

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول/ تأليف القلوب.

المبحث الثاني/ الترغيب في العمل الصالح.

المبحث الثالث/الترهيب من الشرك والمعاصي.

المبحث الرابع/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الخامس/ القصص العاطفية.

المبحث السادس/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول
المنهج العاطفي في دعوة خاتم الأنبياء والمرسلين
محمد - صلى الله عليه وسلم -

سلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في دعوته عدة طرق وأساليب ليوصل من خلالها الدعوة إلى المدعويين على اختلاف أطيافهم، ومن ذلك استخدامه المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله، لأن مخاطبة العاطفة في القلب سبب لتقبل الكلام، وسرعة تأثر المدعويين به، وقد استخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المنهج العاطفي في أكثر من موقف يستعرضها الباحث من خلال سبعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ تأليف القلوب.

المبحث الثاني/ الترغيب في العمل الصالح.

المبحث الثالث/ الترهيب من الشرك والمعاصي.

المبحث الرابع/ الرفق وإظهار العاطفة.

المبحث الخامس/ القصص العاطفية.

المبحث السادس/ التذكير بنعم الله.

المبحث الأول/ تأليف القلوب

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف مفهوم تأليف القلوب

المطلب الثاني: تأليف القلوب بالمال.

المطلب الثالث: الحرص على دعوة الأقربين.

المطلب الرابع: التودد إلى الناس.

المطلب الخامس: تأليف القلوب بالدعاء.

المطلب السادس: تأليف القلوب بالعمو.

المطلب السابع: تأليف القلوب بزيارة المرضى.

المطلب الأول: تعريف مفهوم تأليف القلوب

تأليف القلوب لغة: من التآلف، وهو: المداراة والإيناس ليثبتوا على الإسلام رغبة فيما يصل إليهم من المال، وتآلف فلانا: داراه، وقاربه، ووصله حتى يستميله إليه (1)

وبناء على هذا فإن التآليف قد يكون ماديا بتأليف القلوب بالمال، ومنه سهم المؤلفة قلوبهم في الزكاة، وهذا من مصارف الزكاة، وهم: "الذين يراد تأليف قلوبهم بالاستمالة إلى الإسلام، أو تقريراً لهم على الإسلام، أو كف شرهم عن المسلمين، أو نصرهم على عدو لهم، ونحو ذلك" (2)

وقد يكون التآليف معنوياً باستمالة القلوب بالإحسان والكلمة الطيبة والدعاء والعمو عن إساءتهم، ولا شك أن كل ذلك يوجد المحبة في القلوب.

واصطلاحاً: تأليف القلوب هو: قيام الداعية باستمالة قلوب الناس بعماء مادي، أو بحسن المعاملة والمداراة بهدف تحبيبهم في الدين.

المطلب الثاني: تأليف القلوب بالمال:

ومن أمثلة ذلك: ما رواه أنس بن مالك - رضي الله عنه - (أن رجلاً سأل النبي - صلى الله عليه وسلم -، فأعطاه غنماً بين جبلين، فأتى قومه، فقال: يا قوم، أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاءً رجلاً لا يخاف الفاقة، وإن كان الرجل ليجيء إليه ما يريد إلا الدنيا، فما يمسي حتى يكون دينه أحب إليه من الدنيا بما فيها) (3)

(1) ينظر لسان العرب مادة "ألف" (1/107) والقاموس المحيط ص (793)

(2) الموسوعة الفقهية الكويتية (36/12) الصادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت الطبعة: (من 1404 - 1427 هـ)

(3) رواه مسلم برقم (2312) كتاب الفضائل "باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه"

وقد حرص النبي - صلى الله عليه وسلم -، على تأليف بعض القلوب
بالمال من باب المداراة في معاملة الناس ، وهذا من باب بذل الدنيا من أجل
الدين تأليفاً للقلوب ، لأن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها ، ويجدر
بالدعاة إلى الله أن يفرقوا في هذا الأمر بين المداراة والمداهنة ، لأن "المداراة
صفة مدح، والمداهنة صفة ذم، والفرق بينهما: أن المداراة تُلطِّف الإنسان
بصاحبه حتى يستخرج منه الحق، أو يرده عن الباطل، وأما المداهنة، فهو الذي
يتلَطَّف مع صاحبه ليُقَرَّه على ذنب، أو يتركه على هواه، فالمداراة لأهل
الإيمان، والمداهنة لأهل النفاق" (1)

المطلب الثالث: الحرص على دعوة الأقربين:

اهتم الرسول -صلى الله عليه وسلم- بدعوة الأقربين استجابة لأمر ربه -
تبارك وتعالى- ففي الحديث عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: (لما أنزلت
هذه الآية {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214]، دعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم قريشاً، فاجتمعوا فعم وخص، فقال: «يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم
من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس، أنقذوا
أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم، أنقذوا
أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة، أنقذي
نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سأبليها
ببلالها» (2)

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله:- "والسر في الأمر بإنذار الأقربين:
أولاً: أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم، وإلا فكانوا علة للأبعدين في
الامتناع، وألا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة فيحابيهم في
الدعوة والتخويف، فلذلك نصّ له على إنذارهم" (3)

(1) الروح لابن القيم (230) ط. دار الكتب العلمية - بيروت

(2) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} برقم (204)

(3) فتح الباري (8/503)

وفي تخصيص أقاربه بالنداء والدعوة تأليفا لقلوبهم على الإسلام، وفي قوله - صلى الله عليه وسلم- (أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ) فيه مدى حرصه الشديد على أقاربه وشفقته عليهم من عذاب الله.

وفي قوله: (غير أن لكم رحما سألها ببلالها) إشارة إلى حرصه على صلة رحمه وعدم قطعها، وأنه مستمر في صلتهم وأداء حق الرحم، وكل هذا تأليف للقلوب.

المطلب الرابع: التودد إلى الناس:

بإخبار من يحب بأنه يحبه كما قال لمعاذ - رضي الله عنه-: (يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك)، فقال: (أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك) (1)

ولا يخفى علينا عظم قيمة قول النبي -صلى الله عليه وسلم- لمعاذ " والله إني لأحبك " فلا شك أنه -صلى الله عليه وسلم- بذلك يربط القلوب على الحب في الله برباط وثيق؛ هذا فضلا عن تواضعه، وتودده لأصحابه، وفي هذا تعليم للدعاة كيف يدعون الناس إلى الله بإظهار الود والمحبة.

المطلب الخامس: تأليف القلوب بالدعاء:

ومن وسائله -صلى الله عليه وسلم- في تأليف القلوب دعائه لأصحابه بالخير والبركة، ولا شك أن الفوز بدعائه -صلى الله عليه وسلم- من أسباب السعادة والعز والشرف للمدعو له، ومن ذلك:

- دعاؤه لأنس بن مالك خادمه:

عن أنس قال: جاءت بي أمي، أم أنس إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقد أزرنتي بنصف خمارها وردتني بنصفه، فقالت: يا رسول الله! هذا أنيس، ابني. أتيتك به يخدمك، فادع الله له. فقال: "اللهم! أكثر ماله وولده.

(1) رواه أبو داود في سننه، باب تفریع أبواب الوتر باب في الاستغفار (حديث رقم: 1522) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، بدون تاريخ طباعة

قال أنس: فوالله! إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المئة اليوم⁽¹⁾.

- دَعَاؤُهُ لِابْنِ عَبَّاسٍ:

عن ابن عباس، قال: ضَمَّنِي النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: (اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْحِكْمَةَ)⁽²⁾

وعنه أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل الخلاء، فوضعت له وضوءًا، قال: (من وضع هذا؟) فأخبر، فقال: (اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)⁽³⁾

والأمثلة على دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه كثيرة وموجودة في الصحيحين وكتب السنن.

وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتألف القلوب بدعائه وربما دعا بالهداية أو بالمغفرة، ولا شك أن هذا له أثر بالغ في قلوب المدعويين خاصة وأن الدعاء صادر عن خاتم الأنبياء والمرسلين.

المطلب السادس: تأليف القلوب بالعفو:

العفو من شيم الكرام، وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعفو عمن ظلمه أو أساء إليه تأليفاً للقلوب، فلا يقابل الإساءة بالإساءة، بل يقابل الإساءة بالإحسان مطبقاً لقوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159]

والأمثلة على عفوهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كثيرة أذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

عن عبد الله بن مسعود قال: قسم النبي - صلى الله عليه وسلم - قسمة كبعض ما كان يقسم فقال رجل من الأنصار: والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله! قلت: أما أنا لأقولن للنبي - صلى الله عليه وسلم - فأتيتهُ وهو في أصحابه

(1) رواه مسلم في صحيحه باب من فضائل أنس بن مالك، رضي الله عنه برقم (2481)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب ذكر ابن عباس برقم (3546)

(3) رواه البخاري في صحيحه كتاب الوضوء باب وضع الماء عند الخلاء برقم (143)

فساررته فشق ذلك على النبي -صلى الله عليه وسلم- وتغير وجهه وغضب حتى وددت أني لم أكن أخبرته ثم قال: (قد أودى موسى بأكثر من ذلك فصبر) (1)

لقد تغير وجه النبي صلى الله عليه وسلم غضبا من مقالة الرجل فيه ووصفه بالظلم، ولم يعاقبه النبي - صلى الله عليه وسلم - على مقالته وإنما عفا عنه وتأسى بأخيه موسى -عليه السلام-

ومن صور عفوهِ - صلى الله عليه وسلم - ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاء، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس في العضاء، يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة فعلق بها سيفه. قال جابر: فمنا نومة، ثم إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فجننا، فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتا، فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله، فما هو ذا جالس" ثم لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم. (2)

فهذا الأعرابي أراد النيل من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقتله وهو نائم فلما قذف الله في قلبه الرعب أخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - السيف، ورغم أن يقدر على معاقبته إلا أنه لم يفعل وعفا عنه، وقد ورد ذلك في رواية أخرى للحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال: من يمنعك مني؟ فقال: كن خير آخذ، فقال: تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟ قال: لا، ولكني أعاهدك ألا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلي سبيله، فأتى أصحابه فقال: جئتم من عند خير الناس. (3)

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب من أخبر صاحبه بما يقال فيه برقم (5749)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب غزوة ذات الرقاع برقم (4135)

(3) رواه الإمام أحمد في مسنده، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنهما - برقم (14929)

وقال المحقق: حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير سليمان بن قيس اليشكري مسند الإمام أحمد بتحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة

الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م

فلاحظ هنا أثر العفو في تأليف القلوب، وأن الإحسان للناس بالعفو يفتح قلوبهم ويلينها، وبعد أن جاء الرجل متأمرًا على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم رجع لقومه يقول: "جئكم من عند خير الناس".

المطلب السابع: تأليف القلوب بزيارة المرضى:

ومن هديه - صلى الله عليه وسلم - في تأليف القلوب زيارة المرضى حتى من غير المسلمين وقد ثبت زيارته لغلام يهودي كان يخدمه ودعاه إلى الإسلام كما في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: (كان غلام يهودي يخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - فمرض، فأتاه النبي - صلى الله عليه وسلم - يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: (أسلم). فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم - صلى الله عليه وسلم -، فأسلم، فخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول: (الحمد لله الذي أنقذه من النار).⁽¹⁾

فكانت زيارة النبي - صلى الله عليه وسلم - رحمة لهذا الغلام المريض على الرغم من صغر سنه، وكانت سببًا لتأليف قلبه ودعوته للإسلام، وقد كان على اليهودية كأبويه، وشجعه أبوه قائلاً: أطع أبا القاسم، وقد فرح النبي - صلى الله عليه وسلم - بإسلامه وحمد الله الذي أنقذه بسبب زيارته ودعوته من النار.

المبحث الثاني/ الترغيب في العمل الصالح

فقد اهتم النبي - صلى الله عليه وسلم - بالتبشير بذكر الثواب المترتب على كثير من الأعمال الصالحة تشجيعًا للمؤمنين على فعلها، وتحفيزًا للهمم، وتحبيبًا للمؤمنين في عبادة ربهم، وحثًا لهم على بذل المزيد من الأعمال الصالحة. وسيتناول الباحث هذا الأسلوب ببعض الأمثلة الدالة عليه في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الترغيب في الثواب الجزيل من الله.

المطلب الثاني: العمل الصالح سبب للنجاة من الشدائد.

المطلب الثالث: العمل الصالح سبب لتكفير السيئات.

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام برقم (1290)

المطلب الأول: الترغيب في الثواب الجزيل من الله:

وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن ترغب في العمل الصالح، وتبين أن جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنة، منها على سبيل المثال:

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: 25]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: 57]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: 42]

فهذه الآيات ترغب في العمل الصالح وأنه سبب لمرضاة الله ودخول الجنة.

المطلب الثاني: العمل الصالح سبب للنجاة من الشدائد:

كما في الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا، ولا مالا فنأى بي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت -والقدح على يدي- أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه. قال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم، كانت أحب الناس إلي -وفي رواية: كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء- فأردتها على نفسها فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومئة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها -وفي رواية: فلما قعدت بين رجليها- قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. وقال

الثالث: اللهم استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله، أد إلي أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك: من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله، لا تستهزئ بي! فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون (1)

في هذا الحديث ساق النبي -صلى الله عليه وسلم- قصة ثلاثة من بني إسرائيل لجأوا إلى غار لبيبتوا فيه، فنزلت من أعلى الجبل صخرة فأغلقت مخرج الغار الذي يخرجون منه، فحبس الثلاثة داخل هذا الكهف، فتوسلوا إلى الله بما كان من عملهم الصالح؛ ليستجيب الله لهم، فيبعد تلك الصخرة عن باب الكهف.

فتوسل الأول إلى الله ببره بوالديه، وتوسل الثاني بتعففه عن الحرام، وتوسل الثالث بأمانته وحفظه لأجرة أجير عنده، وببركة عملهم الصالح كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم انفرجت الصخرة، وفتح باب الغار، فخرجوا يمشون.

فساق النبي -صلى الله عليه وسلم- الحديث ليدل على أن العمل الصالح سبب للنجاة من الشدائد، وأن الدعاء واللجوء إلى الله سبب لتفريج كل كرب.

المطلب الثالث: العمل الصالح سبب لتكفير السيئات:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: 7]

وعن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا، ما تقول: ذلك يبقي من

(1) أخرجه: البخاري، كتاب الأنبياء، باب: {أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم} برقم (3278)، وأخرجه مسلم كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال برقم (2743)

درنه) قالوا: لا يبقى من درنه شيئاً، قال: (فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله به الخطايا) (1)

المبحث الثالث/ الترهيب من الشرك والمعاصي

بعث الله رسوله -صلى الله عليه وسلم- مبشراً ونذيراً، فما ترك خيراً يدعو أمته له إلا وبينه وحثهم عليه، وما ترك شراً إلا وحذرهم منه وبين عقوبته عند الله -عز وجل-

وسيتناول الباحث هذا الأسلوب ببعض الأمثلة الدالة عليه في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الترهيب من الشرك بالله.

المطلب الثاني: الترهيب من الإسراف والتبذير.

المطلب الثالث: الترهيب من الغيبة.

المطلب الأول: الترهيب من الشرك بالله:

جاء التحذير من الإشراف بالله في آيات كثيرة في القرآن منها قوله تعالى:
﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: 72]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: 65]

ورهب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في كثير من الأحاديث من الشرك وعاقبته وأنه من أكبر الكبائر فقال: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ - ثلاثاً-، قلنا: بلى

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب مواقيت الصلاة باب: الصلوات الخمس كفارة، حديث رقم: (505) وأخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا رقم (667)

يا رسول الله، قال: الإشرak بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس، فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت (1)

وقال: (اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) (2)

المطلب الثاني: الترهيب من الإسراف والتبذير:

التبذير هو: "تفريق المال في غير وجهه، وهو مرادف الإسراف، فإنفاقه في الفساد تبذير، ولو كان المقدار قليلا، وإنفاقه في المباح إذا بلغ حد السرف تبذير، وإنفاقه في وجوه البر والصلاح ليس بتبذير" (3)

وقد جاء النهي عن الإسراف والتبذير في القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ

الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: 27]

ومعنى قوله ﴿إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾ أي: "في التبذير والسفه وترك طاعة الله وارتكاب معصيته؛ ولهذا قال: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ أي: جودا؛ لأنه أنكر نعمة الله عليه ولم يعمل بطاعته؛ بل أقبل على معصيته ومخالفته." (4)

وبين رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أن ذلك أمر يكرهه الله، ولا يحبه من عباده المؤمنين فقال: (إن الله كره لكم ثلاثا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال) (5)

(1) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها برقم (87)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب الوصايا، باب: قول الله تعالى: {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا}، حديث رقم: (2615)، ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، برقم: (89)

(3) تفسير التحرير والتنوير (79/15)

(4) تفسير ابن كثير (5/69)

(5) رواه مسلم في صحيحه كتاب الأفضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة

قال الإمام النووي: "وأما إضاعة المال فهو صرفه في غير وجوهه الشرعية وتعريضه للتلف وسبب النهي أنه إفساد والله لا يجب المفسدين ولأنه إذا أضاع ماله تعرض لما في أيدي الناس وأما عقوق الأمهات فحرام وهو من الكبائر بإجماع العلماء." (1)

المطلب الثالث: الترهيب من الغيبة:

عرّف النبي صلى الله عليه وسلم الغيبة بقوله مخاطباً أصحابه: (أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه فقد بهتته.) (2)

وجاء النهي عن الغيبة والترهيب من الوقوع فيها في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ بَرُّ الرَّحِيمِ﴾ [الحجرات: 12]

المبحث الرابع/ الرفق وإظهار العاطفة

كان النبي - صلى الله عليه وسلم- رحيماً رقيقاً لينا كما قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159]

فقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159] أي: "بسبب رحمة عظيمة فيأضه منحك الله إياها يا محمد كنت لينا مع أتباعك في كل أحوالك.
﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159] أي: "ولو كنت- يا محمد- كرية الخلق، خشن الجانب، جافياً في أقوالك وأفعالك،

برقم (593) شرح النووي على مسلم (12/11)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1392هـ

(1) شرح النووي على مسلم (12/11)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1392هـ

(2) رواه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الغيبة برقم (2589)

قاسى القلب لا تتأثر لما يصيب أصحابك.. ولو كنت كذلك لانفضوا من حولك
أي لتفرقوا عنك ونفروا منك ولم يسكنوا إليك." (1)

فكان النبي -صلى الله عليه وسلم- رفيقا يحب الرفق، ويحث المؤمنين عليه
فيقول: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه) (2)
والكلمة الطيبة اللينة تستميل القلوب "فالناس في حاجة إلى كنف رحيم،
وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم
وضعفهم ونقصهم.. في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء
ويحمل همومهم ولا يعينهم بهمهم ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف
والسماحة والود والرضاء...." (3)

وصور رفقته -صلى الله عليه وسلم- كثيرة في سيرته، وسيتناول الباحث هذا
الأسلوب ببعض الأمثلة الدالة عليه في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: رفقته بالأمهات في الصلاة.

المطلب الثاني: رفقته بالأعرابي الذي بال في المسجد.

المطلب الثالث: رفقته بالأعرابي الذي جذبته من ثوبه.

المطلب الأول: رفقته بالأمهات في الصلاة:

عن أنس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إني لأدخل في الصلاة،
وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي، مما أعلم من شدة
وجد أمه من بكائه) (4)

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (2/316)

(2) رواه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، برقم (2594)

(3) تفسير الظلال (1/500)

(4) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجماعة والإمامة، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي،
حديث رقم: (677)

لقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم- نهرا يتدفق بالرحمة، ومن رفقته ورحمته أنه يدخل الصلاة وهو يريد إطالتها فيسمع بكاء طفل صغير فيخفف - صلى الله عليه وسلم- الصلاة رحمة به وبأمه.

ولم يقم بعد الصلاة بالتنبيه على منع الأمهات من إتيان الجماعة، أو نهر الأم لبكاء ابنها، إنما خفف في الصلاة، ليعلم الأئمة والدعاة من بعده.

المطلب الثاني: رفقته بالأعرابي الذي بال في المسجد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: (قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء، أو ذنوبا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين)).⁽¹⁾

وهذه صورة أخرى من صور رفقته -صلى الله عليه وسلم- بهذا الأعرابي الذي يسكن الصحراء فرأى النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحبه يجلسون في ناحية من المسجد فذهب يبول في الجهة الأخرى، فقام الناس إليه لزجره ومنعه مما يفعل، فأمرهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ألا يفزعوه فيقطع بوله فيعود ذلك بالضرر عليه، وبعد انتهائه عليهم أن يطهروا مكان البول بالماء.

فرفق النبي صلى الله عليه وسلم بالجاهل، ومنع الناس أن ينالوا منه، وعلمه من غير تعنيف ولا غلظة.

المطلب الثالث: رفقته بالأعرابي الذي جذبته من ثوبه:

يقول أنس - رضي الله عنه-: (كنت أمشي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذب بردائه جبذة شديدة، قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم، وقد

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد حديث رقم: (217)

أثرت بها حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعتاء. (1)

وفي هذا الحديث جانب من عظيم خلقه وحلمه ورفقه- صلى الله عليه وسلم-؛ فيحكي أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يمشي وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي يبدو من طبيعته غلظة وجلافة فأمسك النبي - صلى الله عليه وسلم- من ثوبه بشدة، حتى إن الثوب أثر في جانب رقبتة صلى الله عليه وسلم من شدة الجذبة، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، لم يغضب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرد إساءة الرجل بإساءة مثلها أو أشد وهو من هو في مكانته بين المسلمين، إنما التفت إليه النبي صلى الله عليه وسلم ثم ضحك، ثم أمر له بعتاء من المال!!

إنه درس للدعاة إلى الله على الصبر وسعة الصدر في الدعوة إلى الله واحتمال الجاهلين، ودفع السيئة بالحسنة.

المبحث الخامس/ القصص العاطفية

من الأساليب المؤثرة لدى المدعوين القصص العاطفية المؤثرة، وخاصة القصص النبوي، فهي ليست أساطير أو خرافات تردد، إنما وقائع حدثت في الماضي وذكرها النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه تربية للنفوس بما تتركه من أثر في تقوية الإيمان، وتركية الأنفس وتقويمها والاعتاظ بما جرى في الأمم قبلنا.

وقد تنوعت موضوعات القصص فمنها القصص التي تتكلم عن سعة رحمة الله وقبول التوبة، ومنها ما يتحدث عن ثواب العمل الصالح، وجزاء المحسن، وعاقبة الظالم، وسيتناول الباحث هذا الأسلوب ببعض الأمثلة الدالة عليه في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قصة الرجل الذي قتل مئة نفس.

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الخمس باب "ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعطي المؤلفات قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه" حديث رقم (2980) ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة باب "إعطاء من يسأل بفحش وغلظة" حديث رقم (1057)

المطلب الثاني: فرح الله بتوبة عبده.

المطلب الثالث: دخلت امرأة النار في هرة.

المطلب الأول: قصة الرجل الذي قتل مئة نفس:

وهي قصة رجل من بني إسرائيل أسرف على نفسه وقتل مئة نفس، ثم تاب إلى الله، فمات وهو خارج من قريته، فقبل الله توبته، وغفر له، وقد قص النبي - صلى الله عليه وسلم- هذه القصة علينا فقال: (كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا، ثم خرج يسأل، فأتى راهبا فسأله فقال له: هل من توبة؟ قال: لا، فقتله، فجعل يسأل، فقال له رجل: ائت قرية كذا وكذا، فأدركه الموت، فناء بصدرة نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي، وأوحى إلى هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوجد إلى هذه أقرب بشبر، فغفر له.) (1)

فهذه قصة رجل أسرف على نفسه وعاش حياته قاتلا حتى بلغ من قتلهم تسعة وتسعين نفسا، ومع كل هذا إلا أنه كان لا يزال في قلبه بقية من خير تقوده نحو طريق الهداية، فخرج يسأل فدلوه على راهب، والراهبان يعرفون بكثرة العبادة وقلة العلم، فلما آيسه من رحمة الله ورأى أنه لا توبة له قتل الراهب فتمم به المئة، ثم سأل عالما بعد ذلك، فأخبره بأن الله يقبل توبته، وأن رحمة الله واسعة، وأرشده أن يفارق قرية السوء التي كان يعيش بها إلى قرية أخرى بها قوما صالحين، ليعينوه على طاعة الله، وتحرك الرجل سريعا دون تردد إلى القرية الصالحة أهلها فعاجله الموت ونفذ فيه قدر الله الذي لا يتأخر، ومن شدة رغبته في التوبة نأى بصدرة جهة الأرض الطيبة وهو في النزع الأخير، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، كل منهم يريد أن يقبض روحه، فأمر الله أرض الخير والصلاح أن تتقارب، وأرض الشر والفساد أن تتباعد، فوجدوه أقرب إلى أرض الصالحين بشبر، فتولت أمره ملائكة الرحمة، وغفر الله له ذنوبه كلها.

إن ذكر هذه القصة يفتح أبواب الأمل لكل عاص مهما عظمت ذنوبه، وتبين سعة رحمة الله، وقبوله لتوبة التائبين إن صدقوا في توبتهم.

(1) رواه البخاري كتاب الأنبياء، باب: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم)، برقم (3283) ورواه مسلم كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله برقم (2766)

والقصة فيها درس مهم للدعاة إلى الله بأن يفتحوا أبواب الأمل أمام كل من عصى وأسرف على نفسه بترغيه في التوبة إلى الله، وأنه إذا صدق الله في توبته قبل الله منه وفرح به وبذل سيئاته حسنات، وأن من تمام توبته هجرة أصدقاء السوء.

المطلب الثاني: فرح الله بتوبة عبده:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح.)⁽¹⁾

هنا أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم- أصحابه أن الله أشد فرحًا برجوع عبده إليه بالتوبة، من فرح رجل كان في أرض فلاة، فقد بعيره وعليه زاده، فجعل يطلبه فلم يجده، فذهب إلى شجرة ونام تحتها ينتظر الموت! من شدة يأسه من حياته؛ فإذا به يجد بعيره فوق رأسه، وفرحته بعودة بعيره هي فرحة كبيرة لرجل أيقن بالموت ومن شدة فرحه قال: (اللهم أنت عبدي وأنا ربك!) أراد أن يثني على الله فمن شدة فرحه أخطأ.

فهذه قصة تملأ قلوب السامعين استبشارا بفرح الله تعالى بعودة عبده التائب إليه وتحرك القلوب للتوبة إلى الله عز وجل.

المطلب الثالث: دخلت امرأة النار في هرة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض)⁽²⁾

(1) رواه البخاري كتاب الدعوات، باب التوبة برقم (5950)، ورواه مسلم، واللفظ له، كتاب التوبة، باب: في الحض على التوبة والفرح بها، برقم (2747)

(2) رواه البخاري كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم برقم (3140)، ورواه مسلم، كتاب قتل الحيات وغيرها، باب: تحريم قتل الهرة، برقم (2242)

وقد ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم- لنا هذه القصة تحذيرا وترهيبا من حبس حيوان وإيذائه؛ فهذه امرأة قاسية القلب، حبست هرة ومنعت عنها الطعام والشراب، ولم ترحمها، ولم تتركها لحال سبيلها تبحث عن طعامها، فهذا الفعل كبيرة من الكبائر الموجبة للنار.

ووقع هذه القصة على نفوس السامعين تجعلهم مدركين لعظم ذنب تعذيب أي حيوان فضلا عن إنسان، وأنه ذنب قد يستهين به البعض لكنه موجب لعذاب الله، فهي تحذير لكل مسلم من أن يقدم على مثل هذا الفعل، وفي القصة تذكير بالرحمة بالحيوان ووجوب إطعامه عند حبسه وإلا يطلق لحال سبيله.

المطلب السادس/ التذكير بنعم الله

وسيتناول الباحث هذا الأسلوب ببعض الأمثلة الدالة عليه في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حديث القرآن عن نعم الله.

المطلب الثاني: التذكير بحمد الله على نعمه كلما تجددت النعم.

المطلب الثالث: التنبيه على عظم بعض النعم.

المطلب الرابع: الحث على دوام شكر الله على النعم بالحمد.

المطلب الأول: حديث القرآن عن نعم الله:

لقد أنعم الله على عباده بنعم لا تعد ولا تحصى وقد جاء الحديث في القرآن كثيرا عن التذكير بنعم الله، وأن حق المنعم على عباده أن يعبد وحده لا شريك له ، وأن يثنى عليه بنعمه، وأن يقصد وحده بالشكر قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم: 32-34]

فهذه النعم الدائمة التي تحدث القرآن عنها كنعمة نزول المطر من السماء وإحياء الله الأرض بعد موتها، ونعمة تسخير الفلك في البحر تجري بأمره، وكذلك نعم الشمس والقمر والأنهار والليل والنهار، وغيرها كثير من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى؛ كلها تستوجب شكر الله تعالى.

ودعا القرآن الكريم العباد إلى تأمل نعمة الليل والنهار وهي نعمة متكررة قل من ينتبه إليها ماذا يحدث إذا فقدناها؟ قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ

عَلَيْكُمْ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَآ

تَسْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ

غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ

اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٥﴾ [القصص: 71-

73]، والمعنى: "يقول تعالى ممتنا على عباده بما سخر لهم من الليل والنهار، اللذين لا قوام لهم بدونهما، وبين أنه لو جعل الليل دائما عليهم سرمدا إلى يوم القيامة، لأضر ذلك بهم، ولسئمته النفوس وانحصرت منه، ولهذا قال تعالى: (من إله غير الله يأتيكم بضياء) أي: تبصرون به وتستأنسون بسببه، (أفلا تسمعون)، ثم أخبر أنه لو جعل النهار سرمدا دائما مستمرا إلى يوم القيامة، لأضر ذلك بهم، ولتعبت الأبدان وكلت من كثرة الحركات والأشغال؛ ولهذا قال: (من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه) أي: تستريحون من حركاتكم وأشغالكم. (أفلا تبصرون)

(ومن رحمته) أي: بكم (جعل لكم الليل والنهار) أي: خلق هذا وهذا (لتسكنوا فيه) أي: في الليل، (ولتبتغوا من فضله) أي: في النهار بالأسفار والترحال، والحركات والأشغال، وهذا من باب اللف والنشر.

وقوله: (ولعلكم تشكرون) أي: تشكرون الله بأنواع العبادات في الليل والنهار. (1)

فالله تعالى يذكر عباده لأنهم لما ألفوا النوم بالليل والسعي والمعاش بالنهار، نسوا أن هذه نعم كبيرة من الله الذي هيأ لهم الكون كله في الليل للنوم

(1) تفسير ابن كثير (6/252)

والسكينة والراحة، وهياً لهم النهار للسعي والمعاش والحركة، فهذه نعم، دائمة متجددة يذكرنا بها للمداومة على شكر الله.

أيضا من نعم تعالى ما ذكره في سورة الواقعة: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾^(٣٦)
أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ [الواقعة: 63-73]

فامتنَّ الله على عباده بأنه هو من ينبت البذرة ويجعل منها الثمرة، وهو من ينزل الماء من السماء عذبا فراتا سلسبيلا، وهو الذي أنعم على عباده بالنار التي يستدفئون بها وينضجون عليها الطعام، فسبحان الخلاق العظيم.

المطلب الثاني: التذكير بحمد الله على نعمه كلما تجددت النعم:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها).⁽¹⁾

فهذا تعليم نبوي كريم للمؤمنين أن من رضا الله تعالى عن العبد أن يحمده كلما أكل أو شرب، فهو الذي رزقه به وهياً له.

المطلب الثالث: التنبيه على عظم بعض النعم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ)⁽²⁾

(1) رواه مسلم، كتاب الذكر، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، باب: استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل، والشرب، برقم (2734)

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: ما جاء في الصحة والفراغ، وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، برقم (6049)

فهاتان نعمتان لا يقدرهما الناس قدرهما: نعمة الصحة التي لا تشتري بمال ولا بسلطان، والتي لا يدرك الإنسان قدرها إلا إذا مرض وعجز عن القيام بأموره وتوقف نشاطه، ونعمة الفراغ بهدره فيما لا فائدة فيه، وتضييع الأوقات في السفاسف أو فضول المباحات، هو تضييع للعمر حتى يأتي الأجل وهو مفلس ضيع عمره-نسأل الله العافية-.

فنبه النبي -صلى الله عليه وسلم- على إدراك قيمة هاتين النعمتين باستغلالهما فيما ينفع الإنسان.

المطلب الرابع: الحث على دوام شكر الله على النعم بالحمد:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ

عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7] ، فشكر المنعم جل وعلا على نعمه والاعتراف له بالفضل دليل على توحيد العبد لربه فهو يعبده وحده ويشكره وحده، والشكر أيضا دليل على الرضا بما أعطى الله ورزق.

أيضا (النفس التي تشكر الله على نعمته، تراقبه في التصرف بهذه النعمة، بلا بطر، وبلا استعلاء على الخلق، وبلا استخدام للنعمة في الأذى، والشر، والدنس، والفساد.

وهذه وتلك مما يزكي النفس، ويدفعها للعمل الصالح، وللتصرف الصالح في النعمة بما ينميها ويبارك فيها، ويرضي الناس عنها وعن صاحبها، فيكونون له عوناً، ويصلح روابط المجتمع فتتمو فيه الثروات في أمان، إلى آخر الأسباب الطبيعية الظاهرة لنا في الحياة، وإن كان وعد الله بذاته يكفي لأطمئنان المؤمن، أدرك الأسباب أولم يدركها، فهو حق واقع لأنه وعد الله.

والكفر بنعمة الله قد يكون بعدم شكرها، أو بإنكار أن الله واهبها، ونسبتها إلى العلم، والخبرة، والكد الشخصي، والسعي! كأن هذه الطاقات ليست نعمة من نعم الله! وقد يكون بسوء استخدامها بالبطر والكبر على الناس واستغلالها للشهوات والفساد.. وكله كفر بنعمة الله." (1)

(1) تفسير الظلال (4/2089)

وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يكثر من الحمد لله رب العالمين ويعلمنا دوام الحمد لله، فيقول: (أحب الكلام إلى الله تعالى أربع: لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) (1)

وبين أن الحمد لله لها ثواب يملأ ميزان الحسنات يوم القيامة؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - ما بين السماوات والأرض) (2)

وقد وردت في السنة النبوية صيغ متعددة لحمد الله سبحانه وتعالى منها:

1- عند الفراغ من الطعام:

عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من طعامه، وقال مرة: إذا رفع مائدته، قال: (الحمد لله الذي كفانا وأروانا، غير مكفي ولا مكفور). وقال مرة: (الحمد لله ربنا، غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى، ربنا) (3)

2- دبر كل صلاة مكتوبة:

وردت صيغة لذكر الله تعالى متضمنة لحمد الله دبر كل صلاة، وهي سبب في غفران الذنوب وإن كانت مثل زبد البحر:

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فتلك تسعة وتسعون وقال تمام المئة لا إله إلا الله وحده لا شريك

(1) رواه مسلم كتاب الآداب، باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه حديث رقم: (2137)

(2) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، برقم: (223)

(3) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأطعمة، باب: ما يقول إذا فرغ من طعامه، حديث رقم (5143)

له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر(1)

3- عند الرفع من الركوع في الصلاة:

عن أبي سعيد الخدري قال: (كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا رفع رأسه من الركوع قال: ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد. اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد)(2)

وعلمنا أن نتعوذ بالله من زوال النعم فكان يقول في دعائه: (اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك.) (3)

(1) رواه مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، حديث رقم: (597)

(2) رواه مسلم كتاب الصلاة باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، حديث رقم: (477)

(3) رواه مسلم كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء برقم: (2739)

الفصل الثاني

المنهج العقلي في دعوة

خاتم الأنبياء والمرسلين محمد -صلى الله
عليه وسلم-

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول/ أسلوب القياس

المبحث الثاني/ أسلوب الجدل.

المبحث الثالث/ أسلوب الحوار.

المبحث الرابع/ أسلوب ضرب الأمثال.

الفصل الثاني المنهج العقلي في دعوة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم-

العقل نعمة من الله تعالى اختص بها الإنسان عن سائر الكائنات، فميزنا الله بالعقل الذي نستطيع به أن ندرك وأن نعي الأشياء من حولنا.

والداعي إلى الله يدعو الناس إلى الهدى ودين الحق، ويعرض عليهم الإيمان الصحيح بالله بصورته البيضاء النقية بعيدا عما ألصق به من بدع وخرافات وموروثات من آبائهم وأجدادهم، والدعوة إلى الله قائمة على الإقناع وليس الإكراه وعند طرحها فإنها تصاغ في صور متعددة عند طرحها، فيعتمد الداعية لإيضاح هذه اليقينيات على الاستدلال والحوار والجدال والمناظرة، وضرب الأمثال، وذلك لاختلاف أحوال المدعوين واختلاف عقولهم ومداركهم، فهناك الذكي الفطن، وهناك المنكر المتكبر، وهناك المجادل بالباطل... الخ.

وقد قابل النبي -صلى الله عليه وسلم- العديد من هؤلاء باختلاف أطيافهم وأجناسهم وتعامل معهم كل بما يناسبه، بالقياس تارة والحوار تارة وبالمجادلة تارة أخرى وبضرب الأمثال وهكذا...

وهذا ما سيتعرض له البحث في هذا الفصل من خلال أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول/ أسلوب القياس

المبحث الثاني/ أسلوب الجدال.

المبحث الثالث/ أسلوب الحوار.

المبحث الرابع/ أسلوب ضرب الأمثال.

المبحث الأول/ أسلوب القياس

وسيتناول الباحث هذا الأسلوب ببعض الأمثلة الدالة عليه في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القياس لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مثل عيسى كمثال آدم.

المطلب الثالث: ضرب المثل في قدرة الله على إحياء الموتى.

المطلب الرابع: استعمال النبي - صلى الله عليه وسلم- للقياس.

المطلب الأول: تعريف القياس لغة واصطلاحاً:

القياس لغة: قاس الشيء يقيسه إذا قدره على مثاله، (1)

واصطلاحاً: (هو إلحاق أمر غير منصوص على حكمه بأمر منصوص على حكمه لاشتراكهما في علة الحكم.) (2)

وأسلوب القياس هو أحد أساليب المنهج العقلي للقرآن الكريم في الدعوة إلى الله، وقد ورد استعمال القياس في القرآن في مواضع كثيرة منه، يتعرض الباحث لبعض منها في المطالب التالية.

المطلب الثاني: مثل عيسى كمثال آدم:

جاء في القرآن قياس خلق الله لعيسى على خلق آدم وأن الكل واقع بقدرة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59]

والمعنى: (إن شأن عيسى وحاله الغريبة عند الله أي في تقديره وحكمه كمثال آدم أي كصفته وحاله العجيبة في أن كليهما قد خلقه الله-تبارك وتعالى- من غير أب، ويزيد آدم على عيسى أنه خلق بدون أم- أيضا- فالآية الكريمة ترد ردا

(1) انظر لسان العرب (6/188) مادة قيس.

(2) الوجيز في أصول الفقه للدكتور وهبة الزحيلي (ص 56) ط دار الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر دمشق، إعادة الطبعة الأولى 1419هـ، 1999م

منطقيا حكيمًا يهدم زعم كل من قال بالوهية المسيح أو اعتبره ابن الله.

وكأن الآية الكريمة تقول لمن ادعى ألوهية عيسى لأنه خلق من غير أب: أنه إذا كان وجود عيسى بدون أب يسوغ لكم أن تجعلوه إلهًا أو ابن إله فأولى بذلك ثم أولى آدم لأنه خلق من غير أب ولا أم.

ومادام لم يدع أحد من الناس ألوهية آدم لهذا السبب فبطل حينئذ القول بألوهية عيسى لانتهيار الأساس الذي قام عليه وهو خلقه من غير أب. ولأنه إذا كان الله-تبارك وتعالى- قادرا على أن يخلق إنسانا بدون أب ولا أم فأولى ثم أولى أن يكون قادرا على خلق إنسان من غير أب فقط، ومن أم هي مريم التي تولاها- سبحانه- برعايته وصيانته لها من كل سوء وجعلها وعاء لهذا النبي الكريم عيسى- عليه السلام-). (1)

فالقرآن هنا يدعو من يقولون بألوهية المسيح أن يعملوا عقولهم لفهم الحقيقة بعيدا عن التقليد من خلال هذه النقاط:

- أنتم لا تقولون بألوهية آدم وتقولون بألوهية المسيح.
- أنتم تقولون بألوهية المسيح لأنه خلق من أم بلا أب.
- باستعمال القياس العقلي من أولى بالألوهية؟

الجواب: آدم أولى بالألوهية لأنه خلق من غير أم ولا أب، لكن لما كان آدم ليس ابنا لله ولا إلهًا باعتراف النصارى أنفسهم، نتج عن ذلك أن عيسى ليس ابناً ولا إلهاً.

المطلب الثالث: ضرب المثل في قدرة الله على إحياء الموتى:

بين الله في غير موضع من القرآن دليلاً واضحاً على قدرته على إحياء الموتى وهو أنه سبحانه ينزل المطر من السماء فتتحول الأرض الميتة إلى خضراء حية مثمرة فلو أعملتم أيها المخاطبون عقولكم لعلمتم أن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على أن يحيي الموتى، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبِتُ بِهٖ الشَّجَرَاتِ ثُمَّ يُجْعَلُ لَهُ الْغُلَامُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾. **تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ**

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي (2/126)

أَلَمْؤَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿39﴾، ففي هذه الآية "شبه إمداد الأرض بماء المطر الذي هو سبب انبثاق البزور التي في باطنها التي تصير نباتا بإحياء الميت، فأطلق على ذلك أحيائها على طريق الاستعارة التبعية، ثم ارتقي من ذلك إلى جعل ذلك الذي سمي إحياء لأنه شبيه الإحياء دليلا على إمكان إحياء الموتى بطريقة قياس

الشبه، وهو المسمى في المنطق قياس التمثيل، وهو يفيد تقريب المقيس بالمقيس عليه، وليس الاستدلال بالشبه والتمثيل بحجة قطعية، بل هو إقناعي ولكنه هنا يصير حجة لأن المقيس عليه وإن كان أضعف من المقيس إذ المشبه لا يبلغ قوة المشبه به، فالمشبه به حيث كان لا يقدر على فعله إلا الخالق الذي اتصف بالقدرة التامة لذاته فقد تساوى فيه قويه وضعيفه، وهم كانوا يحيلون إحياء الأموات استنادا للاستبعاد العادي، فلما نظر إحياء الأموات بإحياء الأرض المشبه تم الدليل الإقناعي المناسب لشبهتهم الإقناعية، وقد أشار إلى هذا تذييله بقوله: (إنه على كل شيء قدير) (1)

المطلب الرابع: استعمال النبي - صلى الله عليه وسلم- للقياس:

وقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم القياس في إجابته على أسئلة الناس في مواضع عدة منها:

- عن ابن عباس رضي الله عنهما: " أن امرأة من جهينة، جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟، قال: (نعم حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضية؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء). (2)

- وعنه أيضا " أن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن أمي ماتت وعليها صوم شهر، فقال: (أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه؟)، قالت: نعم، قال: (فدين الله أحق بالقضاء) (3)

(1) تفسير التحرير والتنوير (24/303)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: من شبه أصلا معلوما بأصل مبين، حديث رقم: (6885)

(3) رواه مسلم كتاب الصيام، باب: قضاء الصيام عن الميت، حديث رقم: (1148)

ففي هذين الحديثين استعمل النبي -صلى الله عليه وسلم- القياس مع المرأة السائلة بأن أمها لو كان عليها دين لأدمي لكان عليها قضاءه، فمن باب أولى قضاء الدين المتعلق بحق من حقوق الله.

- وفي الحديث عن أبي ذر، «أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم قال: أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون، إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلية صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر» (1)

فاستعمل النبي - صلى الله عليه وسلم- القياس مع أصحابه عندما بين لهم أن إتيان الرجل أهله يكتب له بذلك أجر من الله، فتعجب الصحابة وقالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته وهذا شيء تميل إليه النفس وتحبه، ويكون له فيها أجر؟! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه فيها وزر؟) يعني: لو وضع الشهوة في الحرام ووقع في الزنا؛ هل يكون عليه إثم وعقوبة؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر؛ فهنا استعمل النبي القياس؛ ليكون المعنى واضحا مستقرا في نفس السامعين.

المبحث الثاني/ أسلوب الجدل

تنوعت أساليب إقامة الأدلة على صدق ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم- في القرآن الكريم والسنة المطهرة، لتكون أدعى للقبول وألزم للحجة، وإبطالا للشبهة، مع ملاءمتها لتنوع العقول واختلافها في كل زمان ومكان.

وقد تميز القرآن الكريم بطريقتين للجدل وهما:

"الأول أن تذكر العقيدة الباطلة وينص على شناعتها وفسادها واستنكارها، فحسب.

(1) رواه مسلم كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، حديث رقم (1006)

الثاني أن تحدد الشبهات التي وقع فيها هؤلاء الفرق، ثم تعرض حلولها وأجوبتها بالأدلة البرهانية أو الخطابية." (1)

وسوف يتعرض الباحث لبعض الأمثلة من الشبهات الواردة في القرآن والرد عليها، ثم بعض الشبهات الواردة في السنة؛ من خلال مطلبين:

المطلب الأول / بعض الشبهات الواردة في القرآن والرد عليها.

المطلب الثاني: بعض الشبهات الواردة في السنة وكيف ردّ الرسول صلى الله عليه وسلم عليها؟

المطلب الأول / بعض الشبهات الواردة في القرآن والرد عليها:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: شبهة عبادة الأصنام من دون الله.

المسألة الثانية: شبهة إنكار البعث والرد عليها.

المسألة الأولى: شبهة عبادة الأصنام من دون الله:

اتخذ المشركون أوثاناً فعبدوها من دون الله وتقربوا إليها بالتقديس والتعظيم وذبح القرابين والدعاء وسؤالها من دون الله، فأرسل الله رسوله محمداً بالهدى ودين الحق ليردهم إلى التوحيد، وقد رد القرآن على شبهاتهم في اتخاذ هذه الأوثان آلهة في عدة مواضع منها:

(1) "الفوز الكبير في أصول التفسير" للإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «ولي الله الدهلوي» (ص 33)، وعَرَّبَهُ من الفارسية: سلمان الحسيني الندوي ط دار الصحوة - القاهرة، الطبعة: الثانية - 1407 هـ - 1986 م

1- فساد السماء والأرض إن كان فيهما آلهة غير الله:

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ

عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: 22-23]

وهذا على سبيل الفرض الجدلي فلو سلمنا لكم أيها المشركون جدلاً أن هناك آلهة سوى الله، (وقد كانوا يؤمنون بالله ربا خالقاً رازقاً) فإنه يلزم من ذلك أن تفسد السماوات والأرض، وبما أن ذلك لم يحدث فليس لله شريك في ملكه، وهناك آية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلهةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا

لَا بُتَّغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 42]

والمعنى: "قل يا محمد لهؤلاء المشركين الزاعمين أن لله شريكاً من خلقه، العابدين معه غيره ليقربهم إليه زلفى: لو كان الأمر كما تقولون، وأن معه آلهة تعبد لتقرب إليه وتشفع لديه -لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون إليه ويبتغون إليه الوسيلة والقربة، فاعبدوه أنتم وحده كما يعبد من تدعونه من دونه، ولا حاجة لكم إلى معبود يكون واسطة بينكم وبينه، فإنه لا يحب ذلك ولا يرضاه، بل يكرهه ويأباه. وقد نهى عن ذلك على السنة جميع رسله وأنبيائه." (1)

وقوله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا

خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 91]

لكن، لماذا تفسد السماء والأرض إن كان فيهما آلهة غير الله؟

"قالوا: لأنك في هذه المسألة أمام أمرين:

إما أن تكون هذه الآلهة مستوية في صفات الكمال، أو واحد له صفات الكمال والآخر له صفة نقص. فإن كان لهم صفات الكمال، اتفقوا على خلق الأشياء أم اختلفوا؟

إن كانوا متفقين على خلق شيء، فهذا تكرار لا مبرر له، فواحد سيخلق، والآخر لا عمل له، ولا يجتمع مؤثران على أثر واحد.

(1) تفسير ابن كثير (5/78)

فإن اختلفوا على الخلق: يقول أحدهم: هذه لي، ويقول الآخر: هذه لي، فقد علا بعضهم على بعض.

أما إن كان لأحدهم صفة الكمال، وللآخر صفة النقص، فصاحب النقص لا يصح أن يكون إلها، وهكذا الحق – سبحانه وتعالى – يصرف لنا الأمثال ويوضحها ليجلي هذه الحقيقة بالعقل وبالنقل: لا إله إلا الله، واتخاذ آلهة معه سبحانه أمر باطل. (1)

إذن تعدد الآلهة يقتضي التنازع والاختلاف، فحينئذ يختل نظام العالم، وتفسد الحياة!، وحينئذ يتعين أن القاهر الفعال لما يريد هو الذي يوجد مراده وحده من غير مُنازع ولا مُخالف ولا شريك، وهو الله الخالق الإله الواحد.

2- ومن الاستدلالات العقلية في القرآن على بطلان عبادة الأصنام إثبات عجز جميع المعبودات من دون الله من كل الوجوه:

فخاطبهم قائلا: ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١١١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١١٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴿١١٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [الأعراف: 191-195]، فهي آلهة عاجزة صماء لا تسمع، ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر، ولا تملك مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنِ ظَهِيرٍ﴾ [سبا: 22] فأولى بكم أن تعبدوا الله وحده لا شريك له وأن تنبذوا عبادة الأصنام.

(1) تفسير الشعراوي (15/9508 وما بعدها)

المسألة الثانية: شبهة إنكار البعث والرد عليها:

كان المشركون ينكرون البعث، ويعتبرون إحياء الخلق مرة أخرى من قبيل الخرافة التي لا تصدق، وأن هذا أمر يرفضه العقل السليم، وهذه الشبهة ربما هي أكثر الشبه وورودا في القرآن مع الرد عليها وتفنيدها.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۗ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ ۗ لَا يُعْزَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سبا: 3]، و﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۗ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: 7]، و﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَعَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: 81-83]

وقد رد القرآن على ما زعموه في غير موضع من آياته بالأدلة والبراهين العقلية الواضحة، ومن ذلك:

1- التأكيد على أن القيامة حق لا ريب فيه:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: 87]

2- الاستدلال على النشأة الأخرى بالنشأة الأولى:

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِثٌ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم: 66-67]

فكما خلقكم الله من العدم فهو قادر على أن يحييكم ويعيدكم مرة أخرى بعد موتكم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَلَيْسَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا

قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ [الإسراء: 49-51]

3- الاستدلال بخلق السماوات والأرض:

والمشركون كانوا يقولون بأن الله خالق السماوات والأرض كما قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: 9]، فإذا كان سبحانه قد خلق ما هو أعظم من خلق الإنسان؛ فقدرته على إعادة الخلق أسهل من خلقه السماوات والأرض، وليس عند الله سهل وصعب وإنما هذا لتقريب المعنى في الأذهان، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: 57]

"وليس على قدرة الله أكبر ولا أصغر، ولا أصعب ولا أيسر، فهو خالق كل شيء بكلمة؛ إنما هي الأشياء كما تبدو في طبيعتها، وكما يعرفها الناس ويقدرونها؛ فأين الإنسان من هذا الكون الهائل؟ وأين يبلغ به كبره من هذا الخلق الكبير؟" (1)

4- مثال الأرض الميتة وإحياء الله لها دليل على قدرته على إحياء الموتى:

وهذا من أوضح الأدلة العقلية والحسية التي ساقها القرآن لإثبات البعث وهم يشاهدونها كثيرا ويتشوفون إلى نزول الغيث لأن بنزوله حياة للأرض وحياة لهم ولأنعامهم، قال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: 50]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقِّنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر: 9]

(1) تفسير الظلال (5/3090)

المطلب الثاني: بعض الشبهات الواردة في السنة وكيف ردّ الرسول صلى الله عليه وسلم عليها؟

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: مناقشة النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن الزبيري.

المسألة الثانية: عسى أن يكون نزعه عرق.

المسألة الأولى: مناقشة النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن الزبيري:

جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم، وفي المسجد غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه، وتلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمْ

وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هُوَ لِآءِءِ الْهَيْهَةَ مَا

وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: 98-100]

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقبل عبد الله بن الزبيري حتى جلس معهم، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبيري: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب أنفاً ولا قعداً، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم، فقال عبد الله بن الزبيري: أما والله لو وجدته لخصمته، فسألوا محمداً، أكل ما يُعبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيراً، والنصارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم.

فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبيري، ورأوا أنه قد احتج وخاصم، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: كل من أحب أن يُعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشيطان، ومن أمرهم بعبادته، وأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا

مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء:

101-102] أي: عيسى، وعزير، ومن عبدوا من الأحرار والرهبان، الذين مضوا على طاعة الله، فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله، ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة، وأنهم بنات الله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا

سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿26﴾ [الأنبياء: 26] إلى قوله: (وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿29﴾ [الأنبياء: 29]، ونزل فيما ذكر من أمر عيسى وأنه يُعبد من دون الله، وعَجِبَ الوليد ومَن حضره من حجته وخصومته: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [الزخرف: 57-61] (1)

فهنا النبي -صلى الله عليه وسلم- بلغ قريشا عن ربه أنهم وأصنامهم التي يعبدونها من دون الله وقود جهنم وحطبها، فأراد ابن الزبعرى أن يحاجج النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما قال بادعائه أن قولك هذا يلزم منه دخول الملائكة والمسيح والعزير النار، وتعجب الوليد بن المغيرة من حجته وكيف أنهم لم ينتبهوا إليها، ورأوا أنه قد رد بحجة قوية على النبي صلى الله عليه وسلم.

بماذا رد عليه النبي صلى الله عليه وسلم؟

- 1- أن دخول من عبد من دون الله النار مشروط بكونه أحب ذلك.
- 2- أنزل الله تعالى بعدها قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء: 101-102]، وفيها اثبات السلامة لمن سبق لهم من الله السعادة وأنهم عن النار مبعدون، فكل من عبد من دون الله وهو لله عبد طائع ولعبادة من يعبد كاره (2)
- 3- أن لفظة "ما" يقصد بها أصنامهم وهي تكون لغير العاقل أما العاقل فنستخدم له لفظة "من" فالآية لبيان ضلال أهل مكة وأن أصنامهم

(1) السيرة النبوية لابن هشام (2/8) بتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط شركة الطباعة الفنية المتحدة. وذكر القصة بنحوها الشيخ مقبل الوداعي في الصحيح المسند من أسباب النزول ص (150) ط مكتبة صنعاء الأثرية الطبعة الثانية 1425هـ، 2004م

(2) ينظر تفسير ابن جرير الطبري (18/538)

جمادات غير عاقلة وأنها سيلقى بها غدا في النار فلا تملك أن تدفع العذاب عن نفسها فضلا أن تدافع عنكم أو ترد عنكم العذاب. (1)

المسألة الثانية: عسى أن يكون نزعه عرق:

وهذه مجادلة دارت بين النبي -صلى الله عليه وسلم- ورجل من أصحابه انتظر قدوم ولده بفارغ الصبر، فلما رزق به إذا بالطفل أسود البشرة، ودخل الشك إلى قلب الرجل كيف جاء الطفل بهذا اللون وهو لا يشبهه ولا يشبه أمه؟

لكن ردة فعل الرجل كانت عاقلة ولم يفعل شيئا فيه رعونة، وذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستفتيه، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق المؤيد بالوحي يستطيع أن يؤكد له أنه ولده، لكن النبي صلى الله عليه وسلم حاوره بما يجعله على يقين أن هذا ولده، والقصة رواها أبو هريرة- رضي الله عنه- قال: (جاء رجل من بني فزارة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن امرأتي ولدت غلاما أسود، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هل لك من إبل؟ قال: نعم. قال: فما ألوانها؟ قال: حمر. قال: هل فيها من أورك؟ قال: إن فيها لورقا. قال: فأنى أتاها ذلك؟ قال: عسى أن يكون نزعه عرق. قال: وهذا عسى أن يكون نزعه عرق) (2)

فالنبي صلى الله عليه وسلم أدرك ما يعرض به الرجل على الفور، فأراد أن يطمئنه أن هذا الاختلاف في لون بشرة الطفل جائز عقلاً، وذكر له حجة واضحة مما يناسب فهم الرجل وبيئته، فقال له: (هل لك من إبل؟)، قال: نعم، قال: (ما ألوانها؟)، قال: حمر، فسأله إن كان فيها ما يخالف لونها وما سبب ذلك؟ فقال: أراه عرق نزعه، قال: (فلعل ابنك هذا نزعه عرق).

فكانت هذه الحجة من رسول الله صلى الله عليه وسلم سببا لإثلاج صدر الرجل، وهدأت من نار الشك عنده، فطمأنه أن اختلاف لون البشرة قد يرجع

(1) ينظر تفسير ابن كثير (5/381) وقد ذكر ابن كثير -رحمه الله- أن عبد الله بن الزبير أسلم وصار من الشعراء المشهورين.

(2) رواه البخاري في صحيحة كتاب الطلاق باب: إذا عرض بنفي الولد، حديث رقم (4999) ورواه مسلم في صحيحة واللفظ له، كتاب اللعان برقم (1500)

لأسباب وراثية؛ فقد يكون أحد أجداد ابنك من قبل أبيه أو أمه كانوا سود البشرة فنزعه عرق، فاقتنع الأعرابي.

وهنا تبرز عدة نقاط في مجادلة النبي صلى الله عليه وسلم للأعرابي:

1- حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الأمور؛ فالسائل أعرابي من البادية، والمسألة متعلقة بالعرض والشرف فلم يكن من الحكمة الاكتفاء بالجواب المباشر بأنه ابنه ويتركه مع هواجسه دون أن يتيقن بذلك.

2- مراعاة النبي صلى الله عليه وسلم لاختلاف العقليات؛ فاختر مثلاً من بيئة السائل.

3- لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم الخبر مباشرة وإنما أنطق الأعرابي بالإجابة من خلال أسئلته له، ومن خلال إجاباته قاد الأعرابي نفسه بنفسه إلى النتيجة.

المبحث الثالث/ أسلوب الحوار

لو تصفحنا كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لرأينا اهتماماً كبيراً بالحوار مع المخالفين مع المشركين ومع المنافقين ومع أهل الكتاب.

والحوار العقلي الهادئ نتائجه دائماً تعود بالخير على الطرفين، وفيه إظهار للحق وبيان حجته، وإقامة البرهان على بطلان الباطل ودحض شبهاته. وقد تعددت أسباب الحوار في الكتاب والسنة فمنها ما فيه الدعوة للإسلام، ومنها ما يكون لإقامة الحجة على المخالفين، ومنها ما يكون لرد الشبهات، وسوف يستعرض الباحث أمثلة على ذلك من الكتاب والسنة من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين.

المطلب الثاني: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب.

المطلب الثالث: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أعرابي من نجد.

المطلب الأول: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين:

كثرت حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين خاصة في القرآن المكي، وكانت تدور حول الشبهات التي يرددونها لتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم ومحاولة صد الناس عنه، من ذلك طلبهم لبعض الأمور من النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر الله تعالى ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٣﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩٤﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٥﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٦﴾﴾ [الإسراء: 90-93]، فهذا حوار يبين ما كان عليه القوم من العنت والمكابرة فقد طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم عدة أمور هي:

- 1- لن نصدق ما جئتنا به إلا أن تخرج لنا من أرض مكة ينبوعا، أي عين دائمة الماء بلا انقطاع.
- 2- أو تكون لك حديقة فيها النخيل والأعناب؛ تجرى الأنهار في وسطها بكثرة علامة على خصوبتها وكثرة خيراتها.
- 3- أو تسقط علينا السماء وفقا لما توعدتنا به، من أن ينزل علينا عذابا متقطعا من السماء.
- 4- أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ عِيَانًا نَرَاهُمْ.
- 5- - أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ ذَهَبٍ.
- 5- أَوْ تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ، وَلَنْ نَصْدُقَ بِصُعُودِكَ إِلَيْهَا مَعَ مَشَاهِدَتِنَا لِذَلِكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا مِنْهَا كِتَابًا نَقْرُوهُ وَفِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّكَ رَسُولٌ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ.

بماذا رد على طلباتهم؟

لا شك أن تحقيق ما طلبوا سهل يسير على الله تعالى، لو شاء لفعله ولأجابهم إلى جميع ما سألوا وطلبوا، ولكن علم الله أنهم لا يهتدون، فأمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يرد عليهم على سبيل التعجب من سوء تفكيرهم

قائلا لهم: سبحان الله هل أنا بشر كسائر البشر، ورسول كسائر الرسل، وليس من شأن من كان كذلك أن يأتي بتلك المطالب المتعنتة التي طلبتموها، وإنما من شأنه أن يبلغ ما أمره الله بتبليغه. (1)

المطلب الثاني: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب:

كثرت حوارات النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى خاصة في القرآن المدني، وكانت تدور حول تفنيد الشبهات التي كانت تحول بينهم وبين الإيمان بالله ورسوله، أو الصد عن سبيله، ومنها ما جاء في سورة آل عمران مع أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [آل عمران: 64-71]

ونلاحظ في هذا الحوار النقاط التالية:

1- يلاحظ في الحوار مناداتهم أربع مرات (يا أهل الكتاب) للتنبيه، ولفت النظر لما سيقال، وفيه زيادة في توبيخهم ولإنكار ما هم عليه، والتعجيب من شأنهم، فقد أوتوا الكتاب ولم يعملوا بما فيه.

(1) انظر تفسير ابن كثير (5/117 وما بعدها)

2- دعوتهم إلى الإنصاف وقول مالا تختلف عليه العقول السليمة، لأنها كلمة عادلة مستقيمة ليس فيها ميل عن الحق.

3- البدء بالأهم فالمهم، فبدأ بالدعوة التي جاء بها الأنبياء جميعا وهي توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، وعدم الشرك به، وترك عبادة المخلوقين، فكلهم لله عبيد، إنما اصطفاهم الله للتبليغ عنه، لا لمشاركته في الألوهية والربوبية .

4- الوضوح والمفاصلة معهم؛ فلا مجاملة لهم على حساب الحق، ولكن نعلمكم أن الحوار سيتوقف بعد إقامة الحجة عليكم وتوليكم عن اتباع الحق، لكن اشهدوا على إسلامنا، لنألا يظهرنا إعراض المسلمين عن الاسترسال في حاجتهم في صورة العجز والتسليم بأحقية ما عليه أهل الكتاب.

4- إقامة الحجة التاريخية عليهم؛ فقد زعم كل فريق منهم أنهم على دين إبراهيم توصلا إلى أن الذي خالف دينهم لا يكون على دين إبراهيم كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم، فإن التوراة والإنجيل ما نزلا إلا من بعده بأزمان طويلة، فكيف يكون يهوديا يدين بالتوراة، أو كيف يكون نصرانيا يدين بالإنجيل؟ فهذه الحجة في شأن إبراهيم ظاهرة البطلان واضحة الفساد.

5- وقوله: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) توبيخ لهم على عدم فهم هذا الأمر البديهي وهو أن المتقدم على الشيء لا يمكن أن يكون تابعا للشيء المتأخر عنه. فالاستفهام لتوبيخهم وتجهيلهم في دعواهم أن إبراهيم- عليه السلام- كان يهوديا أو نصرانيا.

6- بيان أنهم مخالفون لمقتضيات العقول السليمة، فإنهم يجادلون في أمر ليس لهم به علم أصلا، وهو المجادلة في دين إبراهيم وشريعته؟ لأنه من البديهي أن إبراهيم ما كان يهوديا ولا نصرانيا إذ وجوده سابق على وجودهما بأزمان طويلة.

7- تعرية انتسابهم إلى الخليل إبراهيم بالحجة القاطعة بالتأكيد على أن إبراهيم - عليه السلام- براء من كل دين يخالف دين الإسلام فلم يكن يهودياً ولا نصرانياً، وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

9- التأكيد على أن أقرب الناس من إبراهيم الذين أجابوا دعوته في حياته واتبعوا دينه وشريعته بعد مماته، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم وَالَّذِينَ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاتَّبَعُوهُ.

وفي هذا تنويه بشأن الأمة الإسلامية، وتقرير بأن أتباع محمد صلى الله عليه وسلم أحق بالانتساب إلى إبراهيم من أهل الكتاب لأن المؤمنين طلبوا الحق

وآمنوا به، أما أهل الكتاب فقد باعوا دينهم بدنياهم، وتركوا الحق جريا وراء شهواتهم.

- 10- يختم الحوار بالتوبيخ لهم: لماذا تكفرون بآيات الله- تعالى- التي يتلوها عليكم نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-، وأنتم تعلمون صدقها وصحتها، وفي هذا النداء إشارة إلى أن ما أعطوه من علم كان يقتضي منهم أن يسارعوا إلى الإيمان لا أن يكفروا بآيات الله الدالة على صدق نبيه صلى الله عليه وسلم والتي تتناول القرآن الكريم، والحجج والمعجزات التي جاءهم بها صلى الله عليه وسلم.
- 11- تم وجه إليهم- سبحانه- نداء رابعا: يا أهل الكتب لماذا تخطون الحق الواضح بالباطل الذي تخترعونه من عند أنفسكم إرضاء لأهوائكم؟ ولماذا تكتُمون الحق الذي تعرفونه كما تعرفون أبناءكم، والسؤال هنا كسابقه للتوبيخ والتفريع. (1)

المطلب الثالث: حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أعرابي من نجد:

كان الأعراب سكان البادية يأتون النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم شيء من الغلظة وحدة الطبع مثل مناداة النبي صلى الله عليه وسلم باسمه أو رفع الصوت والمبالغة في ذلك، وكان النبي صلى الله عليه وسلم رحيفا بهم حليفا عليهم وله مواقف عدة معهم ودارت حوارات يتعلم منها الدعاة إلى الله كيفية التعامل مع مثل هذه النوعية من الناس:

عن طلحة بن عبيد الله قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد، ثائر الرأس، يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خمس صلوات في اليوم والليلة)

فقال: هل علي غيرها؟ قال: (لا إلا أن تطوع).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وصيام رمضان). قال هل علي غيره؟ قال: (لا إلا أن تطوع).

قال: وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة، قال: هل علي غيرها؟ قال: (لا إلا أن تطوع).

(1) ينظر تفسير الكشاف للزمخشري (1/370 وما بعدها)، وتفسير ابن كثير (2/55 وما بعدها)، وتفسير الظلال لسيد قطب (1/406 وما بعدها)، والتفسير الوسيط لطنطاوي (2/133 وما بعدها)

قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفلح إن صدق) (1)

وعن أنس بن مالك قال: (بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد، دخل رجل على جمل، فأناخه في المسجد، ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي صلى الله عليه وسلم متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ).

فقال له الرجل: ابن عبد المطلب؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (قد أجبتك).

فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك. فقال: (سل عما بدا لك).

فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، الله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: (اللهم نعم).

قال: أنشدك بالله، الله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم واللييلة؟ قال: (اللهم نعم).

قال أنشدك بالله، الله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: (اللهم نعم).

قال: أنشدك بالله، الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فنقسمها على فقرائنا؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم نعم).

فقال الرجل: أمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة، أخو بني سعد بن بكر (2)

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب الزكاة من الإسلام حديث رقم (46)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب: ما جاء في العلم. وقوله تعالى: (وقل رب زدني

علما) حديث رقم (63)

ونلاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم في تعامله مع أهل البادية تحمل جفوتهم، وحدة طباعهم، باللين والرفق وسلوك الحكمة في الرد عليهم، أيضا نلاحظ في رده على أسئلتهم البيان والوضوح والاختصار.

المبحث الرابع/ أسلوب ضرب الأمثال

المطلب الأول: تعريف "ضرب الأمثال" لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: مثل مضاعفة ثواب الصدقة.

المطلب الثالث: مثل المؤمن ومثل الكافر.

المطلب الرابع: مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَأَقِ فِيهَا.

المطلب الخامس: مثل المؤمن والمنافق مع القرآن.

المطلب الأول: تعريف "ضرب الأمثال" لغة واصطلاحا:

الأمثال لغة: جمع مثل: يقال: هذا مثله ومثله كما يقال شبهه وشبهه بمعنى؛ والمثل: الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله. (1)

واصطلاحا: هو "عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة؛ ليبين أحدهما الآخر ويصوره" (2)

وقد ضرب الله تعالى لنا الأمثال في القرآن الكريم، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فالأمثال وسيلة سهلة وسريعة في الإقناع، وإزالة الغموض وتقريب المفاهيم، بشدذ ذهن المخاطب واستثارة همته للبحث والتفكير للاقتناع بأمر من الأمور أو لإزالة شبهة من الشبهات.

(1) ينظر لسان العرب (6/4132)

(2) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني (759)

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾
 [العنكبوت: 43] وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا
 مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21]

المطلب الثاني: مثل مضاعفة ثواب الصدقة:

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْت سَبْعَ
 سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261] ،
 هذا مثال ضربه الله تبارك وتعالى لعباده لبيان مضاعفة أجر الصدقة لمن
 أنفق من ماله في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن هذه الحسنة تتضاعف بعشر
 أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وشبه ذلك بصورة حسية يعرفها المخاطبون وهي
 حبة القمح تزرع فينبت الله بها سبعة سنابل في كل سنبله مئة حبة.

يقول ابن القيم- رحمه الله- (1): (وهذه الآية كأنها كالتفسير والبيان لمقدار
 الأضعاف التي يضاعفها للمقرض، ومثل سبحانه بهذا المثل إحضارا لصورة
 التضعيف في الأذهان بهذه الحبة التي غيبت في الأرض فأنبئت سبع سنابل في
 كل سنبله مائة حبة حتى كأن القلب ينظر إلى هذا التضعيف ببصيرته؛ كما تنظر
 العين إلى هذه السنابل التي من الحبة الواحدة فينضاف الشاهد العياني إلى
 الشاهد الإيماني القرآني فيقوى إيمان المنفق وتسخو نفسه بالإنفاق، وتأمل كيف
 جمع السنبله في هذه الآية على سنابل وهي من جموع الكثرة إذ المقام مقام تكثير
 وتضعيف وجمعها على سنبلات في قوله تعالى: (وسبع سنبلات خضر وأخر
 يابسات) فجاء بها على جمع القلة لأن السبعة قليلة ولا مقتضى للتكثير.

(1) الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله- (751 - 691) هـ هو الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب
 بن سعد بن حريز الزرعي، شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية، ولد سنة 691هـ، وتفقه في
 المذهب الحنبلي، ولازم شيخه ابن تيمية وأخذ عنه، وتقنن في علوم الإسلام، وتوفي سنة
 751هـ. ينظر في ترجمته: ذيل طبقات الحنابلة للحافظ لابن رجب، (2/447) وصححه: محمد
 حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية - القاهرة 1732 هـ - 1952 م

وقوله تعالى: (والله يضاعف لمن يشاء) قيل المعنى والله يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق، بل يختص برحمته من يشاء، وذلك لتفاوت أحوال الإنفاق في نفسه ولصفات المنفق وأحواله في شدة الحاجة وعظيم النفع وحسن الموقع، وقيل والله يضاعف لمن يشاء فوق ذلك فلا يقتصر به على السبعمائة، بل يجاوز في المضاعفة هذا المقدار إلى أضعاف كثيرة.

واختلف في تفسير الآية فقول مثل نفقة الذين ينفقون في سبيل الله كمثل حبة وقيل مثل الذين ينفقون في سبيل الله كمثل باذر حبة ليطابق الممثل للممثل به فهنا أربعة أمور منفق ونفقة وبذر وبذر فذكر سبحانه من كل شق أهم قسميه فذكر من شق الممثل المنفق إذ المقصود ذكر حاله وشأنه وسكت عن ذكر النفقة لدلالة اللفظ عليها وذكر من شق الممثل به البذر إذ هو المحل الذي حصلت فيه المضاعفة وترك ذكر البادر لأن القرض لا يتعلق بذكره؛ فتأمل هذه البلاغة والفصاحة والإيجاز المتضمن لغاية البيان، وهذا كثير في أمثال القرآن بل عامتها ترد على هذا النمط ثم ختم الآية باسمين من أسمائه الحسنی مطابقين لسياقها وهما الواسع والعليم فلا يستبعد العبد هذه المضاعفة ولا يضيق عنها عطاؤه؛ فإن المضاعف واسع العطاء واسع الغنى واسع الفضل.

ومع ذلك فلا يظن أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق فإنه عليم بمن تصلح له هذه المضاعفة وهو أهل لها ومن لا يستحقها، ولا هو أهل لها فإن كرمه وفضله تعالى لا يناقض حكمته بل يضع فضله مواضعه لسعته ورحمته ويمنعه من ليس من أهله بحكمته وعلمه. اهـ." (1)

المطلب الثالث: مثل المؤمن ومثل الكافر:

ضرب الله مثلا وهو: أن الأرض الطيبة التربة يخرج نباتها حسنا غزير النفع بمشيئة الله وتيسيره، والذي خبث من الأرض كالسبخة منها لا يخرج نباته

(1) طريق الهجرتين وباب السعادتین، لابن قيم الجوزية (2/792) حققه: محمد أجمل الإصلاحي وآخرون، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) الطبعة: الرابعة، 1440 هـ - 2019 م (الأولى لدار ابن حزم)

إلا قليلا عديم الفائدة، قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: 58]
وفي تفسير هذه الآية قولان:

(القول الأول: وهو المشهور أن هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر بالأرض الخيرة والأرض السبخة، وشبه نزول القرآن بنزول المطر، فشبه المؤمن بالأرض الخيرة التي نزل عليها المطر فيحصل فيها أنواع الأزهار والثمار، وأما الأرض السبخة فهي وإن نزل المطر عليها لم يحصل فيها من النبات إلا النزر القليل، فكذلك الروح الطاهرة النقية عن شوائب الجهل والأخلاق الذميمة إذا اتصل به نور القرآن ظهرت فيه أنواع من الطاعات والمعارف والأخلاق الحميدة، والروح الخبيثة الكدرة وإن اتصل به نور القرآن لم يظهر فيه من المعارف والأخلاق الحميدة إلا القليل.

والقول الثاني: أنه ليس المراد من الآية تمثيل المؤمن والكافر، وإنما المراد أن الأرض السبخة يقل نفعها وثمرتها، ومع ذلك فإن صاحبها لا يهمل أمرها بل يتعب نفسه في إصلاحها طمعا منه في تحصيل ما يليق بها من المنفعة، فمن طلب هذا النفع اليسير بالمشقة العظيمة، فلأن يطلب النفع العظيم الموعود به في الدار الآخرة بالمشقة التي لا بد من تحملها في أداء الطاعات، كان ذلك أولى. (1)

المطلب الرابع: مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا، ولم نؤذ من

(1) تفسير الرازي مفاتيح الغيب (14/291)

فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) (1)

هذا الحديث يضرب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم مثالا لشيء معقول بشيء محسوس فهو مثل للقائم على حدود الله والواقع فيها بأمر محسوس، فشبّه الناس بركاب سفينة واحدة، اقتنعوا على ركوب سفينة فبعضهم كان نصيبه في أسفلها وبعضهم في أعلاها، فإذا قام الفريق الذي بأسفلها بخرقها لمواجهتهم مشكلة في شرب الماء وجلبه فأرادوا بهذا الخرق الشرب مباشرة من الماء دون الحاجة إلى الصعود إلى الأعلى؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم يوضح أنهم لن يغرقوا وحدهم، بل سيكون فعلهم الأحمق سببا لغرق الجميع.

فإن تركهم الفريق الذي يسكن في الأعلى غرق الجميع، ودخل عليهم الماء، وإن أخذوا على أيديهم ومنعوهم نجوا جميعاً.

فهذا حال جماعة من الناس بالمجتمع، حال من يظهر معصيته، ويجهر بها ويصر عليها فماذا يفعل الناس معه؟ إذا أخذ العقلاء والحكماء على أيديهم فمنعوهم من تلك المفسدة نجوا جميعا، وإن تركوهم بدون نهى أو منع من المنكرات تنزل بهم جميعا عقوبة عامة، كما قال الله -تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 25]

فتضمن الحديث ما يلي:

- تشبيه أحكام الإسلام بالسفينة في عرض البحر تنقل ركبها من فتن الدنيا إلى السعادة والأمان والنجاة في الدنيا والآخرة بشرط أن يحافظوا عليها.
- تمثيل الناس بركاب السفينة الذين يجب عليهم الحرص على سلامتها؛ لارتباط حياتهم بسلامتها من الخرق والعيب فيها.
- أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه سلامة الجميع، وأن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه هلاك الجميع.

(1) صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، حديث رقم:

المطلب الخامس: مثل المؤمن والمنافق مع القرآن:

جاء الأمر للمؤمنين في القرآن والسنة كثيراً بتلاوة القرآن وترديد آياته، والهدف من ذلك الوصول إلى فهمه وتدبر آياته والعمل بما فيها، حتى نكون من المهتدين إلى طريق الحق، وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن والمنافق مع القرآن بصورة محسوسة؛ ليكون ذلك أوقع في نفوس السامعين، وأوضح في المعنى.

والحديث عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر. ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر.)⁽¹⁾

فهنا ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل لأمر معقول وهو قراءة القرآن بأمر حسي يعرفه المخاطب.

وقد شرح العلامة بدر الدين العيني⁽²⁾ هذا المثل النبوي فقال: (وهذا معنى معقول صرف لا يبرزه عن مكنونة إلا تصويره بالمحسوس المشاهد، ثم إن كلام الله المجيد له تأثير في باطن العبد وظاهره.

وإن العباد متفاوتون في ذلك، فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير وهو المؤمن القارئ، ومنهم من لا نصيب له البتة وهو المنافق الحقيقي، ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه وهو المرئي أو بالعكس، وهو المؤمن الذي لم يقرأه، وإبراز هذه المعاني وتصويرها في المحسوسات ما هو مذكور في الحديث ولم يجد ما يوافقها ويلائمها أقرب ولا أحسن ولا أجمع من ذلك لأن المشبهات والمشبه بها واردة على التقسيم الحاضر، لأن الناس إما مؤمن أو غير

(1) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام، حديث رقم: (4732)

(2) العلامة بدر الدين العيني (762 - 855 هـ = 1361 - 1451 م) هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي: مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين، أصله من حلب ومولده في عينتاب (وإليها نسبته) أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس، وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية. انظر ترجمته في الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي (10/131) والأعلام للزركلي (7/163)

مؤمن والثاني إما منافق صرف أو ملحق به، والأول إما مواظب عليها، فعلى هذا قس الأثمار المشبه بها، ووجه التشبيه في المذكورات مركب منتزع من أمرين محسوسين: طعم وريح.

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل بما تنبته الأرض ويخرجه الشجر للمشابهة التي بينها وبين الأعمال فإنها من ثمرات النفوس، فخص ما يخرجه الشجر من الأترجة والتمر بالمؤمن، وبما تنبته الأرض من الحنظلة والريحانة بالمنافق تنبيها على علو شأن المؤمن وارتفاع علمه ودوام ذلك، وتوقيفا على ضعة شأن المنافق وإحباط عمله وقلة جدواه. (1)

إذن في هذا الحديث الرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ضرب المثل لحال المؤمن والمنافق مع القرآن بأربعة أنواع وهي:

الأول: المسلم الذي يداوم على قراءة القرآن، شبهه بفاكهة الأترجة وهي فاكهة لها طعم طيب وملمس ناعم ورائحة جميلة، وكذلك حال المؤمن الذي يقرأ القرآن، ويفهم آياته ويعمل بها، فهو ذو خلق حسن وطيب في داخله وخارجه.

الثاني: المؤمن الذي لا يقرأ القرآن، شبهه بالتمر، فالتمر ثمر طيب الطعم، لكن ليس له رائحة.

الثالث: الفاجر العاصي الذي يقرأ القرآن الكريم، شبهه بالريحان، وهو نبات ذو رائحة جميلة، لكن طعمها مر غير طيب.

الرابع: الفاجر الذي لا يقرأ القرآن ومستمر في عصيانه، بالحنظلة، وهي نوع من النباتات، ليس لها رائحة طيبة، وطعمها مر، غير مرغوب فيها.

(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعلامة بدر الدين العيني (20/38) عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي وصورتها دور أخرى: مثل (دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر) - بيروت

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة

خاتم الأنبياء والمرسلين محمد -صلى الله
عليه وسلم-

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول/ لفت الحس إلى النظر والتأمل.

المبحث الثاني/ المعجزات الحسية.

المبحث الثالث/ القدوة العملية.

المبحث الرابع/ تغير المنكر باليد.

المبحث الخامس/ الاعتبار بالسابقين.

الفصل الثالث

المنهج الحسي في دعوة محمد - عليه السلام -

المنهج الحسي من المناهج المؤثرة دعويًا في دعوة الكثير من الناس لأنها تعتمد على الإدراك بالحواس، مما يسهل على الناس إدراكه بلا مشقة، ويصعب إنكاره أو تكذيبه، وقد استخدم النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا المنهج في الدعوة إلى الله في عدة صور يتناولها الباحث في خمسة مطالب على النحو التالي:

المبحث الأول/ لفت الحس إلى النظر والتأمل.

المبحث الثاني/ المعجزات الحسية.

المبحث الثالث/ القدوة العملية.

المبحث الرابع/ تغير المنكر باليد.

المبحث الخامس/ الاعتبار بالسابقين.

المبحث الأول/ لفت الحس إلى النظر والتأمل.

دعا القرآن الكريم الناس لإعمال حواسهم بالنظر والتأمل والاستدلال على عظمة الله ووحدانيته في آيات كثيرة من القرآن منها على سبيل المثال، قوله تعالى:

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: 60-64]

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۖ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِهَيْجٍ ۗ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۘ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۙ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۙ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْمًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۝﴾ [ق: 6-11]

يقول ابن القيم- رحمه الله- : (والنظر في هذه الآيات وأمثالها نوعان:

نظر إليها بالبصر الظاهر فيرى مثلا زرقة السماء ونجومها وعلوها وسعتها وهذا نظر يشارك الانسان فيه غيره من الحيوانات وليس هو المقصود بالأمر.

الثاني: أن يتجاوز هذا إلى النظر بالبصيرة الباطنة فتفتح له أبواب السماء فيجول في أقطارها وملكوتهما وبين ملائكتها ثم يفتح له باب بعد باب حتى ينتهي به سير القلب إلى عرش الرحمن فينظر سعته وعظمته وجلاله ومجده ورفعته ويرى السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة إليه كحلقة ملقاة بأرض فلاة ويرى الملائكة حافين من حوله لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتقديس والتكبير والأمر ينزل من فوقه بتدبير الممالك والجنود التي لا يعلمها إلا ربها ومليكتها فينزل الأمر بإحياء قوم وإماتة آخرين وإعزاز قوم وإذلال آخرين وإسعاد قوم وشقاوة آخرين وإنشاء ملك وسلب ملك وتحويل نعمة من محل إلى محل وقضاء الحاجات على اختلافها وتباينها وكثرتها من جبر كسر وإغناء فقير وشفاء مريض وتفريج كرب ومغفرة ذنب وكشف ضر ونصر مظلوم وهداية حيران وتعليم جاهل ورد آبق وأمان خائف وإجارة مستجير ومدد لضعيف وإغاثة الملهوف وإعانة لعاجز وانتقام من ظالم وكف العدوان.

فهي مراسيم دائرة بين العدل والفضل والحكمة والرحمة تنفذ في أقطار العوالم لا يشغله سمع شيء منها عن سمع غيره ولا تغلظه كثرة المسائل والحوادث على اختلافها وتباينها واتحاد وقتها ولا يتبرم بالحاح الملحنيين ولا تنقص ذرة من خزائنه لا إله إلا هو العزيز الحكيم فحينئذ يقوم القلب بين يدي

الرحمن مطرقاً لهيبته خاشعاً لعظمته عان لعزته فيسجد بين يدي الملك الحق المبين سجدة لا يرفع رأسه منها الى يوم المزيد (1)

وعبادة التفكير بالنظر في جمال الكون وعظمة المخلوقات عبادة من أجل العبادات التي تغيب عن الناس، ومهمة الدعوة إلى الله هي أن يلفتوا الأنظار وينبهوا الناس على هذه الآيات العظيمة لأن فيها ثمرات إيمانية عدة منها:

1- الاستدلال على عظمة الله بعظيم خلقه وطلاقة قدرته وإتقان صنعته، فلا خلل ولا نقص كما قال سبحانه: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ حَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 88]

2- الاستدلال على وحدانيته جل وعلا وبطلان كل معبود سواه جل وعلا قال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان: 11]

3- إدراك العبد لمدى ضعفه وقدره الله عليه، وأن الله الذي هيا له هذا الكون إنما هياه لعبادته وحده لا شريك له، فلم يخلق الله هذا الكون الفسيح عبثاً ولا لعباً قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأنبياء: 16-17]

4- التفكير يزيد الإيمان في القلوب مما يجعل في القلب خشية لله بتقواه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: 6]

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن قيم الجوزية (1/201)، ط دار الكتب العلمية - بيروت

المبحث الثاني/ المعجزات الحسية

أيد الله أنبياءه ورسله بالمعجزات الحسية التي يعجز البشر عن الإتيان بمثلها والتي تكون سببا في إقامة الحجة على من حضرها وعابنها من الكفار وزيادة في إيمان المؤمنين بالله - عز وجل -

ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرة صنفت فيها مؤلفات عديدة، وسيتعرض الباحث لذكر أشهر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، في أربعة مطالب:

المطلب الأول: المعجزة الخالدة: القرآن.

المطلب الثاني: معجزة الإسراء والمعراج.

المطلب الثالث: معجزة انشقاق القمر.

المطلب الرابع: معجزة تكثير الماء.

المطلب الأول: المعجزة الخالدة: القرآن:

عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)⁽¹⁾

يقول الإمام النووي في شرحه للحديث: (اختلف فيه على أقوال:

أحدها: أن كل نبي أعطي من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله من الأنبياء فأمن به البشر وأما معجزتي العظيمة الظاهرة فهي القرآن الذي لم يعط أحد مثله فلماذا قال أنا أكثرهم تابعا.

والثاني: معناه أن الذي أوتيته لا يتطرق إليه تخييل بسحر وشبهة بخلاف معجزة غيري فإنه قد يخيل الساحر بشيء مما يقارب صورتها كما خيلت السحرة في صورة عصا موسى صلى الله عليه وسلم والخيال قد يروج على

(1) الحديث سبق تخريجه ص (200)

بعض العوام والفرق بين المعجزة والسحر والتخييل يحتاج إلى فكر ونظر وقد يخطئ الناظر فيعتقدهما سواء.

والثالث: معناه أن معجزات الأنبياء انقضت بانقراض أعصارهم ولم يشاهدها إلا من حضرها بحضرتهم ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم القرآن المستمر إلى يوم القيامة مع خرق العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات وعجز الجن والإنس عن أن يأتوا بسورة من مثله مجتمعين أو متفرقين في جميع الأعصار مع اعتنائهم بمعارضته، فلم يقدرُوا وهم أفصح القرون مع غير ذلك من وجوه إعجازه المعروفة والله أعلم. (1)

ولو تأملنا الأنبياء السابقين لوجدنا أن لكل نبي معجزات، وله منهجٌ جاء به، الكتابُ المنزل عليه، والمعجزة غير المنهج، فنبي الله عيسى كان له معجزات وأنزل عليه الإنجيل، وجاء بشريعة التوراة ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ [آل عمران: 50]، ونبي الله موسى جاء بشريعة التوراة، وكان له معجزات اليد والعصا وانشقاق البحر وغير ذلك، لكن نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى المعجزات الحسية التي رآها الصحابة، جاء بمعجزة باقية خالدة هي معجزة القرآن.

يعني لو قلنا مثلاً لواحد من اتباع نبي الله موسى ما الدليل على نبوة موسى؟ سيقول حدثت له معجزات كذا وكذا وكذا.... نعم هذه معجزات حسية لمن رآها بعينه، لمن حضرها وشاهدها، لكن بالنسبة لنا هي خبر، طبعاً نحن كمسلمين نصدق بهذه المعجزات لأن الله أخبر بها، لكن نحن نتكلم عن شيء حسي ملموس باقٍ إلى يومنا هذا، ونفس الكلام يقال في معجزات نبي الله عيسى، إنها معجزات كانت لمن شاهدها، وحضرها.

لكننا نحن المسلمين حينما نتكلم عن معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها المعجزة الباقية الخالدة معجزة القرآن كتاب الله، الذي تكفل الله تعالى بحفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، فصانه الله تعالى من التبديل، والتغيير، والتحريف، فهو كما هو منذ أن نزل على النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، ولا يعرف في تاريخ البشرية كلها كتاباً أجمع على

(1) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي (2/188)

صحته مع طول تاريخه كالقرآن ولا يعرف كتاب اهتم به العالم أجمع بدايةً من طبعه إلى صيانتته إلى حفظه إلى رعاية علومه... لا يعرف كتاب كالقرآن الكريم، بل الأعبى أنه كلما امتد الزمان زادت وسائل الحفظ فبعد أن كان القرآن يكتب على الحجاره العريضة وعلى سعف النخيل وعلى الجلود صار يطبع على الأوراق ثم تطورت الأمور إلى ما نراه الآن من انتشار عجب للقرآن الكريم على كل الأجهزة الإلكترونية الحديثة والاسطوانات الموجودة الصوتية، والمطبوعات المختلفة، وصار القرآن يرتل بجميع رواياته التي لا يعرف الناس كثيراً منها، وصارت هناك مصاحف بهذه القراءات، فكلما امتد الزمان زادت وسائل الحفظ، لأن رسول الله هو خاتم النبيين لا نبي بعده، فأيده جل وعلا بهذه المعجزة الباقية، وكأنها خاتمة المعجزات التي يمتد أثرها في تاريخ البشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالقرآن كلام الله فهو صفة من صفات ذاته جل وعلا باق ببقاء الله سبحانه وتعالى. (1)

فالقرآن معجزة باقية؛ فهو بين أيدينا بنصه، وفيه ما فيه من الأمور التي لم يكن لأحد أن يعرفها لم يكن هناك جامعات علمية، ولا وسائل التعليم المتاحة والموجودة الآن، لكن القرآن رتل آياته منذ أربعة عشر قرناً من الزمان على لسان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من بعده كما هو، وألفت مؤلفات كثيرة عن الإعجاز البياني، والإعجاز البلاغي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز العلمي، والإعجاز التاريخي، حتى يتبين للجميع كيف أن هذا القرآن ليس صنيع بشر؛ وإنما هو كلام رب العالمين سبحانه وتعالى.

المطلب الثاني: معجزة الإسراء والمعراج:

وهذا الحدث من أكبر المعجزات التي أيد الله بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرٰى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِن مِّنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرٰى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهٰى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوٰى ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشٰى السِّدْرَةَ مَا يَغْشٰى ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغٰى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأٰى

(1) ينظر معجزة القرآن للشعراوي (1/26 وما بعدها) ط دار أخبار اليوم

مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾ [النجم: 13-18]، وقد وردت روايات كثيرة في الصحيحين وكتب السنن والمسائيد عن الإسراء والمعراج سيكتفي الباحث برواية الصحيحين:

عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب، ممتلئ حكمة وإيماناً، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا، قال جبريل لخازن السماء: افتح، قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: نعم، معي محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: أرسل إليه؟ قال: نعم. فلما فتح علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد، على يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال: مرحباً بالنبى الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسمة بنى، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، حتى عرج بي إلى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح، (فقال له خازنها مثل ما قال الأول، ففتح). قال أنس: فذكر: أنه وجد في السماوات آدم، وإدريس، وموسى، وعيسى، وإبراهيم، صلوات الله عليهم، ولم يثبت كيف منازلهم، غير أنه ذكر: أنه وجد آدم في السماء الدنيا، وإبراهيم في السماء السادسة، قال أنس: فلما مر جبريل بالنبى صلى الله عليه وسلم بإدريس، قال: مرحباً بالنبى الصالح والأخ الصالح. (فقلت: من هذا؟ قال: هذا إدريس، ثم مررت بموسى، فقال: مرحباً بالنبى الصالح والأخ الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا موسى، ثم مررت بعيسى، فقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا عيسى، ثم مررت بإبراهيم، فقال: مرحباً بالنبى الصالح والابن الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا إبراهيم صلى الله عليه وسلم.

قال ابن شهاب فأخبرني ابن حزم: أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري: كانا يقولان: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام). قال ابن حزم وأنس بن مالك: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ففرض الله على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك، حتى مررت على موسى، فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة، قال: فارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعني فوضع شطرها،

فرجعت إلى موسى، قلت: وضع شطرها، فقال: راجع ربك، فإن أمتك لا تطيق، فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه، فقال ارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته، فقال: هي خمس، وهي خمسون، لا يبديل القول لدي، فرجعت إلى موسى، فقال: راجع ربك، فقلت: استحيت من ربي، ثم انطلق بي، حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك⁽¹⁾

فجاء حادث الإسراء والمعراج ليرى رسول الله صلى الله عليه وسلم حفاوة الملائكة الأعلى بعد ما أصابه من أذى في رحلة الطائف، وفيها اثبات لقدرة الله عز وجل وصدق النبي صلى الله عليه وسلم، وفيها إبراز لمكانته بين الأنبياء.

المطلب الثالث: معجزة انشقاق القمر:

من المعجزات التي أيد الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم، معجزة انشقاق القمر إلى شقين، حتى رأى بعض الصحابة جبل حراء بينهما.

ووقعت هذه المعجزة عندما طلب كفار مكة من النبي صلى الله عليه وسلم آية تدل على صدق دعوته، وجاء ذكر هذه الحادثة في القرآن الكريم وأنها علامة من علامات اقتراب الساعة، قال تعالى: ﴿اقتربت الساعة وأنشق القمر^① وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: 1-2]

وفي الحديث عن أنس- رضي الله عنه-: (أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما)⁽²⁾

(1) أخرجه البخاري كتاب الصلاة، باب: كيف فرضت الصلوات في الإسراء، حديث رقم (342) وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم: (163)
(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب مناقب الصحابة، باب انشقاق القمر حديث رقم (3655)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين، فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا) (1)

فهذه آية حسية رآها أهل مكة، وأقام الله بها الحجة عليهم لكنها لم تغير من عنادهم وكبرهم، بل رددوا سخافاتهم المتكررة بأن هذا سحر مستمر.
المطلب الرابع: معجزة تكثير الماء:

الماء نعمة من نعم الله العظيمة التي تستمر بها الحياة كما قال تعالى:
﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30]، والله تعالى بقدرته ينزل المطر من السحاب ويفجر في الأرض عيوناً وينابيع فيغيث به البلاد والعباد، فما بالناس بقاء يفرحون من بين أصابعه الشريفة صلوات ربي وسلامه عليه فيسقي جيشاً من ألف وخمسمائة هم ودوابهم، يوم الحديبية، فكانت آية بينة على أنه رسول الله رآها الصحابة -رضوان الله عليهم؛ كما يحكي جابر - رضي الله عنه - قائلاً: (عطش الناس يوم الحديبية والنبى صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة- إناء من جلد-، فتوضأ، فجهش الناس نحوه، فقال: ما لكم؟ قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا، وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة) (2)

ومن ذلك ما حصل بالزوراء - وهو مكان قرب السوق في المدينة - مما نقله أنس -رضي الله عنه-، قال: (أتى النبي صلى الله عليه وسلم بإناءٍ وهو بالزوراء، فوضع يده في الإناء، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ القوم، قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة، أو زهاء ثلاثمائة) (3)

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب (وانشق القمر. وإن يروا آية يعرضوا) حديث رقم (3655)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام حديث رقم (3383)

(3) رواه البخاري في صحيحه كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام حديث رقم (3379)

فهذه آية حسية يراها الصحابة بأعينهم وقد نفذ الماء منهم؛ فيجري الله الماء بقدرته على يدي النبي صلى الله عليه وسلم، مما كان ولا شك له الأثر البالغ في زيادة إيمانهم، وقوة يقينهم في الله وأنه ناصر نبيه وعباده المؤمنين.

المبحث الثالث/ القدوة العملية

إن كثيرا من المناهج والنظريات والأفكار والمبادئ تبقى حبرا على ورق فلا تجد من يطبقها، ولا من يبعث فيها الروح، فإذا قام عليها من يطبقها فإنها تتحول من كلمات إلى واقع مرئي محسوس، وقد أنزل الله تعالى منهاج وهو القرآن وبعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومعلما، فكان خير مطبق لهذا المنهج، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ [الأحزاب: 21]

والأسوة: " بكسر الهمزة وضمها اسم لما يؤتسى به، أي: يقتدى به ويعمل مثل عمله." (1)

فكان صلى الله عليه وسلم خير مثال يحتذى لتطبيق منهج الله، ولذلك امتن الله سبحانه وتعالى على عباده بهذه النعمة العظيمة فقال: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 151]

فأرسل الله رسوله صلى الله عليه وسلم بشرا لنتحقق فيه القدوة، فيصلي النبي صلى الله عليه وسلم ويقول لأصحابه: (صلوا كما رأيتموني أصلي) (2) وكان يصلي الفرائض، ويتنفل بقيام الليل حتى تتورم قدماه، ولما يعاتب أو يراجع في ذلك يقول: (أفلا أكون عبدا شكورا) (3)

(1) تفسير التحرير والتنوير (21/302)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم حديث رقم (5662)

(3) رواه البخاري في صحيحه كتاب التهجد، باب: قيام النبي صلى الله عليه وسلم حتى ترم قدماه حديث رقم (1078)

وكذلك في مناسك الحج قال -صلى الله عليه وسلم- (لتأخذوا عني مناسككم فإنني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه) (1)

فكان صلى الله عليه وسلم قدوة مرئية محسوسة يراها الناس فلا تجد شيئاً في حياته صلى الله عليه وسلم، ولا قولاً قاله بعيداً عن هذا المنهج الرباني - القرآن-، فكان صلى الله عليه وسلم يري الناس كيف يصلون وكيف يحجون وكيف يتعبدون لله تعالى، فكان خير معلم وخير مطبق لمنهج الله - سبحانه وتعالى - وربى أصحابه على هذا المنهج حيناً بعد حين، وكان مع هذا كله يتحلى صلى الله عليه وسلم بالصبر وبالحلم والرفق والرحمة، فقد كان معلماً رحيماً صلى الله عليه وسلم.

المبحث الرابع/ تغيير المنكر باليد

من الوسائل الحسية تغيير المنكر باليد وإزالته على وجه يراه الناس جميعاً من ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم-: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) (2).

فالتغيير باليد هو أقوى درجات الإنكار، كما أخبر -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث، وقد غير النبي صلى الله عليه وسلم المنكر بيده عندما دخل مكة فاتحاً ودخل الكعبة فأزال الأصنام التي نصبت حولها، وطهرها من أدناس الشرك، وقد روى ذلك ابن مسعود -رضي الله عنه- فقال (دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: (جاء الحق وزهق الباطل). (جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد) (3)

(1) رواه مسلم كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً، وبيان قوله صلى الله عليه وسلم: لتأخذوا مناسككم حديث رقم (1297)

(2) رواه مسلم كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، حديث رقم (49)

(3) رواه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب: أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الرابية يوم الفتح حديث رقم (4036)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة، أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأزلام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (قاتلهم الله، لقد علموا: ما استقسما بها قط). ثم دخل البيت، فكبر في نواحي البيت، وخرج ولم يصل فيه) (1)

ومن الصور أيضا لتغيير المنكر باليد لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من أصحابه يلبس خاتما من ذهب فنزعه من يده وطرحه في الأرض والحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده! فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذ خاتمك انتفع به. قال: لا والله، لا آخذه أبدا وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم). (2)

المبحث الخامس/ الاعتبار بالسابقين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حث القرآن الكريم على الاعتبار بالأمم السابقة.

المطلب الثاني: حث النبي صلى الله عليه وسلم على الاعتبار بالأمم السابقة.

المطلب الأول: حث القرآن الكريم على الاعتبار بالأمم السابقة:

ذكر الله في قصص القرآن الكريم أحوال الأمم السابقة، وما أصابهم من عقوبات شديدة عندما كفروا بالله ورسوله، والغرض من ذكرها الاعتبار بحالهم لئلا يصيبنا ما أصابهم، (وإنما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم لتكون عبرة لنا، فنشبه حالنا بحالهم ونقيس أواخر الأمم بأوائلها، فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين. ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المتقدمين كما قال تعالى لما قص

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب: أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح حديث رقم (4037)

(2) رواه مسلم كتاب اللباس والزينة، باب في طرح خاتم الذهب، حديث رقم (2090)

قصة يوسف مفصلة وأجمل قصص الأنبياء، ثم قال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ
عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ [يوسف: 111]، أي هذه القصص
المذكورة في الكتاب ليست بمنزلة ما يفترى من القصص المكذوبة كنحو ما
يذكر في الحروب من السير المكذوبة. وقال تعالى لما ذكر قصة فرعون:
﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَخْرَةِ وَالْأُولَىٰ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات: 25-26]
، وقال في سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع أعدائه ببدر وغيرها: ﴿قَدْ
كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ
مِثْلِيهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾
[آل عمران: 13] ، وقال تعالى في محاصرته لبني النضير: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَّتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا
أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي
قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي
الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: 2]، فأمرنا أن نعتبر بأحوال المتقدمين علينا من هذه الأمة
وممن قبلها من الأمم(1)

وجاء التحذير واضحا بينا في مواضع عدة أن سنة الله -تبارك وتعالى-
في كل من كفر به وبرسله أن يهلكهم، فقال شعيب عليه السلام محذرا قومه أن
يصيبهم ما أصاب غيرهم من الأقوام السابقة من عقوبات، إذا استمروا في
تكذيبهم ﴿وَيَقَوْمٌ لَا يَجْرِمُكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ
هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: 89] ، وقال تبارك وتعالى بعد
ذكره لعقوبة قوم لوط ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَابًا مِّن سَجِيلٍ مِّنْ نُحُودٍ ﴿٨١﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٢﴾﴾

(1) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، (28/427)

[هود: 82-83]، والله عز وجل حليم لا يعجل، لأن العجول من يخشى فوات ما يطلب لكنه سبحانه يفعل ما يشاء بحكمته، ويحكم ما يريد بعزته، وهو -تبارك وتعالى- يحلم على عبده ويمهلهم، وهو سبحانه لا يظلم عباده مثقال ذرة؛ إنما يُصيبهم بذنوبهم بعد تحذيرهم وإنذارهم، وإقامة الحجة عليهم، فإذا أصروا على كبرهم وعنادهم أهلكهم الله، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر، قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا

بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَعْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 40]

المطلب الثاني: حث النبي صلى الله عليه وسلم على الاعتبار بالأمم السابقة:

وكان النبي صلى الله عليه وسلم في مناسبات عدة يذكر أصحابه من بعض الذنوب التي كانت سببا في إهلاك الأمم السابقة منها على سبيل المثال:

1- مروره بديار ثمود: لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بديار ثمود قال لأصحابه: (لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، لا يصيبكم ما أصابهم) (1)

2- التحذير من الركون إلى الدنيا:

فحذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الاغترار بالدنيا وزينتها والتنافس عليها فقال: (فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم) (2)

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب أبواب المساجد، باب: الصلاة في مواضع الخسف والعذاب حديث رقم (423) وأخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، رقم: (2980)

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب الخمس، باب: الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب حديث رقم (2988) وأخرجه مسلم في أوائل كتاب الزهد والرقائق، رقم: (2961)

3-التحذير من الشفاعة في الحدود:

عن عائشة رضي الله عنها: أن قریشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن يجترئ عليه إلا أسامة، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (أنتشفع في حد من حدود الله). ثم قام فخطب، قال: (يا أيها الناس، إنما ضل من كان قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وإيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) (1)

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب الحدود، باب: كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان حديث رقم (6406)

الخاتمة

أهم النتائج.

التوصيات.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلاة وسلاما على معلمنا وإمامنا
وقدوتنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد/

هنا يصل البحث إلى خاتمته والتي تشتمل على أهم النتائج التي توصلت
إليها ثم أتبعها بذكر أهم التوصيات.

أهم النتائج

أولا/ الحقائق العلمية السابقة:

1- القرآن الكريم معجزة رسول الله الخالدة، الذي لا تنقضي عجائبه ولا
يخلق على كثرة الرد، وكلما أطال المسلم التأمل والنظر في آياته استخرج
كنوزا، وخرج بفوائد عظيمة.

2- المقصد الرئيس لسورة هود وماورد فيها من قصص الأنبياء السابقين
وأحوالهم مع أقوامهم؛ هو تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم والدعاة
إلى الله من أمته من بعده في مواجهة الكذابين، وأن الله ناصر عباده
المؤمنين وأن الابتلاء لأصحاب الدعوات سنة جارية.

3- دعوة الناس إلى توحيد الله، وتنقية هذا الاعتقاد من كل شائبة شرك هي
دعوة الأنبياء جميعا من لدن آدم -عليه السلام- إلى خاتمهم محمد -صلى
الله عليه وسلم- وهذا يبين مكانة الدعوة إلى التوحيد في سلم الأولويات
الدعوية.

4- ينبغي على الداعي إلى الله أن يعلم أن دلالات نجاحه في الدعوة بإخلاصه
لله، وبذل أقصى ما يستطيع في نصح الناس وتعليمهم وإرشادهم، فالدعوة
إلى الله ليست بكثرة المستجيبين له، وأنه كلما زاد عدد المؤمنين دل على
نجاح الداعية، فهذا نوح - عليه السلام- بقي ألف سنة إلا خمسين عاما
وما آمن معه إلا قليل.

5- لقول الحق ضريبة يدفعها المصلحون في كل زمان ومكان، وقد تعرض
رسل الله وهم خيرة خلقه وأمناء وحيه، وحملة مشاعل الهداية إلى الناس؛

تعرضوا للسب والاستهزاء والتهكم والتضييق والتهديد بالنفى، ومنهم من قتل، ومنهم من سجن، وكل هذا لم يمنعهم أبدا من مواصلة الدعوة إلى الله.

6- الصراع بين الحق والباطل سنة كونية، والعاقبة للمتقين، والخسار واليوار على المجرمين.

ثانيا / أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الرسالة:

1- سورة هود من سور القرآن التي اشتملت على مناهج الدعوة إلى الله كالمنهج العاطفي والمنهج العقلي والمنهج الحسي؛ وهي مناهج ذات أثر بالغ في النفوس عند تطبيقها في الدعوة إلى الله.

2- المنهج العاطفي من المناهج المهمة في الدعوة إلى الله حيث ينطلق الداعية في دعوته للناس بإظهار العاطفة نحوهم وإظهار الاهتمام بهم، والخوف عليهم بإنذارهم من عذاب الله إن هم أصروا على معصيته، ويستعمل معهم أيضا أسلوب الترغيب والترهيب، والقصص العاطفية المؤثرة، وتذكيرهم بنعم الله عليهم وأن دوام النعم بدوام شكر الله عليها واستعمالها في مرضاته.

3- المنهج العقلي من المناهج الدعوية التي يستعملها الداعية لتحرير العقل من الجمود والتقليد الأعمى بالدعوة إلى النظر والتأمل والاستدلال، وذلك من خلال المجادلة بالتي هي أحسن والحوار الهادف، وسوق الأدلة القوية، والبراهين الناصعة لإثبات صحة ما يقول ويدعو إليه.

4- المنهج الحسي من المناهج الدعوية المؤثرة في المدعوين لاعتمادها على مخاطبة الحواس، بالدعوة إلى المشاهدة والنظر في الكون والاعتبار بمن سبقنا من الأمم، ومن خلال القدوة الصالحة في الداعية بأن يرى الناس في أخلاقه وسلوكه تطبيقا عمليا لما يدعوهم إليه.

5- على الدعاة إلى الله الاقتداء بالرسول -عليهم الصلاة والسلام-؛ واتباع منهجهم في الدعوة إلى الله، من أجل تحقيق الثمار المرجوة -بإذن الله-

6- على الداعي إلى الله أن يكون ربانيا، قوي الصلة بالله، فيركن دائما إلى ربه، ويستمد القوة والعون والمدد منه -تبارك وتعالى- في حركته

للدعوة ومواجهة أصناف الناس المختلفة، مع يقينه بنصر الله وتخلقه بحسن الخلق الذي يؤثر تأثيراً كبيراً في كسب قلوب الناس.

7- على الداعي إلى الله الاقتداء بنبي الله نوح؛ الذي دعا قومه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً، فيطرق كل الأبواب والمنابر للدعوة إلى الله، بهمة عالية، وحرص على تبليغ دعوة الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانياً: التوصيات

1- أوصي نفسي وطلبة العلم بتقوى الله ومراقبته في السر والعلن، وبالحرص على زكاة العلم بنشره، فإن العلم يزكو بالإنفاق.

2- على الدعوة إلى الله الاجتهاد في أخذ منهج الدعوة إلى الله من كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-، فهما النبعان الصافيان لهذه المهمة العظيمة، وسوف نجد فيهما غنية في معالجة ما يعترض طريق الدعوة إلى الله من عقبات وعوائق.

3- أوصي أن يولي الباحثون في علم الدعوة عنايتهم لدراسة المناهج الدعوية للأنبياء؛ فهذا ميدان خصب يحتاج لمزيد من العناية والدراسة.

4- على الدعوة إلى الله أن يمزجوا في دعوتهم بين الترغيب والترهيب، فلا يكتفي الداعية بالترغيب فقط فيقع الناس في التواكل، ولا بالترهيب فقط فيوقع الناس في اليأس والقنوط.

5- على الدعوة إلى الله أن يناقشوا الأفكار والمعتقدات الخاطئة وعدم السكوت عليها، بالحجة والأدلة وسوق البراهين الواضحة، مع سلوك طريقة القرآن بعدم تسمية من قال هذا القول من أهل الباطل، وإنما نجد السياق القرآني يبرز أهمية مناقشة الاعتقاد الباطل، أو الفكرة الخاطئة وإبطالها دون التوقف طويلاً عند قائلها واسمه ولونه وجنسه، حتى لا يؤدي ذلك إلى شخصنة الأمور، والانزلاق إلى هالوية الصراعات الشخصية.

6- تدريب الدعوة إلى الله على كيفية التعامل مع الوسائل الدعوية الحديثة، واستثمار الطفرة الإلكترونية عبر وسائل التواصل الاجتماعي، التي تتميز بقوة التأثير وسرعة الانتشار، وبلوغها أكبر عدد من الناس في زمن قياسي.

7- ضرورة إعداد نخبة من طلبة العلم النبهاء إعدادا جيدا، وتعليمهم اللغات الأجنبية لمخاطبة الشعوب بلسانها ولغتها للقيام بواجب الدعوة إلى الله كما ينبغي.

8- على الدعوة إلى الله مراعاة اختلاف عقليات الناس وأفهامهم، ومراعاة اختلاف الزمان والمكان، ومخاطبة كل نوع منهم بما يناسبه من الأساليب الدعوية.

9- معيار النجاح في الدعوة إلى الله بالبلاغ المبين، وأن يكتب الله للداعية قبولا في قلوب عباده، وليس معيار النجاح الشهرة وذيوع الصيت، فلا يكن هم الداعية إلى الله كثرة المتابعين له على وسائل التواصل أو أن يكون معيار النجاح كثرة المشاهدات لمقاطع الخطب والمحاضرات، فإن هذا التصور الفاسد يؤدي إلى فتور الداعية لقلة عدد متابعيه، أو قلة مرات مشاهدة خطبة ودروسه.

10- أوصي بعقد مؤتمرات علمية تجمع العلماء العاملين في مجال الدعوة للحديث عن مشكلات الدعوة، وسبل معالجتها، وكيفية مواجهة تيارات الإلحاد، والدعاوى الهدامة التي تدعو للانحلال الأخلاقي والتفسخ الاجتماعي، ووضع الخطط المستقبلية للعمل الدعوي.

وإِذَا خَتَمَ اللَّهُ عَلَى الْقَلْبِ الْفَسَادَ فَكُلُّ شَيْءٍ بَاطِلٌ
وإِذَا خَتَمَ اللَّهُ عَلَى الْقَلْبِ الْفَسَادَ فَكُلُّ شَيْءٍ بَاطِلٌ

وَأَزِيدُنِي بِهَا حَيَا وَمِيثًا، وَأَزِيدُنِي عَلَيْنَا جَمِيعًا شَرَفَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَنَشْرَ الْإِسْلَامِ،

وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرَى أَعْيُنَنَا بَعْزَ الْإِسْلَامِ وَعِزَّ الْمُوَحَّدِينَ، وَأَزِيدُنِي رَايَةَ الْقُرْآنِ عَلَى الْعَالَمِينَ،

اللهم آمين .

الفهارس

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المراجع.
- فهرس الموضوعات.

أولا / فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

م	الآية	رقمها	الصفحة
1	﴿وَيَقِرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	25	331
2	﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ﴾	47	261
3	﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾	49	259
4	﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا﴾	50	259
5	﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾	53	262
6	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ﴾	54	246
7	﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾	57	74،262،313
8	﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ﴾	60	263،284،313
9	﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾	61	267،74،285
10	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾	67	315
11	﴿قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾	68	315،116
12	﴿قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَاهَا﴾	69	315،116
13	﴿قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَةَ﴾	70	315،116
14	﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾	71	315،116
15	﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾	72	315،116
16	﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾	73	315،116
17	﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾	74	315
18	﴿فَلَا تَموتن إلا وأنتم مسلمون﴾	132	283

384	151	﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾	19
95	250	﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾	20
338	261	﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	21

سورة آل عمران

387	13	﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾	22
44	44	﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾	23
379	50	﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ﴾	24
349	59	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾	25
363	64	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾	26
363	65	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾	27
363	66	﴿هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ﴾	28
363	67	﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾	29
363	68	﴿إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾	30
363	69	﴿وَدَّتْ طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾	31
363	70	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾	32
363	71	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾	33
328،335	159	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾	34

سورة النساء

79	77	﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾	35
62	164	﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾	36

سورة المائدة

80	3	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ﴾	37
74،286	20	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا﴾	38
74،286	21	﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي﴾	39
74،286	22	﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾	40
74،286	23	﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾	41
74،286	24	﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا﴾	42
74،286	25	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾	43
74،286	26	﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾	44
333	72	﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ﴾	45

سورة الأنعام

182	9	﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾	46
-----	---	---	----

سورة الأعراف

370	58	﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾	47
94	59	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ﴾	48
107	60	﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ﴾	49
89،108	61	﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾	50
108	62	﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصَحُ لَكُمْ﴾	51

108،137،141،144،145	63	﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾	52
133،134،141،152	65	﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ﴾	53
109،112،143،152	66	﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾	54
144	67	﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾	55
144	68	﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ﴾	56
108،137،41،144،145	69	﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾	57
145 ، 136	70	﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ﴾	58
136،154،145	71	﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾	59
167،168،171،185	73	﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ﴾	60
158،171،186،190	74	﴿وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾	61
55،184،399	75	﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾	62
55،184	76	﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ﴾	63
61	78	﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾	64
56،61	79	﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ﴾	65
57،197،202	80	﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾	66
57،197	81	﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ﴾	67
60،196	85	﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ﴾	68
55،184،399	88	﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾	69
228	89	﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا﴾	70

61	91	﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾	71
56،61	93	﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ﴾	72
135	96	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا﴾	73
68،272،274،309	108	﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ﴾	74
69	127	﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَىٰ﴾	75
70،310	130	﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ﴾	76
310	131	﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾	77
311	132	﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾	78
70،133	133	﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ﴾	79
312	134	﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ﴾	80
312	135	﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ﴾	81
312	136	﴿فَانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليمِّ بأنهم﴾	82
71،283	138	﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا﴾	83
71،283،268	139	﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّوْنَ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ﴾	84
71،283،268	140	﴿قَالَ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾	85
71،283	141	﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾	86
72	142	﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾	87
72،305	143	﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾	88

72,305	144	﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾	89
72	145	﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً﴾	90
72	146	﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾	91
355	191	﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾	92
355	195	﴿أَلْهَمُ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ﴾	93

سورة الأنفال

371	25	﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ﴾	94
-----	----	--	----

سورة يونس

377	6	﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾	95
69,70	83	﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾	96
250	84	﴿يَقَوْمَ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ﴾	97
95	85	﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾	98
95	86	﴿وَنَجِّتَنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾	99
70	88	﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ﴾	100
70	89	﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾	101
71,259	92	﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ﴾	102
97	99	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾	103

سورة هود

134،153	3	﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾	104
86،94	25	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾	105
86،94،112	26	﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ﴾	106
50،114	27	﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	107
،50،105،113 143،152	28	﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ﴾	108
50،109،113	29	﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾	109
113،177،186	30	﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾	110
113،،114،109	31	﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾	111
51،91،110،114	32	﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا﴾	112
91،110،114	33	﴿قَالَ إِنَّمَا يَاْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾	113
91،110،114	34	﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ﴾	114
91،114	35	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ﴾	115
51،94،95	36	﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ﴾	116
109	37	﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾	117
91،109،115	38	﴿وَيَصْنَعِ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ﴾	118
91،109،115	39	﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ﴾	119
51	40	﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾	120

51،92	41	﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ﴾	121
51،85،116	42	﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾	122
51،85،116	43	﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾	123
52	44	﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾	124
52،117	45	﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ﴾	125
52،117	46	﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾	126
52،117	47	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ﴾	127
52،118	48	﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا﴾	128
53،134،141،152	50	﴿وَأِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾	129
142،153	51	﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾	130
134،153،402	52	﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾	131
146،154،162	53	﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾	132
146،147،154	54	﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا﴾	133
147،154	55	﴿مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ﴾	134
149	57	﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ﴾	135
54	58	﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾	136
54،171،185	61	﴿وَأِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾	137
179،186	62	﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا﴾	138
109،112،186	63	﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ﴾	139

169،186،189،190	64	﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَافَةٌ لَكُمْ آيَةٌ﴾	140
56،190	65	﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ﴾	141
61	68	﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾	142
54	78	﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾	143
54	79	﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ﴾	144
54	80	﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي﴾	145
54،387	82	﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا﴾	146
54،387	83	﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ﴾	147
60،196	84	﴿وَأِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾	148
60	87	﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ﴾	149
109،112،186	88	﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُمْ﴾	150
217	90	﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾	151
230	91	﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا﴾	152
235	92	﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ﴾	153
61	93	﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾	154
61	94	﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾	155
61	95	﴿كَأَنَّ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا إِلَّا بُعْدًا﴾	156
39	114	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا﴾	157
44	120	﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾	158

سورة يوسف

7	111	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾	159
---	-----	---------------------------------------	-----

سورة إبراهيم

247	7	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ﴾	160
341	32	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾	161
341	33	﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾	162
341	34	﴿وَعَاتِلَكُمْ مِن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾	163

سورة الحجر

379	9	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	164
59	65	﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾	165
59	66	﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾	166
214	78	﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ﴾	167
214	79	﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لِيَئَامِرٌ مُّبِينٍ﴾	168
77	94	﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ﴾	169
77	95	﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾	170

سورة النحل

125	20	﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾	171
-----	----	---	-----

سورة الإسراء

380	1	﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾	172
49	3	﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾	173
194،334	27	﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾	174
354	42	﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ رَءَاهُةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾	175
357	49	﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفَاتًا﴾	176
357	50	﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾	177
357	51	﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾	178
362	90	﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ﴾	179
362	91	﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ﴾	180
362	92	﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ﴾	181
362	93	﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ﴾	182
150	94	﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ﴾	183
308	101	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَاتٍ﴾	184

سورة مريم

356	66	﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِثٌّ﴾	185
356	67	﴿أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ﴾	186

سورة طه

300	9	﴿وَهَلْ أُنْتَك حَدِيثُ مُوسَى﴾	187
300	10	﴿إِذْ رَمَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾	188
300	11	﴿فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ يَمُوسَى﴾	189
300	12	﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَع نَعْلَيْكَ﴾	190
300	13	﴿وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾	191
300	14	﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾	192
300	15	﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾	193
300	16	﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ﴾	194
301	17	﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى﴾	195
301	18	﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾	196
301	19	﴿قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَى﴾	197
301	20	﴿فَالْقَلْبَها فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾	198
301	21	﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سُنْعِيدُهَا﴾	199
301	22	﴿وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ﴾	200
301	23	﴿لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾	201
301	24	﴿أُذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾	202
302	25	﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾	203
302	26	﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾	204

302	27	﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةَ مِّن لِّسَانِي﴾	205
302	28	﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾	206
302	29	﴿وَأَجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾	207
302	30	﴿هَنُرُونَ أَخِي﴾	208
302	31	﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾	209
302	32	﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾	210
302	33	﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾	211
302	34	﴿وَنَذُكُرَكَ كَثِيرًا﴾	212
302	35	﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾	213
302،67	36	﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾	214
302،257	37	﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾	215
302،257	38	﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾	216
302،257	39	﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ﴾	217
302،257	39	﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾	218
302،257	40	﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ﴾	219
302،257	41	﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾	220
302	42	﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾	221
302	43	﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾	222
302	44	﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾	223

302	45	﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ﴾	224
302	46	﴿قَالَ لَا تَخَافا إِنَّني مَعَكُما أَسْمَعُ﴾	225
302	47	﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾	226
296	47	﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ أَتَبَعَ الْهُدَى﴾	227
302	48	﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذابَ﴾	228
257	49	﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُما يَمُوسى﴾	229
257	50	﴿قَالَ رَبُّنا الَّذى أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ﴾	230
257	51	﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾	231
257	52	﴿قَالَ عَلِمُها عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾	232
258	53	﴿الَّذى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾	233
258	54	﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾	234
68	59	﴿قَالَ مَوْعِدَكُم يَوْمَ الرِّبَةِ﴾	235
253	61	﴿قَالَ لَهُم مُوسى وَيَلِكُم﴾	236
279،280	62	﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾	237
279،280	63	﴿قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾	238
279،280	64	﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُم ثُمَّ اثْتُوا﴾	239
69،279	65	﴿قَالُوا يَا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلْقَى﴾	240
280	66	﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾	241
69،279،281	68	﴿فُلنَّا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾	242

69,382	71	﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾	243
69,382	72	﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا﴾	244
69,382	73	﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾	245
69,382	74	﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ﴾	246
69,382	75	﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾	247
69,382	76	﴿جَنَّاتٍ عَذْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾	248
268,290	83	﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾	249
268,290	84	﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءِ عَلَى أَثْرِي﴾	250
268,290	85	﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾	251
269	86	﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾	252
73,269,290	86	﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ﴾	253
73,291	88	﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾	254
73	89	﴿أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ﴾	255
292	90	﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾	256
293	92	﴿قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ﴾	257
293	93	﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾	258
293	94	﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ﴾	259
73,294	95	﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾	260
73,294	96	﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾	261

73،294	97	﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾	262
320	97	﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ﴾	263
251،297،320،298	98	﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي﴾	264

سورة الأنبياء

377	16	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبِينِ﴾	265
377	17	﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آيَةً أَتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾	266
354	22	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾	267
354	23	﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾	268
196	25	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ﴾	269
359	26	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾	270
359	29	﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾	271
383	30	﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾	272
163	35	﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾	273
358	98	﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ﴾	274
358	99	﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا﴾	275
358	100	﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾	276
358،359	101	﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾	278
358،359	102	﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُشْتَهَتْ﴾	279

سورة الحج

79	39	﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا﴾	280
----	----	--	-----

سورة المؤمنون

127	27	﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ﴾	281
100	28	﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ﴾	282
100	29	﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ﴾	283
150	33	﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	284
150	34	﴿وَلَيْنَ أَطْعَمْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ﴾	285
356	81	﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾	286
356	82	﴿قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا﴾	287
356	83	﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَعِبَادُونا هَذَا مِنْ قَبْلُ﴾	288
354	91	﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾	289

سورة الشعراء

271	16	﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ﴾	290
271	17	﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	291
67،271	18	﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِيْنَا وَلِيدًا وَلِئِمَّتْ﴾	292
67،271	19	﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾	293
67،271	20	﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّاَلِينَ﴾	294

67،271	21	﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾	295
67،271	22	﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ﴾	296
68،272،273	23	﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	297
68،272،273	24	﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	298
68،272	25	﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾	299
68،272،273	26	﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾	300
68،272،274	27	﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ﴾	301
68،272،274	28	﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾	302
68،272،274	29	﴿قَالَ لَئِن أُتِّخِذتُ إِلَهًا غَيْرِي﴾	303
68،272،274	30	﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾	304
68،272،274	31	﴿قَالَ فَآتِ بِهِ إِذَا كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾	305
68،272،275	32	﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مُبِينٌ﴾	306
68،272،275	33	﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ﴾	307
68،275	34	﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ﴾	308
68،275	35	﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾	309
68،275	36	﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ﴾	310
68،275	37	﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾	311
،259	54	﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾	312
259	55	﴿وَأَنَّهُمْ لَنَا لَعَّابُونَ﴾	313

259	56	﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ خَادِرُونَ﴾	314
320	57	﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾	315
320	58	﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾	316
320	59	﴿كَذَلِكَ طَّ وَأُورَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	317
71،259،312	61	﴿فَلَمَّا تَرَى الْجُمَعَانَ قَالَ أَصْحَابُ﴾	318
71،259،312	62	﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾	319
71،259،312	63	﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ﴾	320
129	119	﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ﴾	321
195	125	﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾	322
195	126	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾	323
158،153	128	﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾	324
153،159	129	﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾	325
53،153،159	130	﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾	326
53،135،138،153	131	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾	327
153،138،135	132	﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾	328
153،138،135	133	﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾	329
153،138،135	134	﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾	330
133،138،153	135	﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ﴾	331
153،138،160	136	﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظت﴾	332

153،138،160	137	﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾	333
153،160	138	﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾	334
177،201،168	142	﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ﴾	335
168،	143	﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾	336
168،	144	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾	337
177،171	146	﴿أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾	338
171	147	﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾	339
171	148	﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾	340
171،173	149	﴿وَتَنَجِّحُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾	341
181	151	﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾	342
181	152	﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾	343
56،174،181	153	﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾	344
56،174،181	154	﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ﴾	345
189	155	﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ﴾	346
194،196	160	﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لوطِ الْمُرْسَلِينَ﴾	347
194،196،206	161	﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	348
196،206	162	﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾	349
196،206	163	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾	350
196،206	164	﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾	351

98،202	165	﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾	352
98،202	166	﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ﴾	353
203	167	﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَه يَلُوطُ﴾	354
204،207	168	﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾	355
204،207	169	﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾	356
223	177	﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	357
215	181	﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا﴾	358
215	182	﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَيْسَ الْمُسْتَقِيمِ﴾	359
61،215	183	﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾	360
221	184	﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾	361
227	185	﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾	362
227	186	﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ﴾	363
227	187	﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾	364
227	188	﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	365
326	214	﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾	366

سورة النمل

301	10	﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا﴾	367
168،178	46	﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾	368

183	47	﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾	369
181	48	﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهِطٍ﴾	370
202	54	﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ﴾	371
202	55	﴿أَبْنَاءَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾	372
197،203	56	﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا﴾	373
375	60	﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	374
375	61	﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ﴾	375
375	62	﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾	376
375	63	﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ﴾	377
375	64	﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾	378
377	88	﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَرَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾	379

سورة القصص

63،254	4	﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾	380
63،255	7	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾	381
63،255	8	﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ﴾	382
63،255	9	﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي﴾	383
63	11	﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ﴾	384
256	12	﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلِ﴾	385
256	13	﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾	386

64،248	15	﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ﴾	387
64،248	16	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾	388
64،248	17	﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ﴾	389
64	18	﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾	390
64	19	﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي﴾	391
65	20	﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾	392
65	21	﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ﴾	393
65	22	﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدِينٍ قَالَ﴾	394
65	23	﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينٍ وَجَدَ عَلَيْهِ﴾	395
65	24	﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾	396
65	25	﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى﴾	397
66	26	﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾	398
66	27	﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى﴾	399
66	28	﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ﴾	400
67	30	﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾	401
67	31	﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ﴾	402
273	38	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ﴾	403
342	71	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ﴾	404
342	72	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ﴾	405

342	73	﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾	406
-----	----	---	-----

سورة العنكبوت

332	7	﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	407
94	14	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ﴾	408
136	15	﴿فَأُنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾	409
57	26	﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾	410
168	29	﴿أَيِّنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ﴾	411
196،213،216	36	﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾	412
388	40	﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ﴾	413
368	43	﴿وَبِلَكَ الْأُمْتَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾	414

سورة الروم

357	50	﴿فَانظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾	415
-----	----	--	-----

سورة لقمان

377	11	﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ﴾	416
-----	----	---	-----

سورة فاطر

357	9	﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبِيرُ سَحَابًا﴾	417
-----	---	--	-----

سورة الصافات

59	137	﴿وَأَنْتُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾	418
59	138	﴿وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	419

سورة الزمر

333	65	﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾	420
-----	----	---	-----

سورة غافر

107	4	﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ﴾	421
123،357	57	﴿لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ﴾	422

سورة فصلت

150	13	﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾	423
150	14	﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾	424
134،160،162	15	﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾	425
351	39	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ﴾	426

سورة الزخرف

357	9	﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾	427
359	57	﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ﴾	428
359	58	﴿وَقَالُوا يَا إِلَهْتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾	429

359	59	﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾	430
359	60	﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً﴾	431
359	61	﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا﴾	432

سورة الدخان

320	25	﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾	434
320	26	﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾	435
320	27	﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾	436
320	28	﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾	437
320	29	﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾	438

سورة الأحقاف

53	21	﴿وَأذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾	439
54	24	﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ﴾	440
54	25	﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا﴾	441

سورة الحجرات

335	12	﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾	442
-----	----	------------------------------------	-----

سورة ق

376	6	﴿أَقْلَمَ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ﴾	443
376	7	﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾	444
376	8	﴿تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾	445
376	9	﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا﴾	446
376	10	﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾	447
376	11	﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا﴾	448

سورة القمر

382	1	﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾	449
382	2	﴿وَأَن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا﴾	450
129	11	﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾	451
129	12	﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾	452
129	13	﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاجِ وَدُسِرِ﴾	453
129	14	﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَن﴾	454
170,190	29	﴿فَتَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾	455
170,190	30	﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾	456
170,190	31	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾	457
198	36	﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾	458

55،210	37	﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ صَيْفِهِ فَطَمَسْنَا﴾	459
210	38	﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾	460
210	39	﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾	461

سورة الواقعة

343	63	﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾	462
343	64	﴿ءَأَنْتُمْ تَنْزِعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾	463
343	65	﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ﴾	464
343	66	﴿إِنَّا لَمُعْرِمُونَ﴾	465
343	67	﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ﴾	466
343	68	﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾	467
343	69	﴿ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾	468
343	70	﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾	469
343	71	﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾	470
343	72	﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ﴾	471
343	73	﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمَتًا لِلْمُقِيمِينَ﴾	472

سورة الحشر

387	2	﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	473
368	21	﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ﴾	474

سورة الصف

246	5	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ﴾	475
-----	---	---	-----

سورة المنافقون

151	8	﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾	476
-----	---	--	-----

سورة التغابن

356	7	﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾	477
-----	---	---	-----

سورة التحريم

52،58	10	﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾	478
-------	----	--	-----

سورة الحاقة

54	6	﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصِرٍ﴾	479
54	7	﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ﴾	480
54	8	﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ﴾	481

سورة نوح

94	1	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ﴾	482
90	2	﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾	483
90	3	﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾	484

90	4	﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجْكُمْ﴾	485
92،121	10	﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾	486
121،122،134،153	11	﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾	487
92،121،122	12	﴿وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ﴾	488
98،99،105،123	13	﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾	489
99،105،123	14	﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا﴾	490
99،106	15	﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ﴾	491
99،106،124	16	﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾	492
99،124	17	﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾	493
125، 99،124	18	﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ﴾	494
99،100،125	19	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾	495
99،100،125	20	﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾	496
51،94	26	﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ﴾	497
51،94	27	﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾	498
86،87	28	﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ﴾	499

سورة المدثر

77	1	﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾	500
77	2	﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾	501
77	3	﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾	502

77	4	﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾	503
77	5	﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾	504
77	6	﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ﴾	505
77	7	﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾	506

سورة المرسلات

147	39	﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾	507
-----	----	--	-----

سورة النازعات

246,266,303	18	﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّى﴾	508
246,266,303	19	﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾	509
387	25	﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾	510
387	26	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾	511

سورة الشمس

56	11	﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾	512
56	12	﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾	513
56,169	13	﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ﴾	514
56,170	14	﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ﴾	515
56,170	15	﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾	516

سورة العلق

77	1	﴿اَفْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾	517
77	2	﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾	518
77	3	﴿اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾	519
77	4	﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾	520
77	5	﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾	521

ثانيا/ فهرس أطراف الحديث

رقم الصفحة	ورود الحديث	طرف الحديث	م
335	مسلم	(أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم)	1
383	البخاري	(أتي النبي صلى الله عليه وسلم بإناءٍ)	2
332	البخاري ومسلم	(أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه)	3
345	مسلم	(أحب الكلام إلى الله تعالى أربع...)	4
334	البخاري ومسلم	(اجتنبوا السبع الموبقات.....)	5
215	البخاري ومسلم	(أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء)	6
384	البخاري	(أفلا أكون عبدا شكورا)	7
333	البخاري ومسلم	(ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ..)	8
345	البخاري	(الحمد لله الذي كفانا وأروانا، غير مكفي)	9
345	مسلم	(الطهور شطر الإيمان، والحمد لله)	10
327	مسلم	(اللهم! أكثر ماله وولده)	11
95	البخاري	(اللهم أنج سلمة بن هشام)	12
346	مسلم	(اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك)	13
328	مسلم	(اللهم علِّمه الحكمة)	14
328	البخاري	(اللهم فقهه في الدين)	15
96	البخاري	(اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب)	16
382	البخاري	(أن أهل مكة سألوا رسول الله أن يريهم آية)	17
334	مسلم	(إن الله كره لكم ثلاثا: قيل وقال)	18
343	مسلم	(إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة)	19
351	مسلم	(أن امرأة أتت رسول الله فقالت....)	20
351	البخاري	(أن امرأة من جهينة، جاءت إلى النبي ..)	21
325	مسلم	(أن رجلا سأل النبي فأعطاه غنما)	22

386	مسلم	(أن رسول الله رأى خاتما من ذهب)	23
386	البخاري	(أن رسول الله لما قدم مكة، أبى أن يدخل)	24
336	مسلم	(إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه)	25
352	مسلم	(أن ناسا من أصحاب النبي قالوا)	26
383	البخاري	(انشق القمر على عهد رسول الله فرقتين)	27
331	البخاري ومسلم	(انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم)	28
389	البخاري	(أن قريشا أهتمهم المرأة المخزومية)	29
336	البخاري	(إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد إطالتها)	30
329	البخاري	(إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت)	31
327	أبو داود	(أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل)	32
78	البخاري ومسلم	(بينما رسول الله يصلي عند البيت)	33
366	البخاري	(بينما نحن جلوس مع النبي في المسجد)	34
365	البخاري	(جاء رجل إلى رسول الله من أهل نجد)	35
360	البخاري ومسلم	(جاء رجل من بني فزارة إلى النبي)	36
340	البخاري ومسلم	(دخلت امرأة النار في هرة ربطتها)	37
385	البخاري	(دخل النبي مكة يوم الفتح، وحول البيت)	38
337	البخاري	(دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء)	39
346	مسلم	(ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض)	40
40	الترمذي	(شيبنتي هود، والواقعة، والمرسلات)	41
49	البخاري	(صارت الأوثان التي كانت في قوم)	42
384	البخاري	(صلوا كما رأيتموني أصلي)	43
383	البخاري	(عطش الناس يوم الحديبية)	44
381	البخاري ومسلم	(فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة)	45
75	البخاري ومسلم	(فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب)	46

388	البخاري	(فوالله لا الفقر أخشى عليكم)	47
328	البخاري	(قسم النبي قسمة كبعض ما كان يقسم)	48
330	البخاري	(كان غلام يهودي يخدم النبي فمرض)	49
337	البخاري ومسلم	(كنت أمشي مع رسول الله وعليه برد)	50
339	البخاري ومسلم	(كان في بني إسرائيل رجل قتل)	51
340	البخاري ومسلم	(لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه)	52
388	البخاري ومسلم	(لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين)	53
385	مسلم	(لتأخذوا عني مناسككم فإنني لا أدري)	54
343	البخاري	(نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس)	55
164،240،378	البخاري ومسلم	(ما من الأنبياء نبي إلا أعطي)	56
370	البخاري	(مثل القائم على حدود الله والواقع فيها)	57
372	البخاري	(مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن)	58
385	مسلم	(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده)	59
345	مسلم	(من سبح الله في دبر كل صلاة)	60
329	أحمد	(من يمنعك مني؟ فقال: كن خير آخذ)	61
96	البخاري	(مألاً الله بيوتهم وقبورهم ناراً)	62
326	مسلم	(يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم)	63
208	البخاري ومسلم	(يرحم الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن)	64

ثالثاً/ فهرس الأعلام المترجم لهم

رقم الصفحة	العلم	م
96	أبو بكر بن العربي	1
164	ابن حجر العسقلاني	2
372	بدر الدين العيني	3
45	سيد قطب إبراهيم	4
162	زكريا بن محمد الأنصاري	5
40	عبد الرحمن السيوطي	6
368	محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)	7
151	محمد الطاهر بن عاشور	8
163	محمد متولي الشعراوي	9
46	مناخ خليل القطان	10
106	يحيى بن شرف النووي	11
199	يوسف القرضاوي	12

رابعاً / فهرس المراجع

• القرآن الكريم كتاب الله عز وجل

- 1- إتقان. الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: 911هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394 هـ / 1974 م
- 2- أحكام القرآن، لمحمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، (ت: 543 هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.
- 3- أدب الأنبياء مع الخلق في القرآن الكريم، لعبد الله الغامدي، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين شعبة التفسير في العام الجامعي: 1429 هـ - 1430 هـ، والرسالة لم تتول طبعتها دار نشر.
- 4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، (ت: 982 هـ)، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 5- أزمة العقل المسلم، المؤلف: لعبد الحميد أحمد أبو سليمان، الناشر: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية (1412هـ - 1992م)
- 6- أصول الدعوة وطرقها 3، من مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية.
- 7- أطلس القرآن لشوقي أبو خليل، (ت: 1431 هـ)، ط. دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، الطبعة الثانية (1423 هـ - 2003م)
- 8- أعلام. الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، (ت: 1396هـ)، ط دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر مايو 2002 م

- 9- **بداية. البداية والنهاية،** لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، (ت: 774هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م.
- 10- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،** لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (ت: 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام النشر: 1416 هـ - 1996 م
- 11- **تبيان. التبيان في أيمان القرآن،** لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت: 751هـ)، بتحقيق عبد الله بن سالم البطاطي، ط دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) الطبعة: الرابعة، 1440 هـ - 2019 م.
- 12- **تحرير. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر - 1974م، تونس 1984 هـ.
- 13- **تصوير. التصوير الفني في القرآن،** لسيد قطب إبراهيم (ت: 1385هـ)، ط دار الشروق الطبعة السابعة عشرة عام 2004م
- 14- **تعريفات. التعريفات،** لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، (ت: 531هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الطباعة: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى 1403 هـ - 1983م
- 15- **تفسير. التفسير الوسيط للقرآن الكريم،** لمجموعة من العلماء بإشراف البحوث الإسلامية مجمع بالأزهر، ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى، (1393 هـ - 1973) إلى (1414 هـ - 1993م)

- 16- تفسير. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، (ت: 1431هـ)، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى (1997، 1998م).
- 17- تفسير. التفسير الوسيط، لوهبة بن مصطفى الزحيلي، (ت: 1436هـ)، ط. دار الفكر - دمشق الطبعة الأولى - 1422 هـ.
- 18- تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، (ت: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد السلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1420 هـ - 1999 م
- 19- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، (ت: 1205هـ)، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت بدون تاريخ طباعة.
- 20- تفسير سورة الحجر، ليوسف القرضاوي (ت: 1444هـ)، الناشر مكتبة وهبة الطبعة الأولى (1433هـ- 2012)
- 21- تهذيب الأسماء واللغات، لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي، (ت: 676هـ)، ط دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 22- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، (ت: 1376هـ)، ط مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420 هـ - 2000 م.
- 23- جامع. الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964 م.
- 24- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري، (ت: 310هـ)، ط. دار هجر الطبعة: الأولى، 2001 م.

- 25- **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت: 751هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: دار العروبة - الكويت الطبعة: الثانية، 1407هـ - م1987.
- 26- **حوار. الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، ليحيى زمزمي، ط دار التربية والتراث مكة المكرمة، ودار رمادي للنشر بالدمام الطبعة الأولى 1994م.
- 27- **خطابنا الإسلامي في عصر العولمة**، ليوسف عبد الله القرضاوي، (ت: 1444 هـ)، ط. دار الشروق الطبعة الأولى 1424 هـ - 2004م
- 28- **حلال. الحلال والحرام**، ليوسف القرضاوي (ت: 1444 هـ)، ط مكتبة وهبة، الطبعة الثانية والعشرون (1418 هـ - 1997)
- 29- **رحيق. الرحيق المختوم**، لصفي الرحمن المباركفوري، ط. دار الوفاء الطبعة العشرون 2009.
- 30- **خصائص. الخصائص العامة للإسلام**، ليوسف القرضاوي، (ت: 1444 هـ)، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية (1404 هـ - 1983م)
- 31- **ديباج. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، لإبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، (ت: 799 هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمد أبو النور، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
- 32- **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، لمحمد ضياء الأعظمي، ط مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الثانية 2003م
- 33- **دعوة الرسل عليهم السلام**، لأحمد غلوش، (ت: 1396 هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1423هـ - 2002م.

- 34- **ذيل طبقات الحنابلة**، لابن رجب زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي الحنبلي، (ت: 795 هـ)، تصحيح: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة 1732 هـ - 1952 م.
- 35- **روح الروح**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت: 751 هـ) ط. دار الكتب العلمية - بيروت.
- 36- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، (ت: 1270 هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1415 هـ.
- 37- **زهرة التفاسير**، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، (ت: 1394 هـ)، دار الطباعة: دار النشر: دار الفكر العربي
- 38- **سيرة. السيرة النبوية**، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، (ت: 213 هـ)، بتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط شركة الطباعة الفنية المتحدة.
- 39- **سنن أبي داوود**، لأبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، (ت: 275 هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، بدون تاريخ طباعة.
- 40- **سنن الترمذي**، لمحمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، (ت: 279 هـ)، ط دار الغرب الإسلامي - بيروت طبعة 1998 م.
- 41- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العسكري الحنبلي، (ت: 1089 هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى (1406 هـ - 1986 م)

42- **صحيح البخاري**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (ت: 256 هـ)، بتحقيق د. مصطفى ديب البغا، الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) - دمشق الطبعة: الخامسة، 1414 هـ - 1993 م

43- **صحيح مسلم**، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت: 261 هـ)، بتحقيق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصارى - وآخرون، الناشر: دار الطباعة العامرة - تركيا عام النشر: 1334 هـ.

44- **صحيح. الصحيح المسند من أسباب النزول**، لمقبل بن هادي الوادعي، (ت: 1422 هـ)، ط مكتبة صنعاء الأثرية الطبعة الثانية 1425هـ، 2004م

45- **صاح. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، لإسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (ت: 393 هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور، طبعة دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987 م.

46- **ضوء. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، لمحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، (ت: 902 هـ)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، بدون تاريخ نشر.

47- **طبقات الشافعية الكبرى**، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، (ت: 771 هـ)، تحقيق د. محمود محمد الطناحي، و د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، 1413 هـ.

48- **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، (ت: 751 هـ)، حققه: محمد أجمل الإصلاحي وآخرون، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الرابعة، 1440 هـ - 2019 م (الأولى لدار ابن حزم)

49- **عبرة. العبرة من قصة موسى - عليه السلام-**، لمحمد خيرى عدوي، وهو في الأصل رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الملك عبد العزيز كلية الشريعة والدراسات الإسلامية سنة 1980، 1979م.

50- علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، لأحمد بن مصطفى المراغي ط دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان الطبعة الثالثة 1993م.

51- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، (ت: 855 هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي وصورتها دور أخرى: مثل (دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر) - بيروت.

52- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت: 852 هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، وقام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب الناشر: المكتبة السلفية - مصر الطبعة: «السلفية الأولى»، 1380 هـ - 1390 هـ.

53- فتح الرحمن بكشف ما التبس من القرآن، لذكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري، (ت: 926 هـ)، تحقيق الدكتور محمد علي الصابوني، ط: دار القرآن الكريم بيروت 1983م.

54- فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، (ت: 1250 هـ)، ط دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414 هـ.

55- في ظلال القرآن، لسيد قطب، (ت: 1385 هـ)، ط دار الشروق الطبعة السابعة عشرة 1992

56- قصص الأنبياء، لعبد الوهاب النجار (ت: 1862 هـ)، ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان الطبعة الأولى (1425-2005)

57- قاموس. القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (ت: 1817 هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط مكتبة الرسالة، الطبعة الثامنة (1246هـ - 2005)

- 58- **قدوة. القدوة مبادئ ونماذج**، لصالح بن عبد الله بن حميد، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.
- 59- **قصة. القصة في القرآن**، لمحمد سيد طنطاوي، (ت: 1431 هـ)، ط. نهضة مصر، الطبعة الأولى 1996م
- 60- **قصص. القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث**، لصالح الخالدي (ت: 1443 هـ)، ط دار القلم دمشق الطبعة الأولى 1998م
- 61- **كشاف. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، لمحمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، (ت: 538 هـ)، الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة: الثالثة 1407 هـ - 1987 م.
- 62- **لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن**، المعروف بالخازن (ت 741 هـ) تصحيح: محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1415 هـ
- 63- **لسان العرب**، لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، (ت: 711 هـ)، ط دار المعارف.
- 64- **محرر. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542 هـ)، ط دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - 1422 هـ
- 65- **مدخل. المدخل إلى علم الدعوة**، لمحمد أبو الفتح البيانوني، (ت: 1396 هـ)، ط. الشؤون الإسلامية بقطر الطبعة الرابعة 1997 م.
- 66- **مستفاد. المستفاد من القصص القرآني للدعوة والدعاة**، لعبد الكريم زيدان، (ت: 1435 هـ)، ط الرسالة الطبعة الأولى 1998.

- 67- **معجم. المعجم الوسيط**، الصادر من مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة (1425هـ-2004)
- 68- **مفردات. المفردات في غريب القرآن**، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت: 502هـ)، تحقيق صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - 1412 هـ
- 69- **منهاج. منهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي**، (ت: 676هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، 1392هـ.
- 70- **مواهب. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، (ت: 923هـ)، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر
- 71- **موسوعة. الموسوعة الفقهية الكويتية**، الصادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت الطبعة: (من 1404 - 1427 هـ)
- 72- **مباحث في علوم القرآن**، لمناع القطان، (ت: 1420هـ)، ط مكتبة وهبة الطبعة الحادية عشرة عام 2000م.
- 73- **مجموع الفتاوى**، لأحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية، (ت: 728هـ)، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله وساعده: ابنه محمد، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة - السعودية عام النشر: 1425 هـ - 2004 م.
- 74- **مدارج السالكين في منازل السائرين**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، (ت: 751هـ)، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، وآخرون. الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت) الطبعة: الثانية، 1441 هـ - 2019 م (الأولى لدار ابن حزم)

- 75- **مرشد الدعاة، لمحمد نمر الخطيب**، ط دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت. الطبعة الأولى، 1401هـ / 1981م
- 76- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، لأحمد بن محمد بن حنبل، (ت: 241هـ)، بتحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
- 77- **معارج التفكير ودقائق التدبر**، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، (ت: 1425هـ)، ط دار القلم - دمشق الطبعة الأولى 2006م.
- 78- **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، (ت: 516هـ)، بتحقيق عبد الرزاق المهدي، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ.
- 79- **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، (ت: 626هـ)، بتحقيق: إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م
- 80- **معجم البلدان**، لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، (ت: 626هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية 1995م
- 81- **معجم الفروق اللغوية**، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: 395هـ)، تحقيق محمد إبراهيم سليم، ط دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.
- 82- **معجم مقاييس اللغة**، لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ت: 395هـ)، أبو الحسين تحقيق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: (1399هـ - 1979م).
- 83- **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير** لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، (ت: 606هـ)، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - 1420 هـ

- 84- من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، لعبد الله العقيل، ط دار البشير الطبعة السابعة 2008م.
- 85- **مناهج البحث العلمي**، لعبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، الطبعة الثالثة 1977م
- 86- **من بلاغة القرآن المعاني -البيان - البديع**، لمحمد شعبان علوان، والدكتور نعمان شعبان علوان، ط الدار العربية للنشر والتوزيع الطبعة الثانية 1998م
- 87- **نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم**، لعدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة الطبعة: الرابعة.
- 88- **هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة**، لعلي محفوظ، (ت: 1361هـ)، طبعة دار الاعتصام الطبعة التاسعة 1399 هـ - 1979م.
- 89- **وافي. الوافي بالوفيات**، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، (ت: 764هـ)، بتحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى الناشر: دار إحياء التراث - بيروت عام النشر: 1420هـ - 2000م.
- 90- **وجيز. الوجيز في أصول الفقه**، لوهبة الزحيلي (ت: 1436هـ)، ط دار الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر دمشق، إعادة الطبعة الأولى 1419هـ، 1999م

فهرس الموضوعات

الصفحة	فهرس الموضوعات
2	الإهداء
3	شكر وتقدير
4	ملخص الرسالة بالعربية
5	Summary of the thesis
7	المقدمة
35	الفصل التمهيدي
36	المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث
39	المبحث الثاني: التعريف بالسورة وفضلها وآياتها ووقت نزولها
41	المبحث الثالث: استعراض السورة وقضاياها الرئيسية
43	المبحث الرابع: بيان لأهمية القصص القرآني من خلال سورة هود، والحكمة من تكرار القصص في القرآن الكريم.
48	المبحث الخامس: تعريف موجز بالرسائل الواردين في السورة
49	1- نوح - عليه السلام-
53	2- هود - عليه السلام-
55	3- صالح- عليه السلام-
57	4- لوط- عليه السلام-
60	5- شعيب- عليه السلام-
62	6- موسى- عليه السلام-
76	7-خاتم الأنبياء والمرسلين محمد – صلى الله عليه وسلم-
81	الباب الأول: المناهج الدعوية في رسالة نوح - عليه السلام-

82	الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة نوح- عليه السلام-
83	المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة
84	المطلب الأول: تعريف معنى الرفق
84	المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)
85	المطلب الثالث: وصف الله له بأنه أخوهم
85	المطلب الرابع: ندائه على ابنه (يا بني)
86	المطلب الخامس: إظهار الخوف والشفقة على قومه
86	المطلب السادس: الدعاء لوالديه وللمؤمنين والمؤمنات.
87	المبحث الثاني/ الترغيب
88	المطلب الأول: تعريف معنى الترغيب
88	المطلب الثاني: الترغيب في قبول الحق
92	المطلب الثالث: حثهم على الاستغفار
92	المطلب الرابع: الترغيب في ذكر الله عند ركوب السفينة
93	المبحث الثالث/ الترهيب
93	المطلب الأول: تعريف معنى الترهيب
94	المطلب الثاني: الترهيب من عذاب الله
94	المطلب الثالث: الدعاء على العصاة بالهلاك
97	المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله
97	المطلب الأول: تعريف معنى التذكير بنعم الله.
98	المطلب الثاني: نعمة الخلق أطوارا
99	المطلب الثالث: نعمة خلق السماوات والأرض والشمس والقمر
99	المطلب الرابع: نعمة جعل الأرض مبسوطة والسبل الفجاج
100	المطلب الخامس: التذكير بحمد الله على النجاة.

101	الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة نوح- عليه السلام-
102	تعريف المنهج العقلي لغة واصطلاحاً
103	المبحث الأول/ الاستفهام
103	المطلب الأول: تعريف الاستفهام
104	المطلب الثاني: تعجب نوح من إنكار قومه أن الله أرسله إليهم
105	المطلب الثالث: تقرير أنه رسول من الله واستنكار إعراضهم
105	المطلب الرابع: استنكاره عليهم أنهم لا يرجون لله وقارا
106	المطلب الخامس: تقريره لهم بأن الله هو خالق السماوات والأرض
106	المبحث الثاني/ الجدل
106	المطلب الأول: تعريف الجدل
107	المطلب الثاني: اتهامه بأنه في ضلال مبين
109	المطلب الثالث: عيبه بأنه بشر مثلهم واتباعه من أراذل القوم
111	المبحث الثالث/ الحوار
111	المطلب الأول: تعريف الحوار
112	المطلب الثاني: حوار مع قومه
115	المطلب الثالث: حوار مع ولده
117	المطلب الرابع: حوار مع رب العالمين
119	الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة نوح- عليه السلام-
120	تعريف المنهج الحسي لغة واصطلاحاً
121	المبحث الأول/ الاستغفار سبب للنعم
121	المطلب الأول: تعريف الاستغفار
121	المطلب الثاني: ثمرات الاستغفار
122	المبحث الثاني/ الاستدلال على عظمة الله بالآيات الكونية

123	المطلب الأول: آيات الله في الكون المنظور
123	المطلب الثاني: آية خلق السماوات والأرض
124	المطلب الثالث: آيتا الشمس والقمر
124	المطلب الرابع: آية الخلق من الأرض والعودة إليها ثم البعث والنشور
125	المطلب الخامس: آية بسط الأرض
125	المبحث الثالث/ سفينة النجاة (الفلك المشحون)
126	المطلب الأول: أمر الله لنوح ببناء السفينة
126	المطلب الثاني: صنع السفينة بعناية الله ووحيه
127	المطلب الثالث: حمل فيها من كل زوجين اثنين
127	المطلب الرابع: وفار التنور
129	المطلب الخامس: وهي تجري بهم في موج كالجبال
130	الباب الثاني: المناهج الدعوية في رسالة هود - عليه السلام-
131	الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة هود- عليه السلام-
132	المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة
132	المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوهم
133	المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)
133	المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه
133	المبحث الثاني/ الترغيب
134	المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله
134	المطلب الثاني: حثهم على الاستغفار
135	المبحث الثالث/ الترهيب
135	المطلب الأول: الترهيب من عذاب عظيم

136	المطلب الثاني: الترهيب بأن يحل غضب الله بهم
137	المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله
137	المطلب الأول: التذكير بأن الله جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح
138	المطلب الثاني: التذكير بأن الله أمدهم بأنعام وبنين وجنات وعيون
139	الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة هود- عليه السلام-
140	المبحث الأول/ الاستفهام
141	المطلب الأول: أفلا تتقون؟
141	المطلب الثاني: إنكاره عليهم عجبهم أن الله أرسله إليهم
141	المطلب الثالث: إنكاره عبادة قومه أصناما سموها آلهة تقليدا لأبائهم
142	المطلب الرابع: إنكاره عدم إعمال عقولهم، وأنه لا يريد لهم إلا الخير
142	المطلب الخامس: إنكاره العبث في كل بناء بينونه
143	المبحث الثاني/ الجدل
143	المطلب الأول: شبهة اتهامه بالسفاهة والكذب
145	المطلب الثاني: شبهة إبطاله لعبادة آلهتهم التي عبدها آبؤهم من قبل
146	المطلب الثالث: شبهة أنه لم يأتهم ببينة وتهديده أن تنتقم منه الآلهة
150	المطلب الرابع: شبهة أن رسولهم بشر وليس من الملائكة
152	المبحث الثالث/ الحوار
152	المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة هود – عليه السلام
154	المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار

156	الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة هود- عليه السلام-
157	المبحث الأول/ الاعتبار بالسابقين
157	المطلب الأول: تعريف الاعتبار
158	المطلب الثاني: حث هود قومه على الاعتبار بالسابقين
158	المبحث الثاني/ التحذير من اتخاذ النعم سببا للترف والطمع
158	المطلب الأول: العيب في البناء رغبة في التفاخر
159	المطلب الثاني: اتخاذهم المصانع وكأنهم مخلدون بالدنيا
159	المطلب الثالث: إفراطهم في الأذى والظلم
161	المبحث الثالث/ هل كان لهود معجزة؟
161	المطلب الأول: تعريف المعجزة
161	المطلب الثاني: أقوال العلماء في معجزة هود – عليه السلام-
165	الباب الثالث: المناهج الدعوية في رسالة صالح - عليه السلام-
166	الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة صالح- عليه السلام-
167	المبحث الأول / الرفق وإظهار العاطفة
167	المبحث الثاني / الترغيب
168	المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله
168	المطلب الثاني: الترغيب في الاستغفار
169	المبحث الثالث/ الترهيب
169	المطلب الأول: الترهيب من مس الناقة بسوء
170	المطلب الثاني: توعدهم بوقوع العذاب بهم بعد عقر الناقة
170	المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله

171	المطلب الأول: نعمة الخلق والإيجاد
171	المطلب الثاني: نعمة الاستخلاف بعد عاد
172	المطلب الثالث: إمداد الله لهم بالقوة والتمكين في الأرض
173	المطلب الرابع: نعمة الأمن والإمداد بالماء العذب والزرور والثمار
175	الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة صالح- عليه السلام-
176	المبحث الأول/ الاستفهام
177	المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.
177	المطلب الثاني: استنكاره دعوة قومه له أن يترك الرسالة
177	المطلب الثالث: إنكاره عليهم تمتعهم بالنعمة وكفرهم بالله
178	المطلب الرابع: إنكاره عليهم العناد والتكذيب وعدم التوبة إلى الله
178	المبحث الثاني/ الجدل
179	المطلب الأول: التشكيك في دعوته إلى التوحيد وترك آلهتهم
181	المطلب الثاني: ادعائهم أن نبيهم من المسحرين
182	المطلب الثالث: أن رسولهم بشر مثلهم وأنه كذاب أشر
183	المطلب الرابع: التشاؤم من نبيهم صالح- عليه السلام-
183	المطلب الخامس: تشكيك المستكبرين للمؤمنين في اتباعهم لنبيهم.
185	المبحث الثالث/ الحوار
185	المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة صالح – عليه السلام
187	المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار
188	الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة صالح- عليه السلام-
189	المبحث الأول/ معجزة الناقة

190	المبحث الثاني/ الاعتبار بالسابقين
191	الباب الرابع: المناهج الدعوية في رسالة لوط - عليه السلام-
192	الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة لوط - عليه السلام-
193	المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة
193	المطلب الأول: نداء لوط على قومه (يا قوم)
193	المطلب الثاني: التعبير عنه بلفظ (أخوهم لوط)
194	المطلب الثالث: تسميته لنساء قومه بـ (بناتي)
195	المبحث الثاني/ الترغيب
195	المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله وطاعة رسولهم
196	المطلب الثاني: هل دعا لوط قومه للتوحيد؟
197	المطلب الثالث: ما الحكمة أن القرآن لم ينص على أنه قال لقومه كما قال غيره من الأنبياء: (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)؟
197	المبحث الثالث/ الترهيب
198	المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله
200	الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة لوط - عليه السلام-
201	المبحث الأول/ الاستفهام
201	المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله
202	المطلب الثاني: إنكاره عليهم فعل الفاحشة
203	المطلب الثالث: إنكاره عليهم تعرضهم لضيوفه
203	المبحث الثاني/ الجدل
203	المطلب الأول: قولهم عن آل لوط: "إنهم أناس يتطهرون"
204	المطلب الثاني: رفضهم الزواج من النساء
206	المبحث الثالث/ الحوار

206	المطلب الأول: نقاط الحوار في دعوة لوط – عليه السلام
208	المطلب الثاني: التعقيب على نقاط الحوار
209	الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة لوط - عليه السلام-
210	المبحث الأول / هل كان للوط – عليه السلام – معجزة؟
210	المبحث الثاني / طمس أعين القوم الذين راودوه عن ضيفه
211	الباب الخامس: المناهج الدعوية في رسالة شعيب - عليه السلام-
212	الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة شعيب - عليه السلام-
213	المبحث الأول/ الرفق وإظهار العاطفة
213	المطلب الأول: وصف الله له بأنه أخوهم
215	المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)
216	المطلب الثالث: إظهار الخوف والشفقة على قومه
216	المبحث الثاني/ الترغيب
216	المطلب الأول: الترغيب في الإيمان بالله
217	المطلب الثاني: حثهم على الاستغفار والتوبة
218	المبحث الثالث/ الترهيب
218	المطلب الأول: الترهيب من عذاب يوم محيط
219	المطلب الثاني: الترهيب من عاقبة تكذيب رسولهم
220	المبحث الرابع/ التذكير بنعم الله
220	المطلب الأول: التذكير بما وسع الله عليهم من الخيرات والنعم
221	المطلب الثاني: التذكير بنعمة الخلق من العدم
221	المطلب الثالث: التذكير بتكثير الله لهم

222	الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة شعيب- عليه السلام-
223	المبحث الأول / الاستفهام
223	المطلب الأول: إنكاره عليهم عدم تقوى الله.
223	المطلب الثاني: أو لو كنا كارهين؟
224	المطلب الثالث: أرهطي أعز عليكم من الله؟
225	المبحث الثاني/ الجدل
225	المطلب الأول: استتكار ما يأمرهم به من التوحيد والأمانة وعدم الغش
227	المطلب الثاني: ادعائهم أن نبيهم من المسحرين وأنه بشر مثلهم
228	المطلب الثالث: التمسك بملة الكفر والتهديد بالنفى
230	المطلب الرابع: ادعائهم عدم فهم كلامه وأنه فيهم ضعيف
232	المبحث الثالث / الحوار
232	المطلب الأول: أهم نقاط الحوار في دعوة شعيب – عليه السلام-
236	المطلب الثاني: التعقيب على الحوار
238	الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة شعيب- عليه السلام-
239	المبحث الأول/ البيئة التي جاء بها قومه
240	المبحث الثاني/ القدوة العملية
240	المطلب الأول: تعريف معنى القدوة.
241	المطلب الثاني: شعيب قدوة لقومه.
242	المبحث الثالث/ الاعتبار بالسابقين
243	الباب السادس: المناهج الدعوية في رسالة موسى - عليه السلام-
244	الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة موسى - عليه السلام-
245	المبحث الأول: الرفق وإظهار العاطفة

245	المطلب الأول: الرفق واللين مع فرعون الطاغية
246	المطلب الثاني: ندائه على قومه (يا قوم)
247	المبحث الثاني: الترغيب
247	المطلب الأول: الترغيب في شكر نعم الله وأنه سبب المزيد
248	المطلب الثاني: توبته إلى الله من القتل الخطأ
249	المطلب الثالث: حث قومه على الاستعانة بالله والصبر على البلاء
251	المطلب الرابع: حث قومه على الاستغفار والتوبة بعد عبادة العجل
252	المبحث الثالث: الترهيب
252	المطلب الأول/ الترهيب من عذاب الله لمن كذب وتولى
253	المطلب الثاني/ الترهيب من الافتراء على الله كذبا
254	المبحث الرابع: التذكير بنعم الله
254	المطلب الأول: تذكير الله - عز وجل - عبده موسى بنعمه عليه
257	المطلب الثاني: تذكير موسى لفرعون وقومه نعم الله عليهم
258	المطلب الثالث: تذكير موسى لبني إسرائيل بنعم الله عليهم
265	الفصل الثاني: المنهج العقلي في رسالة موسى - عليه السلام-
266	المبحث الأول/ الاستفهام
266	المطلب الأول: الاستفهام للتشويق في خطابه لفرعون
267	المطلب الثاني: إنكاره على قومه لطلبهم طعاما غير المن والسلوى
268	المطلب الثالث: إنكاره على قومه في طلبهم تقليد عبدة العجل
268	المطلب الرابع: إنكاره على قومه عبادة العجل
269	المطلب الخامس: إنكاره على أخيه هارون أنه لم يمنع عبادتهم العجل

269	المطلب السادس: إنكاره على السامري إيقاع قومه في الشرك
270	المبحث الثاني/ الجدل
270	المطلب الأول: مجادلة موسى - عليه السلام- مع فرعون
278	المطلب الثاني: مجادلة موسى - عليه السلام- مع السحرة
283	المطلب الثالث: مجادلة موسى - عليه السلام- مع قومه بني إسرائيل
290	المطلب الرابع: مجادلة موسى - عليه السلام- لقومه في عبادة العجل
292	المطلب الخامس: مجادلة موسى لأخيه هارون
294	المطلب السادس: مجادلة موسى - عليه السلام- للسامري
299	المبحث الثالث/ الحوار
299	المطلب الأول: حوار موسى مع الله جل جلاله بالوادي المقدس
304	المطلب الثاني: حوار موسى مع الله- تبارك وتعالى- بجبل الطور
307	الفصل الثالث: المنهج الحسي في رسالة موسى - عليه السلام-
308	المبحث الأول/ الآيات والمعجزات الحسية
308	المطلب الأول: ما حدث مع فرعون وقومه
312	المطلب الثاني: ما حدث من معجزات مع بني إسرائيل
319	المبحث الثاني/ تغيير المنكر باليد (حرق العجل)
319	المطلب الأول: تعريف معنى المنكر.
319	المطلب الثاني: نبي الله موسى يحرق العجل.
320	المبحث الثالث/ الاعتبار بمصارع الظالمين
322	الباب السابع: المناهج الدعوية في رسالة خاتم الأنبياء
323	الفصل الأول: المنهج العاطفي في رسالة خاتم الأنبياء

324	المبحث الأول/ تأليف القلوب
325	المطلب الأول: تعريف مفهوم تأليف القلوب
325	المطلب الثاني: تأليف القلوب بالمال.
326	المطلب الثالث: الحرص على دعوة الأقربين.
327	المطلب الرابع: التودد إلى الناس.
327	المطلب الخامس: تأليف القلوب بالدعاء.
328	المطلب السادس: تأليف القلوب بالعفو.
330	المطلب السابع: تأليف القلوب بزيارة المرضى.
330	المبحث الثاني/ الترغيب
331	المطلب الأول: الترغيب في الثواب الجزيل من الله
331	المطلب الثاني: العمل الصالح سبب للنجاة من الشدائد
332	المطلب الثالث: العمل الصالح سبب لتكفير السيئات
333	المبحث الثالث/ الترهيب
333	المطلب الأول: الترهيب من الشرك بالله
334	المطلب الثاني: الترهيب من الإسراف والتبذير
335	المطلب الثالث: الترهيب من الغيبة
335	المبحث الرابع/ الرفق وإظهار العاطفة
336	المطلب الأول: رفقه بالأمهات في الصلاة
337	المطلب الثاني: رفقه بالأعرابي الذي بال في المسجد
337	المطلب الثالث: رفقه بالأعرابي الذي جذبته من ثوبه
338	المبحث الخامس/ القصص العاطفية
338	المطلب الأول: قصة الرجل الذي قتل مئة نفس
340	المطلب الثاني: فرح الله بتوبة عبده

340	المطلب الثالث: دخلت امرأة النار في هرة
341	المبحث السادس/ التذكير بنعم الله
341	المطلب الأول: حديث القرآن عن نعم الله
343	المطلب الثاني: التذكير بحمد الله على نعمه كلما تجددت النعم
343	المطلب الثالث: التنبيه على عظم بعض النعم
344	المطلب الرابع: الحث على دوام شكر الله على النعم بالحمد
347	الفصل الثاني: المنهج العقلي في خاتم الأنبياء والمرسلين
348	المبحث الأول/ أسلوب القياس
349	المطلب الأول: تعريف القياس لغة واصطلاحاً
349	المطلب الثاني: مثل عيسى كمثل آدم
350	المطلب الثالث: ضرب المثل في قدرة الله على إحياء الموتى
351	المطلب الرابع: استعمال النبي - صلى الله عليه وسلم- للقياس
352	المبحث الثاني/ أسلوب الجدل
353	المطلب الأول: بعض الشبهات الواردة في القرآن والرد عليها:
358	المطلب الثاني: بعض الشبهات الواردة في السنة والرد عليها
361	المبحث الثالث/ أسلوب الحوار
362	المطلب الأول: حوار النبي مع المشركين
363	المطلب الثاني: حوار النبي مع أهل الكتاب
365	المطلب الثالث: حوار النبي مع أعرابي من نجد
367	المبحث الرابع/ أسلوب ضرب الأمثال
367	المطلب الأول: تعريف "ضرب الأمثال" لغة واصطلاحاً
368	المطلب الثاني: مثل مضاعفة ثواب الصدقة
369	المطلب الثالث: مثل المؤمن ومثل الكافر

370	المطلب الرابع: مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا
372	المطلب الخامس: مثل المؤمن والمنافق مع القرآن
374	الفصل الثالث: المنهج الحسي في خاتم الأنبياء والمرسلين
375	المبحث الأول/ لفت الحس إلى النظر والتأمل
378	المبحث الثاني/ المعجزات الحسية
378	المطلب الأول: المعجزة الخالدة: القرآن
380	المطلب الثاني: معجزة الإسراء والمعراج
382	المطلب الثالث: معجزة انشقاق القمر
383	المطلب الرابع: معجزة تكثير الماء
384	المبحث الثالث/ القدوة العملية
385	المبحث الرابع/ تغير المنكر باليد
386	المبحث الخامس/ الاعتبار بالسابقين
386	المطلب الأول: حث القرآن الكريم على الاعتبار بالأمم السابقة
388	المطلب الثاني: حث النبي على الاعتبار بالأمم السابقة
390	الخاتمة
391	نتائج الدراسة، والتوصيات
396	فهرس الآيات القرآنية
428	فهرس الأحاديث النبوية
431	فهرس الأعلام المترجم لهم
432	فهرس المراجع
443	فهرس الموضوعات